الفرق بين الفِرق

الفرق بين الفِرق

تأليف

صدر الإسلام، الأصولي ، العالم، المتفنن
عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي،
الإسفرائني ، التميمي المتوفى
في عام 429 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر الخلق وموجده ومظهر الحق ومنجده الذي جعل الحق وزرا لمن اعتقده وعمرا لمن اعتمده وجعل الباطل مزلا لمن ابتغاه ومذلا لمن اقتضاه والصلاة والسلام على الصفوة الصافية والقدوة الهادية محمد وآله خيار الورى ومنار الهدى. سألتم أسعدكم الله مطلوبكم شرح معنى الخبر المأثور عن النبي في افتراق الامة ثلاثا وسبعين فرقة منها واحدة ناجية تصير الى جنة عاليه وبواقيها عادية تصير الى الهاوية والنار الحامية وطلبتم الفرق بين الفرقة الناجية التي لا يزل بها القدم ولا تزول عنها النعم وبين فرق الضلال الذين يرون ظلام الظلم نورا واعتقاد الحق ثبورا وسيصلون سعيرا ولا يجدون من الله نصيرا.

فرأيت إسعافكم بمطلوبكم من الواجب في إبانة الدين القويم والصراط المستقيم وتمييزها من الأهواء المنكوسة والآراء المعكوسة ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من يحيا عن بينة فأودعت مطلوبكم مضمون هذا الكتاب وقسمت مضمونه خمسة ابواب هذه ترجمتها:

باب في بيان الحديث المأثور في افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة

1) باب في بيان فرق الأمة على الجملة ومن ليس منها على الجملة

2) باب في بيان فضائح كل فرقة من فرق الاهواء الضالة

الفرق بين الفِرق

3) باب في بيان الفـرق الـتي انتسـبت الـى الاسـلام وليست منها
4) باب في بيان الفرقة الناجية وتحقيق نجاتها وبيـان محاسن دينه فهذه جملة ابـواب هـذا الكتـاب وسـنذكر ف ي كـل باب منها مقتضاه على شرطه إن شاء الله تعالى.

{الباب الاول}:
في بيان الحديث المأثور في افتراق الأمة

أخبرنا أبو سهل بشر بن أحمد بن بشار الإسفراءينى قال أخبرنا عبد الله بن ناجية قال حدثنا وهب بن بقية عن خالـد ابـن عبد الله عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله {افـترقت اليهـود علـى إحـدى وسـبعين فرقـة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتى علـى ثلاث وسبعين فرقة}.

أخبرنا أبو محمد عبد اللـه بـن محمـد بـن علـى بـن زيـاد السميذى العدل الثقـة قـال أخبرنـا أحمـد بـن الحسـن بـن عبـد الجبار قال حـدثنا الهيثـم بـن خارجـة قـال حـدثنا إسـماعيل بـن عباس عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبـد اللـه بـن يزيـد عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله {ليـأتين علـى أمـتى مـا أتـى علـى بنـى إسـرائيل تفـرق بنـو اسـرائيل علـى اثنـتين وسبعين ملة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين ملة تزيد عليهم ملة كلهم في النار الا ملة واحدة قالوا يا رسول اللـه مـن الملـة الواحدة التي تنقلب قال ما أنا عليه وأصحابي}.

أخبرنا القاضي أبو محمد عبد الله بن عمر المـالكي قـال حدثنا أبي عـن أبيـه قـال حـدثنا الوليـد بـن مسـلمة قـال حـدثنا الاوزاعي قال حدثنا قتادة عـن انـس عـن النـبي قـال {إن بنـى إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن امتى سـتفترق علـى ثنـتين وسـبعين فرقـة كلهـا فـي النـار إلا واحـدة وهـى الجماعة}.

الفرق بين الفِرق

قال عبد القاهر للحديث الوارد في افتراق الامـة أسـانيد كثيرة وقد رواه عن النبي جماعة من الصحابة كـأنس بـن مالـك وأبي هريرة وأبي الدرداء وجابر وأبي سـعيد الخـدري وأبـي بـن كعب وعبد الله بـن عمـرو بـن العـاص وأبـي امامـة ووائلـه بـن الاسقع وغيرهم.

ما روي عن الصحابة من ذم بعض الفرق

وقد روى عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الامة بعـدهم فرقـا وذكـروا أن الفرقـة الناجيـة منهـا فرقـة واحـدة وسائرها على الضلال في الدنيا والبوار في الآخرة.

وروى عن النبي ذم القدرية وأنهم مجوس هذه الامة وروى عنه ذم المرجئة مع القدرية وروى عنه أيضـا ذم المـارقين وهـم الخوارج.

وروى عن أعلام الصحابة ذم القدرية والمرجئة والخوارج المارقة وقد ذكرهم على رضى الله عنه فـي خطبتـه المعروفـة بالزهراء وبرىء فيها من اهل النهراوان.

وقد علم كل ذي عقل من أصحاب المقالات المنسوبة الى أن النبي عليه السلام لم يرد بالفرق المذمومة الـتي أهـل النـار فرق الفقهاء الذين اختلفوا في فـروع الفقـه مـع اتفـاقهم علـى اصول الدين لان المسلمين فيما اختلفوا فيـه مـن فـروع الحلال والحرام على قولين:

أحدهما قول من يرى تصويب المجتهدين كلهم في فروع الفقه وفرق الفقه كلها عندهم مصيبون.

والثاني قول من يرى فـي كـل فـرع تصـويب واحـد مـن المتخلفين فيه وتخطئة الباقين من غير تضـليل منـه للمخطىـء فيه.

بيان مراد الرسول من ذكر الفرق المذمومة

وإنما فصل النبي عليه السلام بذكر الفرق المذمومة فرق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجيـة فـي ابـواب

الفرق بين الفِرق

العـدل والتوحيـد أو فـي الوعـد والوعيـد أو فـي بـابى القـدر والاسـتطاعة أو فـي تقـدير الخيـر والشـر أو فـي بـاب الهدايـة والضـلالة أو فـي بـاب الإرادة والمشـيئة أو فـي بـاب الرويـة والإدراك أو في باب صفات لله عز وجـل وأسـمائه وأوصـافه أو في باب من أبـواب التعـديل والتجـويز أو فـي بـاب مـن أبـواب النبوة وشـروطها ونحوهـا مـن الابـواب الـتي اتفـق عليهـا أهـل السنة والجماعة من فريقى الـرأى والحـديث علـى أصـل واحـد خـالفهم فيهـا أهـل الأهـواء الضـالة مـن القدريـة والخـوارج والروافض والنجارية والجهمية والمجسمة والمشبهة ومن جرى من فرق الضلال فان المختلفيـن فـي العـدل والتوحيـد والقبـور والاسـلاف متحـدو الرويـة والصـفات والتعـديل والتجـويز وفـى شروط النبوة والإمامة يكفر بعضهم بعضا.

فصح تأويل الحديث المروى في افتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة الى هذا النوع من الاختلاف دون الانواع التي اختلفت فيهـا ائمة الفقه من فروع الاحكام في أبواب الحلال والحرام أو ليس فيما بينهم تكفير ولا تضليل فيما اختلفوا فيه من احكام الفروع.

وسنذكر الفرق التي رجع اليهم تأويل الخبر المـروى ف ي افتراق الامة في الباب الذي يلى ما نحن فيـه إن شـاء اللـه عـز وجل.

{الباب الثاني من أبواب هذا الكتاب}:
في كيفية افتراق الامة ثلاثا وسبعين

وفى ضمنه بيان الفرق الذين يجمعهم اسم ملة الاسلام في الجملة. ويقع في هذا الباب فصلان:

أحدهما في بيان المعنى الجامع للفرق المختلفة في اسم ملة الاسلام في الجملة والفصل.

الثاني في بيان كيفية اختلاف الامة وتحصيل عـدد فرقهـا الثلاث وسـبعين وسـنذكر فـي كـل واحـد مـن هـذين الفصـلين مقتضاه ان شاء الله عز وجل

الفرق بين الفِرق

{الفصل الاول}:
في بيان المعنى الجامع للفرق المختلفة في اسم ملة الاسلام
على الجملة قبل التفصيل

اختلف المنتسبون الى الاسلام في الذين يدخلون بالاسم العام في ملة الاسلام.

فزعم أبو القاسم الكعبى في مقالاته أن قول القائل امة الاسلام تقع على كل مقر بنبوة محمد وان كل ما جاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ما كان.

وزعم قوم أن أمة الإسلام كل من يرى وجوب الصلاة الى جهة الكعبة وزعمت الكرامية مجسمة خراسان أن امة الاسلام جامعة لكل من أقر بشهادتي الاسلام لفظا وقالوا كل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله فهو مؤمن حقا وهو من أهل ملة الاسلام سواء كان مخلصا فيه أو منافقا مضمر الكفر فيه والزندقة ولهذا زعموا أن المنافقين في عهد رسول الله كانوا مؤمنين حقا وكان ايمانهم كايمان جبريل وميكاءيل والانبياء والملائكة مع اعتقادهم النفاق وإظهار الشهادتين.

وهذا القول مع قول الكعبى في تفسيراته الاسلام ينتقض بقول العيسوية من يهود أصبهان فانهم يقرون بنبوة نبينا محمد وبأن كل ما جاء به حق ولكنهم زعموا انه بعث الى العرب لا الى بنى اسرائيل وقالوا ايضا محمد رسول الله وما هم معدودين في فرق الاسلام وقوم من موشكانية اليهود حكوا عن زعيمهم المعروف بشاركان أنه قال أن محمدا رسول الله الى العرب والى سائر الناس ما خلا اليهود وأنه قال أن القرآن حق وكل الاذان والإقامة والصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج الكعبة كل ذلك حق غير أنه مشروع للمسلمين دون اليهود وربما فعل ذلك بعض الشاركانية قد أقروا بشهادتي أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقروا بأن دينه حق وما هم مع ذلك من أمة الاسلام لقولهم بان شريعة الاسلام لا تلزمهم.

الفرق بين الفِرق

وأما قول من قال ان اسم ملة الاسلام امر واقع على كل من يرى وجوب الصلاة الى الكعبة المنصوبة بمكة فقد رضى بعض فقهاء الحجاز هذا القول وأنكره أصحاب الرأى لما روى عن أبي حنيفة أن صحح إيمان من أقر بوجوب الصلاة الى الكعبة وشك في موضعها وأصحاب الحديث لا يصححون إيمان من شك في موضع الكعبة كما لا يصححون إيمان من شك في وجوب الصلاة الى الكعبة.

والصحيح عندنا أن أمة الاسلام تجمع المقرين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفى التشبيه عنه وبنبوة محمد ورسالته الى الكافة وبتأييد شريعته وبأن كل ما جاء به حق وبأن القرآن منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة اليها فكل من أقر بذلك كله ولم يشبه ببدعة تؤدى الى الكفر فهو السنى الموحد.

وأن ضم الى الاقوال بما ذكرناه بدعة شنعاء نظر: فإن كان على بدعة الباطنية أو البيانية أو المغيرة او الخطابية الذين يعتقدون إلهية الائمة او إلهية بعض الأئمة او كان على مذاهب الحلول أو على بعض مذاهب اهل التناسخ او على مذهب الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين أو على مذهب اليزيدية من الاباضية في قولها بان شريعة الاسلام تنسخ في آخر الزمان أو أباح ما نص القرآن على تحريمه أو حرم ما أباحه القرآن نصا لا يحتمل التأويل فليس هو من أمة الاسلام ولا كرامة له.

وان كانت بدعته من جنس بدع المعتزلة أو الخوارج أو الرافضة الامامية أو الزيدية أو من بدع البخارية أو الجهمية أو الضرارية أو المجسمة فهو من الامة في بعض الاحكام وهو جواز دفنه في مقابر المسلمين وفى ألا يمنع حظه من الفىء والغنيمة ان غزا مع المسلمين وفي ألا يمنع من الصلاة في المساجد وليس من الامة في احكام سواها وذلك ألا تجوز الصلاة عليه ولا خلفه ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية ولا يحل للسنى أن يتزوج المرأة منهم اذا كانت على اعتقادهم وقد

الفرق بين الفِرق

قال علي بن أبي طالب رضي اللـه عنـه للخـوارج علينـا ثلاث لا نبدؤكم بقتال ولا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسـم اللـه ولا نمنعكم من الفىء ما دامت أيديكم مع أيدينا والله أعلم.

{الفصل الثاني من هذا الباب}:

في بيان كيفية اختلاف الامة وتحصيل عدد فرقها الثلاث والسبعين

كان المسلمون عند وفاة رسول الله على منهاج واحد في اصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا.

وأول خلاف وقع منهم اختلافهم في موت النبي عليه السلام فزعم قوم منهم أنه لم يمت وإنما أراد الله تعالى رفعه اليه كما رفع عيسى بن مريم اليه وزال هذا الخلاف وأقر الجميـع بمـوته حين تلا عليهم أبو بكر الصديق قول الله لرسـوله عليـه السـلام {إنك ميت وإنهم ميتون} وقال لهم من كـان يعبـد محمـدا فـان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت.

ثم اختلفوا بعد ذلك في موضع دفن النبي فأراد أهل مكة رده الى مكة لانها مولده ومبعثه وقبلته وموضع نسله وبها قـبر جـده إسـماعيل عليـه السـلام وأراد أهـل المدينـة دفنـه بهـا لأنهـا دار هجرته ودار أنصاره وقال آخرون بنقله الى أرض القدس ودفنـه ببيت المقدس عند قبر جده إبراهيم الخليل عليـه السـلام وزال هذا الخلاف بأن روى لهم أبو بكر الصديق عن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم: {إن الأنبياء يدفنون حيـث يقبضـون} فـدفنوه فـي حجرته بالمدينة.

ثم اختلفوا بعد ذلك في الامامة وأذعنت الانصار الى البيعة لسعد بن عبادة الخزرجي وقالت قريش ان الإمامـة لا تكـون الا في قريش ثم أذعنت الانصار لقريش لما روى لهـم قـول النـبي الأئمة مـن قريـش وهـذا الخلاف بـاق الـى اليـوم لان ضـرارا او الخوارج قالوا بجواز الإمامة في غير قريش.

الفرق بين الفِرق

ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن فدك وفى توريث التركات عن الانبياء عليهم السلام ثم نفذ في ذلك قضاء ابي بكر بروايته عـن النبي عليه الصلاة والسلام {ان الانبياء لا يورثون}.

ثم اختلفوا بعد ذلك في ما نعى وجوب الزكاة ثم اتفقوا على رأي أبي بكر في وجوب قتالهم.

ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال طليحة حين تبنى وارتد حتى انهزم الى الشام ثم رجع في أيام عمر الى الاسلام وشهد مع سعد بن أبي وقاص حرب القادسية وشهد بعد ذلك حرب نهاوند وقتل بها شهيدا.

ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال مسيلمة الكذاب الى أن كفى الله تعالى امره وأمر سجاح المتنبية وأمر الاسود بن زيد العنسى.

ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتل سائر المرتدين الى أن كفى الله تعالى أمرهم.

ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال الروم والعجم وفتح الله تعالى لهم الفتوح وهم في اثناء ذلك كله على كلمة واحدة فـي أبـواب العدل والتوحيد والوعد والوعيد وفى سـائر اصـول الـدين وانمـا كـانوا يختلفـون فـي فـروع الفقـه كميـراث الجـد مـع الاخـوة والأخوات مع الأب والأم او مـع الأب وكمسـائل العـدل والكلالـة والرد وتعصيب الأخوات من الأب والأم او من الأب مع البنـت او بنت الابن وكاختلافهم في جر الولا وفى مسئلة الحـرام ونحوهـا مما لم يورث اختلافهم فيه تضليلا ولا تفسيقا وكـانوا علـى هـذه الجملة في ايام أبي بكر وعمر وست سنين من خلافة عثمان.

ثم اختلفوا بعد ذلك في أمر عثمان لأشياء نقموها منه حتى أقدم لاجلها ظالموه على قتله.

ثم اختلفوا بعد قتله في قاتليه وخاذليه اختلافا باقيا الى يومنا هذا.

ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن على واصحاب الجمل وفـي شأن معاويـة واهـل صـفين وفـي حكـم الحكميـن أبـي موسـى الأشعري وعمرو بن العاص اختلافا باقيا الى اليوم.

الفرق بين الفِرق

ثم حدث في زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية فـى القـدر والاسـتطاعة مـن معبـد الجهنـى وغيلان الدمشـقي والجعد بن درهم وتبرأ منهم المتأخرون من الصحابة كعبـد اللـه بن عمر وجابر بن عبد الله وأبي هريرة وابـن عبـاس وأنـس بـن مالك وعبد الله ابن ابى اوفى وعقبة بن عامر الجهني وأقرانهـم واوصوا اخلافهم بـأن لا يسـلموا علـى القدريـة ولا يصـلوا علـى جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم.

ثم اختلفت الخوارج بعد ذلك فيمـا بينهـا فصـارت مقـدار عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرها.

ثم حدث في ايام الحسن البصري خلاف واصل بـن عطـا الغزال في القدر وفى المنزلة بين المنزلتين وانضم اليـه عمـرو بن عبيـد بـن بـاب فـي بـدعته فطردهمـا الحسـن عـن مجلسـه فـاعتزلا عـن سـارية مـن سـواري مسـجد البصـرة فقيـل لهمـا ولاتباعهما معتزلة لاعتزالهم قول الامة في دعواهـا ان الفاسـق من امة الإسلام لا مؤمن ولا كافر.

واما الروافض فان السبابية منهم اظهروا بدعتهم في زمان على رضي الله عنه فقال بعضهم لعلى انت الامة فـاحرق علـي قوما منهم ونفى ابن سـبأ الـى سـاباط المـدائن وهـذه الفرقـة ليست من فرق امة الاسلام لتسميتهم عليا الها.

ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه اربعة اصناف زيدية وإمامية وكيسـانية وغلاة وافـترقت الزيديـة فرقـا والامامية فرقا والغلاة فرقا كل فرقة منها تكفر سائرها وجميـع فرق الغلاة منهم خارجون عن فرق الإسلام. فاما فـرق الزيديـة وفرق الامامية فمعدودون في فرق الامة.

وافترقت النجارية بناحية الري بعد الزعفراني فرقا يكفر بعضها بعضا.

وظهر خلاف البكرية من بكر من اخت عبد الواحد بن زياد وخلاف الضرارية من ضرار بن عمرو وخلاف الجهمية مـن جهـم بن صفوان وكان ظهور جهم وبكر وضرار في ايام ظهور واصـل بن عطا في ضلالته.

الفرق بين الفِرق

وظهرت دعوة الباطنية في ايام المأمون من حمران قومط ومن عبد الله بن ميمون القداح وليست الباطنية من فـرق ملـة الاسلام بل هي من فرق المجوس على ما نبينه بعد هذا وظهروا في ايام محمد بن طاهر بن عبد الله بن طـاهر بخراسـان خلاف الكرامية المجسمة.

فامـا الزيديـة مـن الرافضـة فمطمعهـا ثلاث فـرق وهـى الجارودية والسليمانية وقد يقال الحريرية ايضـا والبتريـة وهـذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن على بن الحسين بـن على بن ابى طالب في ايام خروجه وكان ذلك في زمان هشـام بن عبد الملك.

والكيسانية منهم فرق كثيرة ترجع عن التحصيل الى فرقتين إحداهما تزعم ان محمد بـن الحنفيـة هـي لـم يمـت وهـم علـى انتظاره ويزعمون انه المهـدى المنتظـر والفرقـة الثانيـة منهـم مقرون باماميته في وقته وبموته وينقلون الإمامة بعد موته الـى غيره ويختلفون بعد ذلك في المنقول اليه.

واما الامامية المفارقة للزيديـة والكسـائية والغلاة فانهـا خمـس عشـرة فرقـة وهـن المحمديـة والباقريـة والناوسـية والشـميطية والعماريـة والاسـماعيلية والمباركيـة والموسـوية والقطعية والاثنى عشرية والهشامية من اتباع هشام بن الحكـم او من اتبـاع هشـام بـن سـالم الجـواليقى والزراريـة مـن اتبـاع زرارة بن أعين واليونسية من اتبـاع يـونس القمـى والشـيطانية من اتباع شيطان الطـاق والكامليـة مـن اتبـاع أبـي كامـل وهـو أفحشهم قولا فى على وفى سائر الصحابة رضى الله عنهم.

فهذه عشرون فرقة من فرق الروافض منها ثلاث زيديـة وفرقتان من الكيسانية وخمس عشرة فرقة من الإمامية.

فاما غلاتهم الذين قالوا بإلهيـة الائمـة وابـاحوا محرمـات الشريعة واسقطوا وجوب فرائض الشريعة كالبيانيـة والمغيريـة والجناحية والمنصورية والخطابية والحلولية ومن جرى مجراهم فما هم من فرق الاسلام وان كانوا منتسبين اليه وسنذكرها في باب مفرد بعد هذا الباب.

الفرق بين الفِرق

وأما الخوارج فانها لما اختلفت صارت عشرين فرقة وهذه أسماؤها المحكمة الاولى والازارقة ثم النجدات ثم الصفرية ثـم العجاردة.

وقد افترقت العجاردة فيما بينها فرقا كثيرة منها الخازمية والشـعيبية والمعلوميـة والمجهوليـة والمعبديـة والرشـيدية والمكرمية والحمزية والابراهيمية والواقفة.

وافترقت الأباضية منهـا فرقـا حفصـية وحارثيـة ويزيديـة واصحاب طاعة لا يراد الله بها.

واليزيدية منهم اتباع ابن يزيد بن أنيس ليست مـن فـرق الاسلام لقولها بان شريعة الاسلام تنسخ في آخـر الزمـان بنـبى يبعث من العجم.

وكذلك في جملة العجاردة فرقة يقال لها الميمونية ليست من فرق الاسلام لانها أباحت نكاح بنات البنات وبنات البنين كما أباحته المجوس وسنذكر اليزيدية والميمونيـة فـي جملـة الـذين انتسبوا الى الاسلام وما هم منهم ولا من فرقهم.

واما القدرية المعتزلة عن الحق فقد افترقت عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرها وهذه اسماء فرقها واصلية وعمريـة والهذيلية والنظامية والامواراية والعمرية والثمامية والجاحظيـة والحايطية والحمارية والخياطية والسحامية واصحاب صالح قبة والمويسية والكعبية والجبائيـة والبهشـيمية المنسـوبة الـى أبـي هاشم ابن الجبائى فهي ثنتان وعشرون فرقة ثنتان منهـا ليسـتا من فرق الاسـلام وهمـا الحايطيـة والحماريـة وسـنذكرهما فـي الفرق التي انتسبت الى الاسلام وليست منها.

وأما المرجئة فثلاثة اصناف:

صنف منهم قالوا بالإرجاء في الايمان وبالقدر على مذاهب القدريـة فهـم معـدودون فـي القدريـة والمرجئـة كـأبي شـمر المرجىء ومحمد بن شبيب البصرى والخالدى.

وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الايمان ومالوا الى قول جهم في الاعمال والاكساب فهم من جملة الجهمية والمرجئة.

الفرق بين الفِرق

وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قدروهم خمس فرق يونسية وغسانية وثوبانية وتومنية ومريسية.

وأما النجارية فانها اليوم بالري اكثر من عشر فرق ومرجعها في الأصل الى ثلاث فرق برغونية زغفرانية ومستدركة.

وأما البكرية والضرارية فكل واحدة منها فرقة واحدة ليس لها تبع كثير والجهمية ايضا فرقة واحدة.

والكرامية بخراسان ثلاث فرق حقاقية وطرايقية واسحافية لكن هذه الغرق الثلاث منها لا يكفر بعضها بعضا فعددناها كلها فرقة واحدة.

فهذه الجملة التي ذكرناها تشتمل على ثنتين وسبعين فرقة منها عشرون روافض وعشرون خوارج وعشرون قدرية وعشر مرجئة وثلاث نجارية وبكرية وضرارية وجهمية وكرامية فهذه ثنتان وسبعون فرقة.

فاما الفرقة الثالثة والسبعون فهي أهل السنة والجماعة من فريقى الرأي والحديث دون من يشترى لهو الحديث وفقهاء هذين الفريقين وقراؤهم ومحدثوهم ومتكلمو أهل الحديث منهم كلهم متفقون على مقالة واحدة في توحيد الصانع وصفاته وعدله وحكمته وفي اسمائه وصفاته وفى ابواب النبوة والإمامة وفى احكام العقبى وفى سائر اصول الدين وانما يختلفون في الحلال والحرام من فروع الاحكام وليس بينهم فيما اختلفوا فيه منها تضليل ولا تفسيق وهم الفرقة الناجية ويجمعها الاقرار بتوحيد الصانع وقدمه وقدم صفاته الأزلية واجازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل مع الاقرار بكتب الله ورسله وبتأييد شريعة الاسلام واباحة ما أباحه القرآن وتحريم ما حرمه القرآن مع قيود ما صح من سنة رسول الله واعتقاد الحشر والنشر وسؤال الملكين في القبر والاقرار بالحوض والميزان.

فمن قال بهذه الجهة التي ذكرناها ولم يخلط ايمانه بها بشيء من بدع الخوارج والروافض والقدرية وسائر اهل الاهواء فهو من جملة الفرقة الناجية ان ختم الله له بها وقد دخل في

الفرق بين الفِرق

هذه الجملة جمهور الامة وسوادها الأعظـم مـن اصـحاب مالـك والشافعي وأبى حنيفة والأوزاعى والثورى وأهل الظاهر.
فهذا بيان ما اردنا بيانه في هذا الباب ونذكر في الباب الذي يليه تفصيل مقالة كل فرقة من فرق الاهواء الذين ذكرنـاهم ان شاء الله عز وجل.

{الباب الثالث من أبواب هذا الكتاب}:
في بيان تفصيل مقالات فرق الاهواء وبيان فضائح كل فرقة منها على التفصيل
هذا باب يشتمل على فصول ثمانية وهذه ترجمتها:

1) فصل في بيان مقالات فرق الرقض
2) فصل في بيان مقالات فرق الخوارج
3) فصل في بيان مقالات فرق الاعتزال والقدر
4) فصل في بيان مقالات فرق المرجئة
5) فصل في بيان مقالات فرق النجارية
6) فصل في بيان مقالات الضرارية والبكرية والجهمية
7) فصل في بيان مقالات الكرامية
8) فصل في بيان مقالات المشبهة الداخلـة فـي غمـار الفرق التي ذكرناها.

وسنذكر في كل فصل منها مقتضاه على شرطه ان شاء الله عز وجل.

{الفصل الاول من فصول هذا الباب}:
في بيان مقالات فرق الرفْض
قد ذكرنا قبل هذا ان الزيدية منهم ثلاث فرق والكيسانية منهم فرقتان والامامية منهم خمـس عشـرة فرقـة ونبـدأ بـذكر الزيدية ثم الامامية ثم الكيسانية على الترتيب ان شاء اللــه عــز وجل.

ذكر الجارودية من الزيدية:

الفرق بين الفِرق

اولا اتباع المعروف بأبي الجارود وقد زعموا ان النبي نص على امامة على بالوصف دون الاسم وزعموا ايضا ان الصحابة كفروا بتركهم بيعة على وقالوا ايضا ان الحسن بن على كان هو الامام بعد على ثم أخوة الحسين كان إماما بعد الحسن.

وافترقت الجارودية في هذا الترتيب فرقتين فرقة قالت إن عليا نص على إمامة ابنه الحسن ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده ثم صارت الامامة بعد الحسن والحسين شورى في ولدي الحسن والحسين فمن خرج منهم شاهرا سيفه داعيا الى دينه وكان عالما ورعا فهو الإمام وزعمت الفرقة الثانية منهم أن النبي هو الذي نص على إمامة الحسن بعد على وإمامة الحسين بعد الحسن.

ثم افترقت الجارودية بعد هذا في الامام المنتظر فرقا:

منهم من لم يعين واحدا بالانتظار وقال كل من شهر سيفه ودعا الى دينه من ولدى الحسن والحسين فهو الامام.

ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبي طالب ولا يصدق بقتله ولا بموته ويزعم انه هو المهدى المنتظر الذي يخرج فيملك الارض وقول هؤلاء فيه كقول المحمدية من الإمامية في انتظارها محمد بن عبد الله بن الحسن بن على.

ومنهم من ينتظر محمد بن القاسم صاحب الطالقان ولا يصدق بموته.

ومنهم من ينتظر محمد بن عمر الذي خرج بالكوفة ولا يصدق بقتله ولا بموته.

فهذا قول الجارودية وتكفيرهم واجب لتكفيرهم اصحاب رسول الله عليه السلام.

ذكر السليمانية أو الجريرية منهم:

هؤلاء اتباع سليمان بن جرير الزيدي الذي قال ان الإمامة شورى وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الامة وأجاز إمامة المفضول واثبت إمامة ابي بكر وعمر وزعم أن الامة تركت

الاصلح في البيعة لهما لان عليا كان اولى بالإمامة منهما الا أن الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفرا ولا فسقا وكفر سليمان بن جرير بالاحداث التي نقمها الناقمون منه وأهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من اجل أنه كفر عثمان رضي الله عنه.

ذكر البترية منهم:

هؤلاء اتباع رجلين أحدهما الحسن بن صالح بن حي والاخير كثير المنوا الملقب بالأبتر وقولهم كقول سليمان بن جرير في هذا الباب غير أنهم توقفوا في عثمان ولم يقدموا على ذمة ولا على مدحه وهؤلاء احسن حالا عند أهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير وقد أخرج مسلم بن الحجاج حديث الحسن بن صالح بن حي في مسنده الصحيح ولم يخرج محمد بن اسماعيل البخاري حديثه في الصحيح ولكنه قال في كتاب التاريخ الكبير الحسن بن صالح بن حي الكوفى سمع سماك بن حرب ومات سنة سبع وستين ومائة وهو من ثغور همذان وكنيته ابو عبد الله.

قال عبد القاهر هؤلاء البترية والسليمانية من الزيدية كلهم يكفرون الجارودية من الزيدية لاقرار الجارودية على تكفير أبي بكر وعمر والجارودية يكفرون السليمانية والبترية لتركهما تكفير أبي بكر وعمر.

وحكى شيخنا أبو الحسن الاشعري في مقالته عن قوم من الزيدية يقال لهم اليعقوبية اتباع رجل اسمه يعقوب أنهم كانوا يتولون ابا بكر وعمر ولكنهم لا يتبرءون ممن تبرأ منهما.

قال عبد القاهر اجتمعت الفرق الثلاث الذين ذكرناهم من الزيدية على القول بأن أصحاب الكبائر من الامة يكونون مخلدين في النار فهم من هذا الوجه كالخوارج الذين أيأسوا أسراء المذنبين من رحمة الله تعالى {ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون} إنما قيل لهذه الفرق الثلاث واتباعها "زيدية" لقولهم بإمامة زيد بن علي بن الحسن بن على بن ابى طالب في وقته وإمامة ابنه يحيى بن زيد بعد زيد وكان زيد ابن علي

الفرق بين الفِرق

قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة وخرج بهم على والى العراق وهو يوسف بن عمر الثقفى عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين فلما استمر القتال بينه وبين يوسف بن عمر الثقفى قالوا له انا ننصرك على اعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك على ابن أبي طالب فقال زيد إني لا أقول فيهما إلا خيرا وما سمعت أبي يقول فيهما الا خيرا وانما خرجت على بنى امية الذين قاتلوا جدى الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيتا لله بحجر المنجنيق والنار ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم رفضتموني ومن يومئذ سموا رافضة وثبت معه نصر بن حريمة العنسى ومعاوية بن اسحاق بن يزيد بن حارثة في مقدار مائتى رجل وقاتلوا جند يوسف بن عمر الثقفى حتى قتلوا عن آخرهم وقتل زيد ثم نبش من قبره وصلب ثم أحرق بعد ذلك.

وهرب ابنه يحيى بن يزيد الى خراسان وخرج بناحية الجوزجانى على نصر بن بشار والى خراسان فبعث نصر بن بشار اليه مسلم ابن احوز المازنى في ثلاثة آلاف رجل فقتلوا يحيى بن زيد ومشهده بجوزجان معروف.

قال عبد القاهر روافض الكوفة موصوفون بالغدر والبخل وقد سار المثل بهم فيهما حتى قيل أبخل من كوفى وأغدر من كوفي والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء:

أحدها أنهم بعد قتل على رضي الله عنه بايعوا ابنه الحسن فلما توجه لقتال معاوية غدروا به في ساباط المدائن فطعنه سنان الجعفى في جنبه فصرعه عن فرسه وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية.

والثاني أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنه ودعوه الى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم وخرج اليهم فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله بن زياد يدا واحدة عليه حتى قتل الحسين وأكثر عشيرته بكربلاء.

والثالث غدرهم يزيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر ثم نكثوا بيعته وأسلموه عند اشتداد القتال حتى قتل وكان من امره ما كان

ذكر الكيسانية من الرافضة:

هؤلاء اتباع المختار بن ابى عبيد الثقفى الذي قام بثأر الحسين بن على بن ابي طالب وقتل اكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء وكان المختار ويقال له كيسان وقيل أنه أخذ مقالته عن مولى لعلى رضي الله عنه كان اسمه كيسان.

وافترقت الكيسابية فرقا يجمعها شيئان:

أحدهما قولهم بإمامة محمد ابن الحنفية وإليه كان يدعو المختار بن ابى عبيد.

والثاني قولهم بجواز البدء على الله عز وجل ولهذه البدعه قال بتكفيرهم كل من لا يجيز البدء على الله سبحانه.

واختلفت الكيسانية في سبب إمامة محمد ابن الحنفية فزعم بعضهم أنه كان إماما بعد أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنه واستدل على ذلك بان عليا دفع إليه الراية يوم الجمل وقال له:

اطعَنْهُم طعن ابيك تحمد >< لا خير في الحرب اذا لم تزبد

وقال آخرون منهم: إن الامامة بعد على كانت لابنه الحسن ثم للحسين بعد الحسن ثم صارت الى محمد بن الحنفية بعد اخيه الحسين بوصية اخيه الحسين اليه حين هرب من المدينة الى مكة حين طولب بالبيعة ليزيد بن معاوية.

ثم افترق الذين قالوا بإمامة محمد ابن الحنفية.

فزعم قوم منهم يقال لهم الكربية اصحاب ابى كرب الضرير ان محمد بن الحنفية حى لم يمت وانه في جبل رضوى وعنده عين من الماء وعين من العسل يأخذ منهما رزقه وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحفظانه من أعدائه الى وقت خروجه وهو المهدى المنتظر.

وذهب الباقون من الكيسانية الى الاقرار بموت محمد بن الحنفية واختلفوا في الامام بعـده فمنهـم مـن زعـم أن الامامـة بعده رجعت الى ابن اخيه على بن الحسين زين العابدين ومنهم من قال برجوعها بعده الى ابى هاشم عبد اللـه ابـن محمـد بـن الحنفية.

واختلف هؤلاء في الامام بعد ابى هاشم فمنهم من نقلها الى أبي محمد بن على بـن عبـد اللـه بـن عبـاس بـن عبـد المطلـب بوصية ابى هاشم اليه وهذا قول الرونديـة ومنهـم مـن زعـم أن الامامة بعد أبي هاشم صارت الى بيان بـن سـمعان وزعمـوا أن روح الله تعالى كانت في ابى هاشم ثـم انتقلـت منـه الـى بيـان ومنهم من زعم ان تلك الروح انتقلت من ابـي هاشـم الـى عبـد الله بن عمرو بن حرب وادعت هذه الفرقة إلهيـة عبـد اللـه بـن عمرو بن حرب.

والبيانية والحربية كلتاهما من فرق الغلاة نذكرهما في الباب الذي نـذكر فيـه فـرق الغلاة وكـان كـثير الشـاعر علـى مـذهب الكيسانية الـذين ادعـوا حيـاة محمـد بـن الحنفيـة ولـم يصـدقوا بموته ولذا قال في قصيدة له:

ألا إن الأئمة من قريش ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

قال عبد القاهر أجبناه عن أبياته هذه بقولنا:

ولاة الحق أربعة ولكن لثاني اثنين قد سبق العلاء
وفاروق الورى أضحى إماما وذو النونين بعد له الولاء
على بعدهم أضحى إماما بترتيبي لهم نزل القضاء
ومبغض من ذكرناه لعين وفى نار الجحيم له الجزاء
وأهل الرفض قوم كالنصارى حيار بي ما لحيرتهم دواء

وقال كثير أيضا في رفضه:

الفرق بين الفِرق

برئت الى الإله من ابن أروى ومن دين الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق غداة دعى أمير المؤمنينا
وقد أجبناه عن هذين البيتين:
برئت من الإله ببغض قوم بهم أحيا الإله المؤمنينا
وما ضر ابن أروى منك بغض وبغض البر دين الكافرينا
ابو بكر به جدلى إمام على زعم الروافض اجمعينا
وفاروق الورى عمر بحق يقال له أمير المؤمنينا

وقال كثير في قصيدة أيضا:
ألا قل للوصى فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما
أضر بمعشر والوك منا وسموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك اهل الأرض طرا مقامك عندهم ستين عاما
وما ذاق بن خولة طعم موت ولا وارت له ارض عظاما
لقد أمسى بمجرى شعب رضوى تراجعه الملائكة الكلاما
وإن له لرزقا من إماما وأشربة يعل بها الطعاما
وقد أجبناه عن هذا الشعر بقولنا:
لقد أفنيت عمرك بانتظار لمن وارى التراب له عظاما
فليس بشعب رضواء إمام تراجعه الملائكة الكلاما
ولا من عنده عسل وماء وأشربة يعل بها الطعاما
وقد ذاق ابن خولة طعم موت كما قد ذاق والده الحماما
ولو خلد أمرؤ لعلو مجد لعاش المصطفى ابدا وداما

وكان الشاعر المعروف بالسيد الحميرى ايضا على مذهب الكيسانية الذين ينتظرون محمد بن الحنفية ويزعمون أنه محبوس بجبل رضوى الى أن يؤذن له بالخروج ولهذا قال في شعر له:

ولكن كل من فى الأرض فان بذا حكم الذى خلق الإماما

وكان أول من قام بدعوة الكيسائية الى إمامة محمد بن الحنفية المختار بن أبي عبيد الثقفى وكان السبب في ذلك أن عبيد الله بن زياد لما فرغ من قتل مسلم بن عقيل وفرغ من قتل الحسين بن على رضى الله عنه رفع اليه ان المختار بن

الفرق بين الفِرق

أبي عبيد كان ممن خرج مع مسلم بـن عقيـل ثـم اختفـى فـأمر باحضاره فلما دخل عليه رماه بعمود كان فـي يـده فشـتر عينـه وحبسه فتشفع اليه في امره قوم فأخرجه من الحبس وقال لـه قد أجلتك ثلاثة أيام فـان خرجـت فيهـا مـن الكوفـة والا ضـربت عنقك فخرج المختار هاربا من الكوفة الى مكة وبـايع عبـد اللـه بن الزبير وبقى معه الى ان قاتل بن الزبير جند يزيد بن معاويـة الذين كانوا تحت راية الحصين بن نمير السكوتى واشتدت نكاية المختار في تلك الحروب علـى اهـل الشـام ثـم مـات يزيـد بـن معاوية ورجع جند الشام الى الشام واستقام لابـن الزبيـر ولايـة الحجاز واليمن والعراق وفارس ولقى المختـار مـن ابـن الزبيـر جفوة فهرب منه الى الكوفة ووواليهـا يومئـذ عبـد اللـه بـن يزيـد الانصارى من قبل عبد الله بن الزبيـر فلمـا دخـل الكوفـة بعـث رسله الى شـيعة الكوفـة ونواحيهـا الـى المـدائن ودعـاهم الـى البيعة له ووعدهم انه يخرج طالبا بثأر الحسـين بـن علـى رضـى الله عنه ودعاهم الى محمد بن الحنفية وزعم ان ابن الحنفية قد استخلفه وأنه قد أمرهم بطاعته وعزل ابن الزبير في خلال ذلك عبد الله بن يزيد الانصارى عن الكوفة وولاها عبد الله بن مطيـع العدوي واجتمع الى المختار مـن بـايعه فـي السـر وكـانوا زهـاء سبعة عشر الف رجل ودخل في بيعته عبيد الله بـن الحـر الـذي لم يكن في زمانه أشجع منه وابراهيم بن ملك الاشتر ولـم يكـن في شيعة الكوفة أجمل منه ولا أكـثر منـه تبعـا فخـرج بـه علـى والى الكوفة عبد الله بن مبطـع وهـو يؤمئـذ فـي عشـرين الـف ودامت الحرب بينهمـا ايامـا ووقعـت الهزيمـة فـي آخرهـا علـى الزيدية واستولى المختار على الكوفة ونواحيهـا وقتـل كـل مـن كان بالكوفة من الذين قاتلوا الحسين بن على بكربلاء ثم خطب الناس فقال في خطبته:

الحمد لله الذى وعد وليه النصر وعدوه الخسر وجعلهمـا فيهما الى آخر الدهر قضاء مقضيا ووعدا مأتيا يا أيها النـاس قـد سمعنا دعوة الداعي وقبلنا قول الـداعي فكـم مـن بـاغ وباغيـة وقتلى في الواعيه فهلموا عباد الله الـى بيعـه الهـدى ومجاهـدة

الفرق بين الفِرق

العدى فانى انا المسلط على المحلين والطـالب بثـأر ابـن بنـت خاتم النبيين.

ثم نزل عن منبره وانغذ بصاحب شرطته الى دار عمر بن سعد حتى أخذ رأسه ثم أخذ رأس ابنه جعفر بن عمـر وهـو ابـن أخت المختار وقال ذاك برأس الحسين وهذا برأس ابن الحسين الكبير ثم بعث بإبراهيم بن ملك الاشتر مع ستة آلاف رجـل الـى حرب عبيد الله بن زياد وهو يومئذ بالموصل في ثمانين الف من جند الشام قد ولاه عليهـم عبـد الملـك بـن مـروان فلمـا التقـى الجيشـان علـى بـاب الموصـل انهـزم جنـد الشـام وقتـل منهـم سبعون الف في المعركة وقتل عبيد الله بن زياد والحصـين بـن نمير السكوتى وانفذ ابراهيم بن الاشتر برؤوسهم الـى المختـار فلما تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة والمـاهين الـى حـدود ارمينية تكهن بعد ذلك وسجع كأسجاع الكهنـة وحكـى ايضـا انـه ادعى نزول الوحى عليه.

فمن اسجاعه قوله اما والذي أنزل القرآن وبين الفرقان وشـرع الاديـان وكـره العصـيان لاقتلـن النعـاة مـن أزد عمـان ومذحج وهمذان ونهد وخولان وبكر وهزان وثعل ونبهان وعبـس وذبيان وقيس وعيلان.

ثم قال وحق السميع العليم العلى العظيم العزيز الحكيم الرحمن الرحيم لاعركن عرك الاديم أشراف بنى تميم.

ثم رفع خبر المختار الى ابن الحنفية وخاف من جهة الفتنة في الدين فأراد قدوم العراق ليصير اليه الـذين اعتقـدوا إمـامته وسمع المختار ذلك فخـاف مـن قـدومه العـراق ذهـاب رياسـته وولايته فقال لجنده انا على بيعة المهدى ولكـن للمهـدى علامـة وهو أن يضرب بالسيف ضربة فان لم يقطع السيف جلـده فهـو المهدى وانتهى قوله هذا الى ابن الحنفية فأقام بمكة خوفا مـن ان يقتله المختار بالكوفة.

ثم ان المختار خدعته السبابية الغلاة من الرافضة فقالوا له انت حجة هذا الزمان وحملوه على دعـوى النبـوة فادعاهـا عنـد خواصه وزعم أن الوحى ينزل عليه وسـجع بعـد ذلـك فقـال أمـا

وتمشى السحاب الشديد العقاب السريع الحساب الغزير الوهاب القدير الغلاب لانبشن قبر ابن شهاب المفترى الكذاب المجرم المرتاب ثم ورب العالمين ورب البلد الامين لأقتلن الشاعر المهين وراجز المارقين واولياء الكافرين وأعوان الظالمين وإخوان الشياطين الذين اجتمعوا على الاباطيل وتقولوا على الاقاويل الاخطوبى لذوى الاخلاق الحميدة والافعال الشديدة والاراء العتيدة والنفوس السعيدة.

ثم خطب بعد ذلك فقال في خطبته الحمد لله الذي جعلني بصيرا ونور قلبي تنويرا والله لاحرقن بالمصر دورا ولانبشن بها قبورا ولأشفين منها صدورا وكفى بالله هاديا ونصيرا.

ثم أقسم فقال برب الحرم والبيت المحرم والركن المكرم والمسجد المعظم وحق ذي القلم ليرفعن لي علم من هنا الى أضم ثم الى اكناف ذي سلم.

ثم قال اما ورب السماء لينزلن نار من السماء فليحرقن دار أسماء فأنهى هذا القول الى أسماء بن خارجة فقال قد سجع بي أبو إسحاق وأنه سيحرق داري وهرب من داره وبعث المختار الى داره من أحرقها بالليل وأظهر من عنده ان نارا من السماء نزلت فاحرقها.

ثم إن اهل الكوفة خرجوا على المختار لما تكهن واجتمعت السبابية اليه مع عبيد اهل الكوفة لانه وعدهم أن يعطيهم أموال ساداتهم وقاتل بهم الخارجين عليه فظفر بهم وقتل منهم الكثير وأسر جماعة منهم وكان في الأسراء رجل يقال له سراقة بن مرداس البارقى فقدم الى المختار وخاف البارقي أن يأمر بقتله فقال للذين أسروه وقدموه الى المختار ما أنتم أسرتمونا ولا أنتم هزمتمونا بعدتكم وانما هزمنا الملائكة الذين رأيناهم على الخيل البلق فوق عسكركم ف أعجب المختار قوله هذا فاطلق عنه فلحق مصعب بن الزبير بالبصرة وكتب منها الى المختار هذه الابيات:

ألا أبلغ أبا إسحق أنى رأيت البلق دهما مصمتات
أرى عينى ما لم تنظراه كلانا عالم بالترهات

كفرت بوحيكم وجعلت نذرا على قتالكم حتى الممات

وفى هذا الذي ذكرناه بيان سبب كهانة المختار ودعواه الوحى اليه.

واما سبب قوله بجواز البدء على الله عز وجل فهو أن ابراهيم بن الأشتر لما بلغه أن المختار تكهن وادعى نزول الوحي اليه قعد عن نصرته واستولى لنفسه على بلاد الجزيرة وعلم مصعب ابن الزبير ان ابراهيم بن الاشتر لا ينصر المختار فطمع عند ذلك في قهر المختار ولحق به عبيد الله بن الحر الجعفى ومحمد بن الاشعث الكندي واكثر سادات الكوفة غيظا منهم على المختار لاستيلائه على اموالهم وعبيدهم واطمعوا مصعبا في أخذ الكوفة قهرا فخرج مصعب من البصرة في سبعة آلاف رجل من عنده سوى من انضم اليه من سادات الكوفة وجعل على مقدمته المهلب بن ابى صفرة مع اتباعه من الأزد وجعل أعنة الخيل الى عبيد الله بن معمر التيمى وجعل الأحنف بن قيس على خيل تميم فلما انتهى خبرهم الى المختار اخرج صاحبه احمد ابن شميط الى قتال مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكره وأخبرهم بان الظفر يكون لهم وزعم أن الوحى قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم اصحاب المختار وقتل اميرهم ابن شميط واكثر قواد المختار ورجع فلولهم الى المختار وقالوا له لم تعدنا بالنصر على عدونا فقال ان الله تعالى كان قد وعدني ذلك لكنه بدا له واستدل على الله بقول الله عز وجل {يمحو الله ما يشاء ويثبت}. فهذا كان سبب قول الكيسانية بالبداء.

ثم ان المختار باشر قتال مصعب بن الزبير بنفسه بالمذار من ناحية الكوفة وقتل في تلك الواقعة محمد بن الأشعث الكندي قال المختار طابت نفسي بقتله ان لم يكن قد بقى من قتلة الحسين غيره ولا ابالى بالموت بعد هذا ثم وقعت الهزيمة على المختار واصحابه فانهزموا الى دار الامامة بالكوفة وتحصن فيها مع اربعمائة من اتباعه وحاصرهم مصعب فيها ثلاثة ايام حتى فنى طعامهم ثم خرجوا اليه في اليوم الرابع

مستقتلين فقتلوا وقتل المختار معهم قتله أخوان يقال لهما طارف وطريف ابنا عبد الله بن دجاجة من بنى حنيفة وقال أعشى همدان في ذلك:

لقد نبئت والأنباء تنمي بما لآقى الكوارث بالمذار
وما إن سرنى اهلاك قومي وان كانوا وحقك في خسار
ولكنى سررت بما يلاقى أبو إسحق من خزى وعار

فهذا بيان سبب قول الكيسانية بجواز البدء على الله عز وجل.

واختلفت الكيسانية الذين انتظروا محمد بن الحنفية وزعموا انه حى محبوس بجبل رضوى الى ان يؤذن له بالخروج واختلفوا في سبب حبسه هنالك بزعمهم.

فمنهم من قال لله في امره سر لا يعلمه الا هو ولا يعرف سبب حبسه.

ومنهم من قال إن الله تعالى عاقبة بالحبس لخروجه بعد قتل الحسين بن على الى يزيد ابن معاوية وطلبه الأمان منه وأخذه عطاء ثم لخروجه في وجه ابن الزبير من مكة الى عبد الملك بن مروان هاربا من ابن الزبير وزعموا ان صاحبه عامر بن واثلة الكناني سار بين يديه وقال في ذلك المسير لأتباعه:

يا إخواني يا شيعتى لا تبعدوا >< ووازروا المهدى كيما تهتدوا
محمد الخيرات يا محمد >< انت الإمام الطاهر المسدد
لا ابن الزبير السامرى الملحد >< ولا الذي نحن اليه نقصد

وقالوا: انه كان يجب عليه ان يقاتل ابن الزبير ولا يهرب فعصى ربه بتركه قتاله وعصاه بقصده عبدالملك بن مروان وكان قد عصاه قبل ذلك بقصده يزيد بن معاوية ثم إنه رجع من طريقه الى ابن مروان الى الطائف ومات بها ابن عباس ودفنه ابن الحنفية بالطائف ثم سار منها الى الذر فلما بلغ شعب رضوى اختلفوا فيه فزعم المقرون بموته انه مات فيه وزعم المنتظرون له أن الله حبسه هنالك وغيبه عن عيون الناس عقوبة له على الذنوب التى أضافوها اليه الى أن يؤذن له بالخروج وهو المهدى المنتظر.

الفرق بين الفِرق

ذكر الامامية من الرافضة:

هؤلاء الامامية المخالفة للزيدية والكيسانية والغلاة خمس عشرة فرقة كاملية ومحمدية وباقرية وناوسية وشميطية وعمارية واسماعيلية ومباركية وموسوية وقطيعية واثنى عشرية وهشامية وزرارية ويونسية وشيطانية.

ذكر الكاملية منهم:

هؤلاء أتباع رجل من الرافضة كان يعرف بأبى كامل وكان يزعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على وكفر على بتركه قتالهم وكان يلزمه قتالهم كما لزمه قتال اصحاب صفين وكان بشار بن برد الشاعر الأعمى على هذا المذهب وروى انه قيل له ما تقول في الصحابة قال كفروا فقيل له فما تقول في على فتمثل بقول الشاعر:

وما شر الثلاثة ام عمر بصاحبك الذى لا تصبحينا

وحكى أصحاب المقالات عن بشار أنه ضم الى ضلالته في تكفير الصحابة وتكفير على معهم ضلالتين أخريين:

إحداهما قوله يرجع برجعة الاموات الى الدنيا قبل يوم القيامة كما ذهب اليه اصحاب الرجعة من الرافضة.

والثانية قوله بتصويب إبليس في تفضيل النار على الارض واستدلوا على ذلك بقول بشار في شعر له:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وقد رد عليه صفوان الأنصاري في قصيدته التي قال فيها:

زعمت بأن النار اكرم عنصرا وفى الأرض تحيا في الحجارة والزند

ويخلق في أرحامها وارومها أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد

وفى القعر من لج البحار منافع من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد

ولا بد من أرض لكل مطير وكل سبوح في العمائر ذي خد

الفرق بين الفِرق

كـذلك ومـا ينسـاخ فـي الارض ماشـيا علـى بطنـه يمشـى المجانب للقصد
وفى فلك الاجبال فوق مقطم زبرجد املاك الـورى سـاعة الحشد
وفى الحرة [الرجلاءكم من] معادن لهـن مغـارات يتحبـس بالنقد
من الذهب الإبريز والفضـة الـتي تـروق وتغنـى ذا القناعـة والزهد
وكل فلذ من نحاس وآنك ومن زنبق حى ونوشادر سندى
وفيهـا روانيـخ وشـب ومرتـب ومزمـر قشـا غيـر كـاب ولا مكدى
وفيهـا ضـروب القـار والزفـت والمهـا وأصـناف كـبريت مطاولة الوقد
ومن أثمد جوز وكلس وفضة ومن توتيا في معاربها هندى
وكـل يـواقيت الانـام وحليهـا مـن الارض والاحجـار فـاخرة المجد
وفيها مقام الحل والركن والصفا ومستلم الحجاج من جنـه الخلد
مفاخر للطين الذى كان أصلنا ونحن بنوه غير شك ولا جحد
فذلك تدبير ونفع وحكمة وأوضح برهان على الواحد الفرد
فيا بن حليف الشؤم واللؤم والعمى وابعـد خلـق اللـه مـن طرق الرشد
اتهجو أبا بكر وتخلع بعده عليا وتعزو كل ذاك الى برد
كأنك غضبان على الدين كلـه وطـالب ذحـل لا يـبيت علـى حقد
تواتب أقمارا وأنـت مشـوه وأقـرب خلـق اللـه مـن نسـب القرد

وقد هجا حماد عجرد بشارا وقال في هجائه:

ويا أقبح من قرد اذا عمى القرد

وقيل ان بشارا ما جزع من شىء جزعة من هذا البيت وقال يرانى فيصفنى ولا أراه فأصفه.

قال عبد القاهر أكفر هؤلاء الكاملية من وجهين:

أحدهما من جهة تكفيرها جميع الصحابة من غير تخصيص.

والثاني من جهة تفضيلها النار على الارض وقد ذكرنا بعض فضائح بشار بن برد وقد فعل الله به ما استحقه وذلك أنه هجا المهدى فأمر به حتى غرق في دجلة ذلك له خزى في الدنيا ولأهل ضلالته فى الآخرة عذاب أليم.

ذكر المحمدية:

وهؤلاء ينتظرون محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبي طالب ولا يصدقون بقتله ولا بموته ويزعمون أنه في جبل حاجر من ناحية نجد الى ان يؤمر بالخروج وكان المغيرة بن سعيد العجلى في صلاته في التشبيه يقول لأصحابه إن المهدى المنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن على ويستدل على ذلك بان اسمه محمد كاسم رسول الله واسم ابيه عبد الله كاسم أبى رسول الله وقال في الحديث عن النبي عليه السلام قوله في المهدى {ان اسمه يوافق اسمى واسم ابيه اسم ابى}. فلما اظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على دعوته بالمدينة استولى على مكة والمدينة واستولى اخوه ابرهيم بن عبد الله على البصرة واستولى أخوهما الثالث وهو ادريس بن عبد الله على بعض بلاد المغرب وكان ذلك في زمان الخليفة أبى جعفر المنصور فبعث المنصور الى حرب محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بعيسى بن موسى في جيش كثيف وقاتلوا محمدا بالمدينة وقتلوه في المعركة ثم أنفذ بعيسى بن موسى ايضا الى حرب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على مع جنده فقتلوا ابراهيم بباب حمرين على ستة عشر فرسخا من الكوفة ومات في تلك الفتنة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين

بارض المغرب وقيل إنه سم بها ومات عبد الله بن الحسن بن الحسين والد اولئك الاخوة الثلاث في سجن المنصور وقبره بالقادسية وهو مشهد معروف يزار.

فلما قتل محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين بالمدينة اختلفت المغيرية فيه فرقتين:

1) فرقة أقروا بقتله وتبرءوا من المغيرة بن سعيد العجلى وقالوا إنه كذب في قوله إن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين هو المهدى الذى ملك الارض لانه قتل وما ملك الأرض.

2) وفرقة منهم ثبتت على موالاة المغيرة بن سعيد العجلى وقالت إنه صدق في قوله إن المهدى محمد بن عبد الله وإنه لم يقتل وإنما غاب عن عيون الناس وهو في جبل حاجر من ناحية نجد مقيم هناك الى ان يؤمر بالخروج فيخرج ويملك الارض وتعقد البيعة بمكة بين الركن والمقام ويحيا له من الاموات سبعة عشر رجلا يعطى كل واحد منهم حرفا من حروف الاسم الأعظم فيهزمون الجيوش وزعم هؤلاء أن الذي قتله جند عيسى بن موسى بالمدينة لم يكن محمد بن عبد الله بن الحسن.

فهذه الطائفة يقال لهم المحمدية لانتظارهم محمد بن عبد الله بن الحسن.

وكان جابر بن يزيد الجعفى على هذا المذهب وكان يقول برجعة الاموات الى الدنيا قبل القيامة وفى ذلك قال شاعر هذه الفرقة في شعر له:

الى يوم يؤوب الناس فيه الى دنياهم قبل الحساب

وقال أصحابنا لهذه الطائفة إن أجزتم ان يكون المقتول بالمدينة غير محمد بن عبد الله بن الحسن واجزتم ان يكون المقتول هنا شيطانا تصور للناس في صورة محمد بن عبد الله بن الحسن فأجيزوا بأن يكون المقتولون بكربلاء غير الحسين وأصحابه وإنما كانوا شياطين تصوروا للناس بصور الحسين واصحابه وانتظروا حسينا كما انتظرتم محمد بن عبد الله بن

الحسن او انتظروا عليا كما انتظرته السبابية منكم الذين زعموا أنه في السحاب والذى قتله عبد الرحمن بن ملجم كان شيطانا تصور للناس بصورة على وهذا مالا انفصال لهم عنه والحمد لله على ذلك.

ذكر الباقرية منهم:

هؤلاء قوم ساقوا الإمامة من على ابن ابى طالب رضى الله عنه في اولاده الى محمد بن على المعروف بالباقر وقالوا ان عليا نص على امامة ابنه الحسن ونص الحسن على امامة اخيه الحسين ونص الحسين على امامة ابنه على بن الحسين زين العابدين ونص زين العابدين على إمامة محمد بن على المعروف بالباقر وزعموا انه هو المهدى المنتظر بما روى أن النبي عليه السلام قال لجابر بن عبد الله الانصارى انك تلقاه فاقرأه منى السلام وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة وكان قد عمى في آخر عمره وكان يمشى في المدينة ويقول يا باقر يا باقر متى ألقاك فمر يوما في بعض سكك المدينة. إلخ [ناقص]

ذكر الناووسية

وهم أتباع رجل من أهل البصرة كان ينتسب إلى ناووس بها، وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق بنص الباقر عليه، وزعموا أنه لم يمت، وأنه المهدي المنتظر، وزعم قوم [ناقص]

ذكر الشميطية

وهم منسوبون إلى يحيى بن شميط، [ناقص]

ذكر العمارية:

وهم منسوبون إلى زعيم منهم يسمى عمّارا، [ناقص]

ذكر الإسماعيلية:

وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل، وافترق هؤلاء فرقتين:

1) فرقة منتظر لإسماعيل بن جعفر، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه.

2) وفرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر حيث] ان جعفرا نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده فلما مات اسماعيل في حاة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه اسماعيل للدلالة على امامة ابنه محمد بن إسماعيل.

والى هذا القول مالت الاسماعيلية من الباطنية وسنذكرهم في فرق الغلاة بعد هذا

ذكر الموسوية منهم:

هؤلاء الذين ساقوا الإمامة الى جعفر ثم زعموا أن الامام بعد جعفر كان ابنه موسى بن جعفر وزعموا أن موسى بن جعفر حي لم يمت وانه هو المهدي المنتظر وقالوا إنه دخل دار الرشيد ولم يخرج منها وقد علمنا إمامته وشككنا فى موته فلا نحكم في موته إلا بيقين.

فقيل لهذه الفرقة الموسوية اذا شككتم في حياته وموته فشكوا في امامته ولا تقطعوا القول بانه باق وانه هو المهدى المنتظر هذا مع علمكم بأن مشهد موسى بن جعفر معروف في الجانب الغربي من بغداد يزار.

ويقال لهذه الفرقة "موسوية" لانتظارها موسى بن جعفر. ويقال لها "الممطورة" ايضا لان يونس بن عبد الرحمن القمى كان من القطيعية وناظر بعض الموسوية فقال في بعض كلامه انتم أهون على عينى من الكلاب الممطورة.

ذكر المباركية:

هؤلاء يريدون الإمامة في ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر كدعوى الباطنية فيه وقد ذكر أصحاب الانساب في كتبهم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب

الفرق بين الفِرق

ذكر القطعية منهم:

هؤلاء ساقوا الإمامة من جعفر الصادق الى ابنـه موسـى وقطعوا بموت موسى وزعموا أن الامام بعده سـبط محمـد بـن الحسن الذى هو سبط على بن موسى الرضا ويقـال لهـم الاثنـا عشرية ايضا لدعواهم أن الامام المنتظر هـو الثـانى عشـر مـن نسبه الى على بن أبي طالب رضي الله عنه واختلفوا فـي سـن هذا الثانى عشر عند موت ابنه فمنهـم مـن قـال كـان ابـن أربـع سنين ومنهم من قال كان ابن ثمانى سنين واختلفوا في حكمــه في ذلك الوقت فمنهم من زعم أنه في ذلك الـوقت كـان إمامـا عالما بجميع ما يجب أن يعملـه الإمـام وكـان مفـروض الطاعـة على الناس ومنهم من قـال كـان فـي ذلـك الـوقت إمامـا علـى معنى ان الامام لا يكون غيره وكانت الاحكام يومئذ الى العلمـاء من اهل مذهبه الى أوان بلوغه فلما بلغ تحققت إمامته ووجبـت طاعته وهو الآن الإمام الواجب طاعته وان كان غائبا

ذكر الهشامية منهم:

هؤلاء فرقتان فرقة تنسب الى هشام ابن الحكم الرافض والفرقة الثانية تنسـب الـى هشـام بـن سـالم الجـواليقى وكلتـا الفرقتـان قـد ضـمت الـى خيرتهـا فـي الامامـة وضـلالتها فـي التجسيم وبدعتها فى التشبيه.

ذكر قول هشام بن الحكم زعم هشام بن الحكم ان معبوده جسم ذو حد ونهاية وانه طويـل عريـض عميـق وأن طـوله مثـل عرضه مثل عمقه ولم يثبت طـولا غيـر الطويـل ولا عرضـا غيـر العريض وقال ليس ذهابه في جهة الطول أزيد على ذهـابه فـي جهة العرض وزعم ايضا أنه نور ساطع يتلألأ كالسـبيكة الصـافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها وزعم ايضا 4 أنه ذو لون وطعم ورائحة ومجسة وان لونه هـو طعمـه وطعمـه هو رائحته ورائحته هو مجسته ولم يثبت لونا وطعما همـا نفسـه بل زعم انه هو اللون وهو الطعم ثم قال قد كان اللـه ولا مكـان

ثم خلق المكـان بـان تحـرك فحـدث مكـانه بحركتـه فصـار فيـه ومكانه هو العرش.

وحكى بعضهم عن هشام أن قال في معبـوده أنـه سـبعة اشبار بشبر نفسه كأنه قاسه على الانسان لأن كـل انسـان فـي الغالب من العادة سبعة اشبار بشبر نفسه.

وذكر ابو الهذيل في بعض كتبه انه لقى هشام بن الحكم في مكة عند جبل أبي قبيس فسأله أيهما أكبر معبوده أم هذا الجبل قال فاشار الى ان الجبل يوفى عليه تعالى ان الجبل أعظم منه

وحكى ابن الروندى في بعض كتبه عن هشام انه قال بين الله وبين الاجسام المحسوسة تشابه من بعض الوجوه لولا ذلـك مـا دلت عليه.

وذكر الجاحظ في بعض كتبه عن هشام انه قال ان الله عز وجل انما يعلم ما تحت الـثرى بالشـعاع المتصـل منـه والـذاهب في عمق الأرض وقالوا لولا مماسة شـعاعه لمـا وراء الاجسـام السائرة لما رأى ما وراءها ولا علمها.

وذكر ابو عيسى الوراق في كتابه أن بعض أصحاب هشام أجابه الى أن الله عز وجل مماس لعرشه لا يفصل عن العــرش ولا يفصل العرش عنه.

وقد روى أن هشاما مع ضلالته في التوحيد ضل في صفات الله أيضا فأحال القول بأن الله لم يزل عالما بالاشياء.

وزعم أنه علم الاشياء بعد أن لم يكن عالما بها بعلـم وان العلم صفة له ليست هي هو ولا غيره ولا بعضـه. قـال ولا يقـال لعلمه انه قديم ولا محدث لانه صفة وزعم ان الصفة لا توصف.

وقال ايضا في قدرة الله وسمعه وبصره وحياته وإرادته انها لا قديمة ولا محدثة لان الصفة لا توصف وقال فيها انهـا هـى هـو ولا غيره.

وقال ايضا لـو كـان لـم يـزل عالمـا بالمعلومـات لكـانت المعلومات أزلية لانه لا يصح عالم الا بمعلوم موجود كـأنه أحـال تعلق العلم بالمعدوم وقال ايضا لو كان عالما بمـا يفعلـه عبـاده قبل وقوع الافعال منهم لم يصح منه الا اختيار العباد وتكليفهم.

الفرق بين الفِرق

وكان هشام يقول في القرآن انه لا خالق ولا مخلـوق ولا يقال انه غير مخلوق لانه صفة والصفة لا توصف عنده.

واختلفت الرواية عنه في أفعـال العبـاد فـروى عنـه انهـا مخلوقة لله عز وجل وروى عنه انهـا معـان وليسـت بأشـياء ولا أجسام لان الشيء عنده لا يكون إلا جسما.

وكان هشام يجيز على الانبياء العصيان مع قـوله بعصـمة الائمة من الذنوب وزعم ان نبيه صلى اللـه عليـه وسـلم عصـى ربه عز وجل في أخذ الفدا من أسارى بدر غير أن الله عز وجـل عفى عنه وتأول على ذلك قول الله تعالى {ليغفـر لـك اللـه مـا تقدم من ذنبك وما تأخر}. وفرق في ذلك بين النبي والإمام بان النبي إذا عصى اتاه الوحى بالتنبيه على خطاياه والإمام لا ينـزل عليه الوحى فيجب أن يكون معصوما عن المعصية.

وكان هشام على مذهب الإمامية في الامامة وأكفره سائر الامامية باجازته المعصية على الانبياء وكان هشـام يقـول بنفـى نهاية أجـزاء الجسـم وعنـه أخـذ النظـام إبطـال الجـزء الـذى لا يتجزى.

وحكى زرقان عنه في مقالته أنه قال بمداخلـة الاجسـام بعضها في بعض كما أجاز النظام تداخل الجسمين اللطيفين في حيز واحد.

وحكى عنه زرقان انه قال الانسان شيئان بدن وروح والبدن موات والروح حساسة مدركة فاعلة وهى نور من الانوار.

وقال هشام في سبيل الزلزلة ان الارض مركبة من طبائع مختلفة يمسـك بعضـها بعضـا فـاذا ضـعفت طبيعـة منهـا غلبـت الاخـرى فكـانت الزلزلـة فـان ازدادت الطبيعـة ضـعفا كـان الخسف.

وحكى زرقان عنه أنه أجاز المشى على الماء لغير نبى مع قوله بأنه لا يجوز ظهور الاعلام المعجزة على غير نبى.

ذكر هشام بن سالم الجواليقى هذا الجواليقى مع رفضـه على مذهب الاماميه مفرط في التجسيم والتشبيه لأنه زعـم أن

معبوده على صورة الانسان ولكنه ليس بلحم ولا دم بل هو نــور ساطع بياضا.

وزعم انه ذو حواس خمس كحواس الانسان وله يد ورجل وعين وأذن وأنف وفم وانه يسمع بغير ما يبصر به وكذلك ســائر حواســه متغـايرة وأن نصـفه الأعلـى مجـوف ونصـفه الاسـفل مصمت

وحكى ابو عيسى الوراق أنه زعم أن لمعبوده وفرة سوداء وانه نور اسود وباقيه نور أبيض.

وحكى شيخنا أبو الحسن الاشعرى في مقالاته: أن هشام بن سالم قال في ارادة الله تعالى بمثل قول هشام بن الحكم فيهـا وهى أن ارادته حركة وهى معنى لا هى اللــه ولا غيــره وان اللــه تعالى اذا أراد شيئا تحرك فكان ما أراد.

قال ووافقهما أبو مالك الحضرمى وعلى بن ميثم وهما من شيوخ الروافض ان ارادة اللــه تعـالى حركـة غيـر انهمـا قـالا إن إرادة الله تعالى غير

وحكى ايضا عن الجواليقى أنه قال في أفعال العبـاد أنهـا أجسام لانه لا شىء في العالم إلا الاجسام وأجاز ان يفعل العباد الاجسام وروى مثل هذا القول عن شيطان الطاق ايضا.

ذكر الزرارية منهم:

هؤلاء اتباع على زرارة بن أعين وكان على مذهب القحضية القـائلين باماـمـة عبـد اللــه بـن جعفـر ثـم انتقـل الـى مـذهب الموسوية وبدعته المنسوبة اليه قوله بان الله عز وجل لم يكـن حيا ولا قادرا ولا سميعا ولا بصيرا ولا عالما ولا مريدا حـتى خلـق لنفسه حياة وقدرة وعلما وإرادة وسـمعا وبصـرا فصـار بعـد أن خلق لنفسه هذه الصفات حيا قادرا عالما مريـدا سـميعا بصـيرا وعلى منوال هذا الضال نسجت القدريـة البصـرية بحـدوث اللــه وحدوث كلامه وعليه نسجت الكرامية قولها بحـدوث قـول اللــه وإرادته وإدراكاته.

الفرق بين الفِرق

ذكر اليونسية منهم:

هؤلاء اتباع يونس بن عبد الرحمن القمى وكان في الامامية على مذهب القطيعية الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر وهو الذي لقب الواقفة في موت موسى بالكلاب الممطورة وأفـرط يونس هذا في باب التشبيه فزعم ان الله عز وجل يحمله حملـة عرشه وهو أقوى منهم كما ان الكرسى يحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه واستدل على أنه محمول بقـول ويحمـل عـرش ربـك فوقهم يومئذ ثمانية وقال اصحابنا الآية دلالة على ان العرش هو المحمول دون الرب تعالى.

ذكر الشيطانية منهم:

هؤلاء أتباع محمد بن النعمان الرافضى الملقب بشيطان الطـاق الـى ابنـه موسـى وقطـع بمـوت موسـى وانتظـر بعـض أسباطه وشارك هشام بـن سـالم الجـواليقى فـي دعواهمـا أن أفعال العباد أجسام وأن العبد يصـح أن يفعـل الجسـم وشـارك هشام بن الحكم وتكليفهم وزعم أيضا أن الله تعـالى إنمـا يعلـم الاشياء اذا قدرها وأرادها ولا يكون قبـل تقـديره الاشـياء عالمـا بها، وإلا ما صح تكليف العباد.

قال عبد القاهر قد ذكرنا في هذا الفصل فرق الرفض بين الزيدية والكيسانية والامامية والكيسانية منهم اليـوم مغمـورون في غمار أخلاط الزيدية والامامية وبين الزيدية والامامية منهـم معاداة تورث تضليل بعضهم بعضا وقال بعض الشعراء الإماميـة يهجى الزيدية:

يا أيها الزيدية المهملة إمامكم ذا آفة مرسله
يا ضمات الحق تبا لكم غصتم فأخرجتم لنا جندله

فاجابه شاعر الزيدية:

إمامنا منتصب قائم لا كالذى يطلب بالعربلة
كل إمام لا يرى جهرة ليس يساوى عندنا خردلة

قال عبد القاهر قد أجبنا الفريقين عن شعرهما بقولنا:

يا أيها الرافضة المبطلة دعواكم من أصلها مبطلة

الفرق بين الفِرق

إمامكم ان غاب في ظلمة فاستدركوا الغائب بالمشعله
أو كان مغمورا باغماركم فاستخرجوا المغمور بالغربلة
لكن إمام الحق في قولنا من سنة أو أية منزلة
وفيهما للمهتدى مقنع كفى بهذين لنا منزله

{الفصل الثاني}
من فصول هذا الباب
في بيان مقالات فرق الخوارج

قد ذكرنا قبل هذا أن الخوارج عشرون فرقة وهذه أسماؤها المحكمة الاولى الأزارقة والنجدات والصفرية ثم العجاردة المفترقة فرقا منها الخازمية والشعيبية والمعلومية والمجهولية وأصحاب طاعة لا يراد الله تعالى بها والصلتية والاخنسية والشيبية والشيبانية والمعبدية والرشيدية والمكرمية والخمرية والشمراخية والابراهيمية والوافقة والاباضية منهم افترقت فرقا معظمها فريقان حفصية وحادثية فأما اليزيدية من الأباضية والميمونية من العجاردة فانها فرقتنا من غلاة الكفرة الخارجين عن فرق الامة وسنذكرهما في باب ذكر فرق الغلاة بعد هذا ان شاء الله عز وجل.

وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها فذكر الكعبى في مقالاته أن الذى يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها إكفار على وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من رضى بتحكيم الحكمين والإكفار بارتكاب الذنوب ووجوب الخروج على الإمام الجائر.

وقال شيخنا أبو الحسن الذى يجمعها إكفار على وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضى بالتحكيم وصوب الحكمين او أحدهما ووجوب الخروج على السلطان الجائر ولم يرض ما حكاه الكعبى من إجماعهم على تكفير مرتكبى الذنوب الصواب ما حكاه شيخنا أبو الحسن عنهم وقد أخطأ الكعبى في دعواه إجماع الخوارج على تكفير مرتكبى الذنوب منهم وذلك

الفرق بين الفِرق

ان النجـدات مـن الخـوراج لا يكفـرون أصـحاب الحـدود مـن موافقتهم.

وقد قال قوم من الخوارج ان التكفير انما يكون بالذنوب التي ليس فيها وعيد مخصوص فاما الـذى فيـه حـد او عيـد فـي القرآن فلا يزاد صاحبه على الاسم الذى ورد فيـه مثـل تسـميته زانيا وسارقا ونحو ذلك.

وقد قالت النجدات إن صاحب الكبيرة من موافقتهم كافر نعمة وليس فيه كفر دين.

وفى هذا بيان خطإ الكعبى في حكايته عن جميع الخوارج تكفير أصحاب الذنوب كلهم منهم ومن غيرهم.

وإنما الصواب فيما يجمع الخوارج كلهـا مـا حكـاه شـيخنا الحسن رحمه الله من تكفيرهم عليا وعثمـان وأصـحاب الجمـل والحكمين ومـن صـوبهما او صـوب احـدهما أو رضـى بـالتحكيم ونذكر الآن تفصيل كل فرقة منهم إن شاء الله عز وجل.

ذكر المحكمة الأولى منهم: يقال للخوارج محكمـة وشراة.

واختلفوا في اول من تشرى منهم فقيل عروة بن حدير أخو مرادس الخـارجى وقيـل اولهـم يزيـد بـن عاصـم المحـاذى وقيل رجل من ربيعة من بنى يشكر كان مع علـى بصـفين فلمـا رأى اتفاق الفريقين على الحكمين استوى علـى فرسـه وحمـل على أصحاب معاوية وقتل منهم رجلا وحمل على أصحاب علـى وقتل منهم رجلا ثم نادى بـأعلى صـوته ألا إنـى قـد خلعـت عليـا ومعاوية وبرئت من حكمهما ثم قاتـل أصـحاب علـى حـتى قتلـه قوم من همذان.

ثم إن الخوارج بعد رجوع على من صفين الى الكوفة انحازوا الى حرورا وهم يومئذ اثنـا عشـر الفـا ولـذلك سـميت الخـوارج حرورية وزعيمهم يومئذ عبد الله بن كوا وشبث بن ربعى وخـرج اليهم على وناظرهم ووضحت حجته عليهـم فاسـتأمن اليـه ابـن الكـوا مـع عشـرة مـن الفرسـان وانحـاز البـاقون منهـم الـى

النهروان وأمروا على أنفسهم رجلين أحدهما عبد الله بن وهب الراسبى والآخر حرقوص بن زهير البجلي العرني المعروف بذى الثدية والتقوا في طريقهم الى نهروان برجل رأوه يهرب منهم فأحاطوا به وقالوا له من أنت قال انا عبد الله بن حباب بن الأرت فقالوا له حدثنا حديثا سمعته عن أبيك عن رسول الله فقال سمعت أبي يقول قال رسول الله ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى خير من الساعى فمن استطاع ان يكون فيها مقتولا فلا يكونن قاتلا فشد عليه رجل من الخوارج يقال له مسمع بن قدلي بسيفه فقتله فجرى دمه فوق ماء النهر كالشراك الى الجانب الآخر ثم إنهم دخلوا منزله وكان في القرية التى قتلوه على بابها فقتلوا ولده وجاريته أم ولده ثم عسكروا بنهروان وانتهى خبرهم الى على رضي الله عنه فسار اليهم في أربعة ألف من أصحابه وبين يديه عدى بن حاتم الطائى وهو يقول:

نسير اذا ما كاع قوم وبلدوا برايات صدق كالنسور الخوافق
الى شر قوم من شراة تحزبوا وعادوا إله الناس رب المشارق
طغاة عماة مارقين عن الهدى وكل ينفى قوله غير صادق
وفينا على ذو المعالى يقودنا اليهم جهارا بالسيوف البوارق

فلما قرب على منهم أرسل اليهم على: أن سلموا قاتل عبد الله ابن حباب فأرسلوا اليه إنا كلنا قتله ولئن ظفرنا بك قتلناك فأتاهم على في جيشه وبرزوا اليه يجمعهم فقال لهم قبل القتال ماذا نقمتم منى فقالوا له اول ما نقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا في عسكرهم من المال ومنعتنا من سبى نسائهم وذراريهم فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية فقال إنما أبحت لكم أموالهم بدلا عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومى عليهم والنساء والذرية لم يقاتلونا وكان لهم حكم الاسلام بحكم دار الاسلام ولم يكن منهم ردة عن الاسلام ولا

الفرق بين الفِرق

يجوز استرقاق من لم يكفر وبعد لو أبحت لكم النساء أيكم يأخذ عائشة فى سهمه فخجل القوم من هذا ثم قالوا له نقمنا عليك محو إمرة أمير المؤمنين على اسمك في الكتاب بينك وبين معاوية لما نازعك معاوية في ذلك فقال فعلت مثل ما فعل رسول الله يوم الحديبية حين قال له سهيل بن عمرو لو علمت انك رسول الله لما نازعتك ولكن اكتب باسمك واسم ابيك فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو وأخبرنى رسول الله ان لى منهم يوما مثل ذلك فكانت قصتى في هذا مع الأبناء قصة رسول الله مع الآباء فقالوا له فلم قلت للحكمين إن كنت اهلا للخلافة فأثبتانى فإن كنت في شك من خلافتك فغيرك بالشك فيك اولى فقال إنما أردت بذلك النصفة لمعاوية ولو قلت للحكمين احكما لى بالخلافة لم يرض بذلك معاوية وقد دعا رسول الله عليه السلام نصارى نجران الى المباهلة وقال لهم {تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين}. فانصفهم بذلك عن نفسه ولو قال ابتهل فاجعل لعنة الله عليكم لم يرض النصارى بذلك لذلك أنصفت انا معاوية من نفسى ولم أدر غدر عمرو بن العاص قالوا فلم حكمت الحكمين في حق كان لك فقال وجدت رسول الله قد حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة ولو شاء لم يفعل وأقمت أنا أيضا حكما لكن حكم رسول الله عليه السلام حكم بالعدل وحكمى خدع حتى كان من الامر ما كان فهل عندكم شيء سوى هذا فسكت القوم وقال اكثرهم صدق والله وقالوا التوبة واستأمن اليه منهم يومئذ ثمانية الف وانفرد منهم أربعة الآف بقتاله مع عبد الله بن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير البجلى وقال على للذين استأمنوا اليه اعتزلونى في هذا اليوم وقاتل الخوارج بالذين قدموا معه من الكوفة وقال لاصحاب قاتلوهم فوالذى نفسى بيده لا يقتل منا عشرة ولا ينجو عشرة منهم فقتل من أصحاب على يومئذ تسعة وهم دويبية بن وبرة البجلى وسعد بن مجالد السيبعى وعبد الله بن حماد الجهيرى ورقانة

بن وائل الارجى والفياض بن خليل الازدى وكبسوم بن سلمة الجهنى وعتبة بن عبيد الخلاوني وجميع بن جشم الكندى وحبيب بن عاصم الأودى قتل هؤلاء التسعة تحت راية على رضى الله عنه فحسب وبرز حرقوص بن زهير الى على وقال يا بن أبى طالب والله لا نريد بقتالك إلا وجه الله والدار الآخرة وقال له على بل مثلكم كما قال الله عز وجل {هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا}. منهم أنتم ورب الكعبة ثم حمل عليهم في أصحابه وقتل عبد الله بن وهب في المبارزة وصرع ذو الثدية عن فرسه وقتلت الخوارج يومئذ فلم يفلت منهم غير تسعة أنفس صار منهم رجلان الى سجستان ومن اتباعهما خوارج سجستان ورجلان صارا الى اليمن ومن أتباعهما أباضية اليمن ورجلان صارا الى عمان ومن اتباعهما خوارج عمان ورجلان صارا الى ناحية الجزيرة ومن اتباعهما كان خوارج الجزيرة ورجل منهم صار الى تل مورون وقال على لاصحابه يومئذ اطلبوا ذا الثدية فوجدوه تحت دالية ورأوا تحت يده عند الابط مثل ثدى المراة فقال صدق الله ورسوله وأمر فقتل.

فهذه قصة المحكمة الاولى وكان دينهم كفار على وعثمان وأصحاب الجمل ومعاوية واصحابه والحكمين ومن رضى بالتحكيم وإكفار كل ذى ذنب ومعصية.

ثم خرج على على بعد ذلك من الخوراج جماعة كانوا على رأي المحكمة الاولى منهم أشرس بن عوف وخرج عليه بالأنبار وغلفة التيمى من تيم عدى خرج عليه بماسيذان والاشهب بن بشر العرنى خرج عليه بحر جرايا وسعد بن قفل خرج عليه بالمدائن وابو مريم السعدى خرج عليه في سواد الكوفة فاخرج على الى كل واحد منهم جيشا مع قائد حتى قتلوا أولئك الخوارج ثم قتل على رضي الله عنه في تلك السنة في شهر رمضان سنة ثمانى وثلاثين من الهجرة.

فلما استوت الولاية لمعاوية خرج عليه وعلى من بعده الى زمان الازارقة قوم كانوا على رأى المحكمة الأولى.

منهم عبد الله بن جوشا الطائى خرج على معاوية بالنخيلة من سواد الكوفة فأخرج معاويـة اليـه اهـل الكوفـة حـتى قتلـوا اولئك الخوراج.

ثم خرج عليه حوثرة بن وداع الأسدي وكان من المستأمنين الى على يوم النهروان في سنة احدى وأربعين.

ثم خرج قروة بن نوفل الأشجعى المسـتورد بـن علقمـة التميمى على المغيرة بن شعبة وهو يومئذ امير الكوفة من قبل معاوية فقتلا في حربه.

ثم خرج معاذ بن جرير على المغيرة فقتل في حربه.

ثم خرج زياد بن خراش العجلى على زياد بن أبيه فقتل في حربه.

وخرج قريب بن مرة على عبيد الله بن زياد وخرج عليه ايضا زحاف بن رحر الطائى واستعرضا الناس في الطريـق بالسـيف فأخرج بن زيـاد اليهمـا بعبـاد بـن الحصـين الحيطـى فـي جيـش فقتلوا اولئك الخوارج.

فهؤلاء هم الخوارج الذين عاونوا على المحكمة الاولى قبل فتنة الأزارقة والله اعلم.

ذكر الأزارقة منهم:

هؤلاء اتباع نافع بن الازرق الحنفي المكنى بأبى راشد ولم تكن للخوارج قط فرقة اكثر عددا ولا أشد منهم شوكة.

والذى جمعهم من الدين أشياء:

منها قولهم بأن مخالفيهم من هذه الامة مشركون وكانت المحكمة الاولى يقولون إنهم كفرة لا مشركون.

ومنها قولهم إن القعدة ممن كان على رأيهم عن الهجرة اليهم مشركون وإن كانوا على رأيهم وكانت المحكمة الاولـى لا يكفرون القعدة عنهم اذا كانوا على رأيهم.

ومنها أنهم أوجبوا امتحان من قصد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم أن يدفع اليه اسير من مخالفيهم وأمروه بقتلـه فـإن قتلـه

صدقوه في دعـواه أنـه منهـم وان لـم يقتلـه قـالوا هـذا منـافق ومشرك وقتلوه.

ومنها أنهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم وقتل أطفـالهم وزعموا أن الاطفال مشركون وقطعـوا بـأن أطفـال مخـالفيهم مخلدون في النار.

واختلفوا في أول من أحدث ما انفردت الأزارقة به من إكفار القعدة عنهم ومن امتحان من قصد عسكرهم.

فمنهم من زعم أن أول من أحدث ذلك منهم عبد ربه الكبير ومنهم من قال عبد ربه الصغير.

ومنهم من قال أول من قال ذلك رجل منهم اسمه عبد الله ابن الوضين وخالف نافع بن الأزرق في ذلك واستتابه منـه فلمـا مـات ابـن الوضـين رجـع نـافع واتبـاعه الـى قـوله وقـالوا كـان الصواب معه ولم يكفر نافع نفسه بخلافه إياه حين خالفه وأكفر من يخالفه بعد ذلك ولم يتبرأ من المحكمـة الاولـى فـي تركهـم إكفار القعدة عنهم وقال ان هذا شىء ما زلنا دونهم وأكفـر مـن يخالفهم بعد ذلك في اكفار القعدة عنهم.

وزعم نافع واتباعه أن دار مخالفيهم دار كفر ويجوز فيها قتل الأطفال والنساء وأنكرت الأزارقة الرجم واستحلوا كفر الأمانـة التي أمر اللـه تعـالى بأدائهـا وقـالوا ان مخالفينـا مشـركون فلا يلزمنـا إذا امانتنـا إليهـم ولـم يقيمـوا الحـد علـى قـاذف الرجـل المحصن وأقاموه على قاذف المحصنات من النساء وقطعوا يد السارق في القليل والكثير ولم يعتبروا في السرقة نصابا.

وأكفرتهم الأمة في هذه البدع التي أحدثوها بعد كفرهم الذى شاركوا فيه المحكمة الاولى فبـاءوا بكفـر علـى كفـر كمـن بـاء بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين.

ثم الازارقة بعد اجتماعها على البدع التى حكيناهـا عنهـم بـايعوا نـافع بـن الازرق وسـموه أميـر المـؤمنين وانضـم اليهـم خوارج عمان واليمان فصاروا اكثر مـن عشـرين ألفـا واسـتولوا على الأهواز وما وراءها من أرض فارس وكرمان وجبوا خراجهـا وعامل البصرة يومئذ عبد الله بن الحرث الخزاعى من قبل عبد

الله بن الزبير فأخرج عبد الله بن الحرث جيشا مع مسلم بن عبس بن كريز بن حبيب بن عبد شمس لحرب الأزارقة فاقتتل الفريقان بدولاب الاهواز فقتل مسلم ابن عبس وأكثر أصحابه فخرج الى حربهم من البصرة عثمان ابن عبيد الله بن معمر التميمى فى ألفى فارس فهزمته الازارقة فخرج اليهم حارثة بن بدر الفدانى في ثلاثة آلاف من جند البصرة فهزمتهم الازارقة فكتب عبد الله بن الزبير من مكة الى المهلب ابن أبي صفرة وهو يومئذ بخراسان يأمره بحرب الازارقة وولاه ذلك فرجع المهلب الى البصرة وانتخب من جندها عشرة آلاف وانضم اليه قومه من الأزد فصار في عشرين ألفا وخرج وقاتل الأزارقة وهزمهم عن دولاب الأهواز إلى الأهواز ومات نافع ابن الأزرق في تلك الهزيمة وبايعت الأزارقة بعده عبيد الله بن مأمون التميمى وقاتلهم المهلب بعد ذلك بالاهواز فقتل عبيد الله بن مأمون في تلك الواقعة وقتل ايضا أخوه عثمان بن مأمون مع ثلثمائة من أشد الازارقة وانهزم الباقون منهم الى ايدج وبايعوا قطرى بن الفجاءة وسموه أمير المؤمنين وقاتلهم المهلب بعد ذلك حروبا كانت سجالا وانهزمت الأزارقة في آخرها الى سابور من أرض فارس وجعلوها دار هجرتهم وثبت المهلب وبنوه وأتباعهم على قتالهم تسع عشرة سنة بعضها في أيام عبد الله بن الزبير وباقيها في زمان خلافة عبد الملك بن مروان وولاية الحجاج على العراق وقرر الحجاج المهلب على حرب الازارقة فدامت الحرب في تلك السنين بين المهلب وبين الازارقة كرا وفرا فيما بين فارس والاهواز الى أن وقع الخلاف بين الازارقة ففارق عبد ربه الكبير قطريا وصار الى واد بجيرفت كرمين في سبعة آلاف رجل وفارقه عبد ربه الصغير في أربعة آلاف وصار الى ناحية اخرى من كرمان وبقى قطري في بضعة عشر ألف رجل بأرض فارس وقاتله المهلب بها وهزمه الى أرض كرمان وتبعه وقاتله بأرض كرمان وهزمه منها الى الرى ثم قاتل عبد ربه الكبير فقتله وبعث بابنه يزيد بن المهلب الى عبد ربه الصغير فأتى عليه وعلى اصحابه وبعث الحجاج سفين بن الأبرد

الكلبى في جيش كثيف الى قطرى بعد أن انحاز من الـرى الـى طبرستان فقتلوه بها وانفذوا برأسه الى الحجاج وكان عبيدة بن هلال اليشكرى قد فارق قطريا وانحاز الى قومس فتبعه سـفين بن الابرد وحاصره في حصن قومس الى ان قتلـه وقتـل اتبـاعه وطهر الله بذلك الارض من الازارقة والحمد لله على ذلك.

ذكر النجدات منهم:

هؤلاء اتباع نجدة بن عامر الحنفى وكان السبب في رياسته وزعامته أن نافع بن الازرق لما أظهر البراءة من القعدة عنه ان كانوا على رايه وسماهم مشركين واستحل قتل أطفال مخالفيه ونسـائهم وفـارقه أبـو قـديل وعطيـة الحنفـى وراشـد الطويـل ومقلاص وأيوب الأزرق وجماعة من اتباعهم وذهبوا الى اليمامة فاستقبلهم نجدة بن عامر في جند من الخوارج يريدون اللحـوق بعسـكر نـافع فـاخبروهم بأحـداث نـافع وردوهـم الـى اليمامـة وبايعوا بها نجدة بن عامر وأكفروا من قال بإكفار القعـدة منهـم عن الهجرة اليهم وأكفروا مـن ق ال بإمامـة ن افع وأقـاموا علـى إمامة نجدة الى أن اختلفـوا عليـه فـي امـور نقموهـا منـه فلمـا اختلفوا عليه صاروا ثلاث فرق:

1) فرقة صارت مع عطيـة بـن الأسـود الحنفـى الـى سجستان وتبعهم خوارج سجستان ولهذا قيل لخوارج سجستان في ذلك الوقت عطوية.
2) وفرقة صارت مع أبي قديل حربا على نجدة وهـم الذين قتلوا نجدة.
3) وفرقـة عـدروا نجـدة فـي احـداثه وأقـاموا علـى إمامته والذى نقمه على نجدة اتباعه أشياء:

منها انه بعث جيشا في غزو البر وجيشا فـي غـزو البحـر ففضل الذين بعثهم في البر على الـذين بعثهـم فـي البحـر فـي الرزق والعطا.

ومنها أنه بعث جيشا فأغاروا على مدينة الرسـول عليـه السـلام وأصابوا منها جارية من بنات عثمان بن عفـان فكتـب اليـه عبـد

الملك في شأنها فاشتراها من الذى كانت في يـديه وردهـا الـى عبد الملك بن مروان فقالوا له إنك رددت جارية لنا على عدونا.

ومنها أنه عذر أهل الخطأ فـي الاجتهـاد بالجهـالات وكـان السبب في ذلك أنه بعث ابنه المطرح مع جند من عسـكره الـى القطيـف فأغـاروا عليهـا وسـبوا منهـا النسـاء والذريـة وقومـوا النساء على أنفسهم ونكحوهن قبل إخراج الخمس من الغنيمـة وقالوا ان دخلت النساء في قسمنا فهو مرادنا وان زادت فيمهن على نصيبنا من الغنيمة غرمنا الزيـادة مـن أموالنـا فلمـا رجعـوا الى نجدة سألوه عما فعلوا من وطـء النسـاء ومـن أكـل طعـام الغنيمة قبل إخراج الخمس منها وقبـل قسـمة أربعـة أخماسـها بين الغانمين فقال لهم لم يكن لكم ذلك فقالوا لم نعلم ان ذلك لا يحل لنا فعذرهم بالجهالـة ثـم قـال ان الـدين أمـران أحـدهما معرفـة اللـه تعـالى ومعرفـة رسـله وتحريـم دمـاء المسـلمين وتحريم غصب اموال المسلمين والإقرار بما جاء مـن عنـد اللـه تعالى جملة فهذا واجـب معرفتـه علـى كـل مكلـف ومـا سـواه فالناس معذورون بجهالته حـتى يقيـم عليـه الحجـة فـي الحلال والحرام فمن استحل باجتهاده شـيئا محرمـا فهـو معـذور ومـن خاف من العذاب على المجتهد المخطىء قبل قيام الحجة عليه فهو كافر.

ومن بدع نجدة ايضا انه تولى اصحاب الحدود من موافقيه وقال لعل الله يعذبهم بذنوبهم فـي غيـر نـار جهنـم ثـم يـدخلهم الجنة وزعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه.

ومن ضلالاته أيضا أنه أسقط حد الخمر.

ومنها ايضا أنه قال من نظر نظرة صغيرة أو كـذب كذبـة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك ومن زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم اذا كان من موافقيه على دينه.

فلما أحدث هذا الإحداث وعذر اتباعه بالجهالات استتابه أكثر أتباعه من إحداثه وقالوا له اخرج الى المسجد وتب من إحـداثك ففعل ذلك.

الفرق بين الفِرق

ثم ان قوما منهم ندموا على استتابته وانضموا الى العاذرين له وقالوا له أنت الإمام ولك الاجتهاد ولم يكن لنا ان نستتيبك فتب من توبتك واستتب الذين استتابوك وإلا نابذناك ففعل ذلك فافترق عليه أصحابه وخلعه اكثرهم وقالوا له اختر لنا إماما فاختار أبا فديك وصار راشد الطويل مع أبى فديك يدا واحدة فلما استولى أبو فديك على اليمامة علم ان أصحاب نجدة اذا عادوا من غزواتهم أعادوا نجدة الى الإمارة فطلب عبده ليقتله فاختفى نجدة في دار بعض عاذريه ينتظر رجوع عساكره الذين كان قد فرقهم في سواحل الشام ونواحى اليمن ونادى منادى أبى فديك من دلنا على نجدة فله عشرة آلاف درهم وأى مملوك دلنا عليه فهو حر فدلت عليه أمة للذين كان نجدة عندهم فأنفذ أبو فديك راشدا الطويل في عسكر اليه فكسبوه وحملوا رأسه الى أبى فديك.

فلما قتل نجدة صارت النجدات بعده ثلاث فرق:

1) فرقة أكفرته وصارت الى أبى فديك كراشد الطويل وأبى بيهس وأبى الشمراخ واتباعهم.
2) وفرقة عذرته فيما فعل وهم النجدات اليوم.
3) وفرقة من النجدات بعدوا عن اليمامة وكانوا بناحية البصرة شكوا فيما حكى من احداث نجدة توقفوا في أمره وقالوا لا ندري هل أحدث تلك الأحداث ام لا فلا نبرأ منه الا باليقين.

وبقى ابو فديك بعد قتل نجدة الى ان بعث اليه عبد الملك بن مروان يعمر بن عبيد الله بن معمر التيمى في جند فقتلوا أبا فديك وبعثوا برأسه الى عبد الملك بن مروان فهذه قصة النجدات.

ذكر الصفرية من الخوارج:

هؤلاء اتباع زياد بن الأصفر وقولهم في الجملة كقول الأزارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون غير أن الصفرية لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم والأزارقة يرون ذلك وقد

الفرق بين الفِرق

زعمت فرقة من الصفرية أن ما كان من الأعمال عليه حد واقع لا يسمى صاحبه الا بالاسم الموضوع له كزان وسارق وقاذف وقاتل عمد وليس صاحبه كافرا ولا مشركا وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر وان المواعن كذا المذنب اسم الايمان في الوجهين جميعا وفرقة ثالثة من الصفرية قالت بقول من قال من البيهسية ان صاحب الذنب لا يحكم عليه بالكفر حتى يرفع الى الوالي فيحده فصارت الصفرية على هذا التقدير ثلاث فرق:

1) فرقة تزعم أن صاحب كل ذنب مشرك كما قالت الازارقة.
2) والثانية تزعم أن اسم الكفر واقع على صاحب دين ليس فيه حد والمحدود في ذنبه خارج عن الايمان وغير داخل في الكفر.
3) والثالثة تزعم أن اسم الكفر يقع على صاحب الذنب اذا حده الوالي على ذنبه.

وهذه الفرق الثلاث من الصفرية يخالفون الأزارقة في الاطفال والنساء كما بيناه قبل هذا وكل الصفرية يقولون بموالاة عبد الله بن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير واتباعهما من المحكمة الاولى ويقولون بإمامة ابى بلال مرداس الخارجى بعدهم وبإمامة عمران بن حطان السدويسي بعد ابى بلال.

فأما ابو بلال مرداس فإنه خرج في أيام يزيد بن معاوية بناحية البصرة على عبيد الله بن زياد فبعث اليه عبيد الله بن زياد بزرعة بن مسلم العامرى في ألفى فارس وكان زرعة يميل الى قول الخوارج فلما اصطف الفريقان للقتال قال زرعة لأبى بلال أنتم على الحق ولكنا نخاف من ابن زياد أن يسقط عطانا فلا بد لنا من قتالكم فقال له أبو بلال وددت لو كنت قبلت فيكم قول أخى عروة فإنه اشار على بالاستعراض لكم كما استعرض قريب وزحاف الناس في طرقهم بالسيف ولكنى خالفتهما وخالفت أخى ثم حمل ابو بلال وأتباعه على زرعة وجنده فهزموهم ثم إن عبيد الله بن زياد بعث اليه بعباد بن

أخضر التميمى فقاتل ابا بلال بنـوج وقتلـه مـع اتبـاعه فلمـا ورد على ابن زياد خبر قتل أبى بلال قتل مـن وجـدهم بالبصـرة مـن الصفرية وظفر بعروة أخى مرداس فقال له يا عدو الله أشـرت على اخيك مرداس بالاستعراض للناس فقـد انتقـم اللـه تعـالى للناس منك ومن أخيك ثم أمر به فقطعت يداه ورجلاه وصلبه.

فلما قتل مرداس اتخذت الصفرية عمران بن حطان إماما وهو الذى رثى مرداسا بقصائد يقول في بعضها:

أنكرت بعدك ما قد كنت اعرفه ما الناس بعدك يا مـرداس بالناس

وكان عمران بن حطان هذا ناسكا شاعرا شديدا في مذهب الصفرية وبلغ من خبثة في غزوة على رضي الله عنـه أنـه رثـى عبد الرحمن بن ملجم وقال في ضربه عليا:

يـا ضـربة مـن منيـب مـا أراد بهـا الا ليبلـغ قـردى العـرش رضوانا

إنى لأذكره يوما فأحسبه أو في البرية عند الله ميزانا

قال عبد القاهر وقد أجبناه عن شعره هذا بقولنا:

يا ضربة من كفور ما استفاد بها إلا الجداء بما يصليه نيرانا

إنى لألعنه دينا وألعن من يرجو له أبدا عفوا وغفرانا

ذاك الشقي لأشفى الناس كلهـم أخفهـم عنـد رب النـاس ميزانا

ذكر العجاردة من الخوارج:

العجاردة كلها أتباع عبد الكريم بن عجرد وكان عبد الكريم من اتباع عطيه بن الاسود الحنفى وقد كانت العجـاردة مفترقـة عشر فرق يجمعهاالقول بأن الطفل يدعي إذا بلغ وتجب البراءة منـه قبـل ذلـك حـتى يـدعى البالاسـلام أو يصـفه هـو وفـارقوا الازارقـة فـي شـيء آخـر وهـو ان الازارقـة اسـتحلت أمـوال مخالفيهم بكل حال والعجاردة لا يرون أموال مخـالفيهم فيئـا الا بعد قتـل صـاحبه فكـانت العجـاردة علـى هـذه الجملـة الـى ان افترقت فرقها التى نذكرها بعد هذا.

ذكر الخازمية منهم

هؤلاء أكثر عجاردة سجستان وقد قالوا في باب القدر والاستطاعة والمشيئة بقول أهل السنة أن لا خالق إلا الله ولا يكون إلا ما شاء الله وأن الاستطاعة مع الفعل وأكفر والميمونية الذين قالوا في باب القدر والاستطاعة بقول القدرية المعتزلة عن الحق.

ثم إن الخازمية خالفوا أكثر الخوارج في الولاية والعداوة وقالوا انهما صفتان لله تعالى وإن الله عز وجل إنما يتولى العبد على ما هو صائر اليه من الايمان وإن كان في أكثر عمره كافرا ويرى منه ما يصير اليه من الكفر فى آخر عمره وإن كان فى أكثر عمره مؤمنا وان الله تعالى لم يزل محبا لأوليائه ومبغضا لأعدائه وهذا القول منهم موافقا لقول أهل السنة فى الموافاة غير ان أهل السنة ألزموا الخازمية على قولها بالموافاة ان يكون على وطلحة والزبير وعثمان من أهل الجنة لانهم من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم {لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة} وقالوا لهم اذا كان الرضا من الله تعالى عن العبد انما يكون على علم انه يموت على الايمان وجب ان يكون المبايعون تحت الشجرة على هذه الصفة وكان على وطلحة والزبير منهم وكان عثمان يومئذ أسيرا فبايع له النبي وجعل يده بدلا عن يده وصح بهذا بطلان قول من أكفر هؤلاء الاربعة.

ذكر الشعيبية منهم

قول هؤلاء فى باب القدر والاستطاعة والمشيئة كقول الخازمية وانما ظهر ذكر الشعيبية حين نازع زعيمهم المعروف بشعيب رجلا من الخوارج اسمه ميمون وكان السبب في ذلك أنه كان لميمون على شعيب مال فتقاضاه فقال له شعيب أعطيكه ان شاء الله فقال له ميمون قد شاء الله ذلك الساعة فقال شعيب لو كان قد شاء ذلك لم استطع ألا اعطيكه فقال

الفرق بين الفِرق

ميمون قد أمرك الله بذلك وكل ما أمر به فقد شاءه وما لم يشأ لم يأمر به فافترقت العجاردة عند ذلك فتبع قوم شعيبا وتبع آخرون ميمونا وكتبوا في ذلك الى عبد الكريم بن عجرد وهو يومئذ في حبس السلطان فكتب في جوابهم إنما نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا نلحق بالله سواء فوصل الجواب اليهم بعد موت ابن عجرد وادعى ميمون أنه قال بقوله لأنه قال لا نلحق بالله سوءا وقال شعيب بل قال بقولى لأنه قال نقول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ومالت الخازمية وأكثر العجاردة الى شعيب ومالت الحمزية مع القدرية الى ميمون.

ثم زادت الميمونية على كفرها في القدر نوعا من المجوسية فأباحوا نكاح بنات البنات وبنات البنين ورأوا قتال السلطان ومن رضي بحكمه فرضا فأما من أنكره فلا يرون قتله إلا اذا أغار عليهم أو طعن في دينهم أو كان دليلا للسلطان.

وسنذكر الميمونية في جملة فرق الغلاة الخارجين عن الملة في باب بعد هذا إن شاء الله عز وجل.

وقد كان من جملة الميمونة رجل يقال له خلف ثم أنه خالف الميمونية في القدر والاستطاعة والمشيئة وقال في هذه الثلاثة بقول أهل السنة وتبعه على ذلك خوارج كرمان ومكران فيقال لهم الخلفية وهم الذين قاتلوا حمزة ابن اكرك الخارجى في أرض كرمان.

ذكر الخلفية منهم

هم أتباع خلف الذى قاتل حمزة الخارجى والخلفية لا يرون القتال إلا مع إمام منهم وقد كفوا أيديهم عن القتال لفقدهم من يصلح للإمامة منهم وصارت الخلفية الى قول الأزارقة في شىء واحد وهو دعواهم أن أطفال مخالفيهم في النار.

ذكر المعلومية والمجهولية منهم

الفرق بين الفِرق

هاتان فرقتان من جملة الخازمية ثم أن المعلومية منهما خالفت سلفها في شيئين:

أحدهما دعواها أن من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه فهو جاهل به والجاهل به كافر.

والثانى أنهم قالوا إن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى، ولكنهم قالوا في الاستطاعة والمشيئة بقول اهل السنة فـى أن الاستطاعة مع الفعل وأنه لا يكون إلا ما شاء الله.

وهذه الفرقة تدعى إمامة من كان على دينها وخرج بسيفة على اعدائه من غير براءة فهم عن القعدة عنهم.

وأما المجهولية منهم فقولهم كقول المعلومية غير أنهم قالوا من عرف اللـه ببعـض اسـمائه فقـد عرفـه وأكفـروا المعلوميـة منهم في هذا الباب.

ذكر الصلتية منهم:

هؤلاء منسوبون الى صلت بن عثمان وقيل صلت بن أبى الصلت وكان من العجاردة غير أنه قال إذا اسـتجاب لنـا الرجـل وأسلم توليناه وبرئنـا مـن أطفـاله لأنـه ليـس لهـم إسـلام حـتى يدركوا فيدعون حينئذ الى الاسلام فيقبلونه وبـازاء هـذه الفرقـة فرقة اخرى وهى التاسعة من العجاردة زعموا أنه ليس لأطفال المؤمنين ولا لأطفال المشركين ولايـة ولا عـداوة حـتى يـدركوا فيدعوا الى الاسلام فيقبلوا او ينكروا

ذكر الحمزية منهم:

هؤلاء اتباع حمزة بن أكرك الذي عاث سجستان وخراسان ومكران وقهستان وكرمان وهـزم الجيـوش الكـثيرة وكـان فـي الاصـل مـن العجـاردة الخازميـة ثـم خـالفهم فـي بـاب القـدر والاستطاعة فقال فيها بقول القدرية فأكفرته الخازمية في ذلك ثم زعم مع ذلك أن أطفال المشركين في النار فأكفرته القدرية في ذلك ثم إنه والى القعدة من الخوراج مع قوله بتكفير مــن لا يوافقه على قتال مخالفيه من فرق هذه الامـة مـع قـوله بـأنهم

مشركون وكان اذا قاتل قوما وهزمهم أمر باحراق أموالهم وعقد دوابهم وكان مع ذلك يقتل الاسراء من مخالفيهم وكان ظهوره في أيام هارون الرشيد فى سنة تسع وسبعين ومائة وبقى الناس في فتنته الى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون ولما استولى على بعض البلدان جعل قاضيه أبا يحيى يوسف بن بشار وصاحب جيشه رجلا اسمه جيويه بن معبد وصاحب حرسه عمرو بن صاعد وكان معه جماعة من شعراء الخوارج كطلحة بن فهد وأبى الجلندى وأقرانهم وبدأ بقتال البيهسية من الخوارج وقتل الكثير منهم فسموه عند ذلك أمير المؤمنين وقال الشاعر طلحة بن فهد في ذلك:

أمير المؤمنين على رشاد وغير هداية نعم الأمير
امير يفضل الامراء فضلا كما فضل السها القمر المنير

ثم ان حمزة أسرى سرية الى الخازمية من الخوارج بناحية فلجرد فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم قصد بنفسه هراة فمنعه اهلها من دخولها فاستعرض الناس خارج المدينة وقتل منهم الكثير فخرج اليه عمرو بن يزيد الازدى وهو يومئذ والى هراة مع جنده فدامت الحرب بينهم شهورا وقتل من ارض هراة جماعة وقتل من أصحاب هيصم الشاري وكان داعية حمزة يدعو الناس الى ضلالته ثم أغار حمزة على كروخ من رستاق هراة واحرق أموالهم وعقر أشجارهم ثم حارب عمرو بن يزيد الأزدى بقرب بوشبخ وقتل عمر ثم انتصب على بن عيسى بن هاديان وهو يومئذ والى خراسان لحرب حمزة فانهزم منه الى ارض سجستان بعد ان قتل من قواده ستون رجلا سوى اتباعه فلما وصل الى سجستان منعه أهل زرنخ عن دخول البلد فاستعرض الناس بالسيف في صحراء البلد ثم تنكر لأهل زرنخ بان ألبس أصحابه السواد يوهمهم انهم أصحاب السلطان وأنذرهم بذلك منذر فمنعوه من دخول البلدة فعقر نخلهم في سوادهم وقتل المجتازين فى صحاريهم ثم قصد نهر شعبة وقتل بها الكثير من الخوارج الخلفية وعقر اشجارهم وأحرق أموالهم وانهزم منه رئيس للخلفية اسمه مسعود بن قيس

وعبر فى هزيمته واديا وغرق فيه وشك أتباعه في موته وهم ينتظرونه الى اليوم ثم رجع حمزة من كرمان وأغار في طريقه على رستاق بست من رساتيق نيسابور وكان بها قوم من الخوارج الثعالبة فقتلهم حمزة ودامت فتنة بخراسان وكرمان وقهستان وسجستان الى آخر ايام الرشيد وصدر من خلافة المأمون لاشتغال حند أكثر خراسان بقتال رافع بن ليث بن نصر بن سيان على باب سمرقند فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب الى حمزة كتابا استدعاه فيه الى طاعته فما ازداد الا عتوا في امره فبعث المأمون بطاهر بن الحسين لقتال حمزة فدارت بين طاهر وحمزة حروب قتل فيها من الفريقين مقدار ثلاثين ألفا أكثرهم من اتباع حمزة وانهزم فيها حمزة الى كرمان وأتى طاهر علي القعدة عن حمزة ممن كان على رأيه وظفر بثلثمائة منهم فأمر بشد كل رجل منهم بالحبال بين شجرتين قد جذبت رؤوس بعضها الى بعض ثم قطع الرجل بين الشجرتين فرجعت كل واحدة من الشجرتين بالنصف من بدن المشدود عليها ثم ان المأمون استدعى طاهر بن الحسين من خراسان وبعث به الى منصبه فطمع حمزة في خراسان فأقبل فى جيشه من كرمان فخرج اليه عبد الرحمن النيسابورى في عشرين الف رجل من غزاة نيسابور ونواحيها فهزموا حمزة باذن الله وقتلوا الالوف من أصحابه وانفلت منهم حمزة جريحا ومات في هزيمته هذه وأراح الله عز وجل منه ومن أتباعه العباد بعد ذلك وكانت هذه الواقعة التى هلك بعدها حمزة الخارجى القدرى من مفاخر اهل نيسابور والحمد لله على ذلك.

ذكر الثعالبة منهم

هؤلاء اتباع ثعلبة بن مشكان والثعالبة تدعى إمامته بعد عبد الكريم بن عجرد ويزعم أن عبد الكريم بن عجرد كان إماما قيل أن خالفه ثعلبة في حكم الاطفال فلما اختلفا في ذلك كفر بن عجرد وصار ثعلبة إماما والسبب في اختلافهما أن رجلا من العجاردة خطب الى ثعلبة بنته فقال له بين مهرها فأرسل

الفرق بين الفِرق

الخاطب امرأة الى ام تلك البنت يسألها هـل بلغـت البنـت فـإن كانت قـد بلغـت ووصـفت الاسـلام علـى الشـرط الـذى تعتـبره العجاردة لم يبال كم كان مهرها فقالت امهـا هـى مسـلمة فـي الولاية بلغت أم لم تبلغ فاخبر بذلك عبد الكريم بن عجرد وثعلبة بن مشكان فاختار عبد الكريم البراءة من الاطفال قبـل البلـوغ وقال ثعلبة نحن على ولايتهم صغارا وكبارا الى أن يبين لنا منهم إنكار للحق فلما اختلفـا فـي ذلـك برىـء كـل واحـد منهمـا مـن صـاحبه وصـار أتبـاع كـل واحـد منهمـا فرقـا وقـد ذكرنـا فـرق العجاردة قبل هذا.

وصارت الثعالبة بعد ذلك ست فرق:

فرقة أقامت على إمامة ثعلبة ولم تقل بإمامة أحد بعده ولم يكترثوا لما ظهر فيهم من خلاف الاخنسية والمعبدية.

ذكر المعبدية منهم:

والفرقة الثانية منهم معبدية قالت بإمامة رجل منهم بعد ثعلبة اسمه معبد خـالف جمهـور الثعالبـة فـى أخـذ الزكـاة مـن العبيد العبيد فى إعطائهم منها واكفر من لم يقل بـذلك وأكفـره سائر الثعالبة في قوله

الأخنسية:

والفرقة الثالثة منهم الاخنسية اتباع رجل منهم كان يعرف بالأخنس وكان فـي بـدء أمـره علـى قـول الثعالبـة فـي مـوالاة الأطفال ثم خنس من بينهـم فقـال يجـب علينـا ان نتوقـف عـن جميع من فى دار التقية الا من عرفنا منه ايمانـا فنـوليه عليـه او كفرا فبرئنا منه وقالوا بتحريم القتل والاغتيال في السروان يبدأ أحد من أهل القبلة بقتال حتى يدعى إلا من عرفوه بعينه وصـار له تبع علـى هـذا القـول وبرىـء مـن سـائر الثعالبـة وبرىءمنـه سائرهم

الشيبانية:

الفرق بين الفِرق

منهم والفرقة الرابعة من الثعالبة شيبانية هم اتباع شيبان بن سلمة الخارجى الذى خرج في ايام أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس وأعان أبا مسلم على أعدائه فى حروبه وكان مع ذلك يقول بتشبيه الله سبحانه لخلقه فأكفره سائر الثعالبة مع أهل السنة في قوله بالتشبيه وأكفرته الخوارج كلها في معاونته أبا مسلم والذين أكفروه من الثعالبة يقال لهم زيادية أصحاب زياد بن عبد الرحمن والشيبانية يزعمون أن شيبان تاب من ذنوبه وقالت الزيادية إن ذنوبه كان منها مظالم العباد التى لا تسقط بالتوبة وأنه أعان أبا مسلم على قتاله مع الثعالبة كما أعانه على قتاله مع بنى أمية.

ذكر الرُشيدية منهم:

والفرقة الخامسة من الثعالبة يقال لهم رشيدية نسبوا الى رجل اسمه رشيد وانفردوا بأن قالوا فيما سقى بالعيون والانهار الجارية نصف العشر وإنما يجب العشر الكامل فيما سقته السماء فحسب وخالفهم زياد بن عبد الرحمن فأوجب فيما سقى بالعيون والأنهار الجارية العشر الكامل

ذكر المكرمية منهم:

والفرقة الثالثة من الثعالبة يقال لهم المكرمية اتباع أبى مكرم زعموا ان تارك الصلاة كافر لا لاجل ترك الصلاة لكن لجهله بالله عز وجل وزعموا ان كل ذي ذنب جاهل بالله والجهل بالله كفر وقالوا ايضا بالموافاة في الولاية والعداء.

فهذا بيان فرق الثعالبة وبيان اقوالها.

ذكر الاباضية وفرقها:

أجمعت الاباضية على القول بامامة عبد الله بن أباض وافترقت فيما بينها فرقا يجمعها القول بأن كفار هذه الامة يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الامة براء من الشرك والإيمان وانهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار وأجازوا

شهادتهم وحرموا دماءهم في السر واستحلوها فى العلانية وصححوا منا كحنهم والتوارث منهم وزعموا انهم في ذلك محاربون لله ولرسوله لا يدينون دين الحق وقالوا باستحلال بعض اموالهم دون بعض والذى استحلوه الخيل والسلاح فأما الذهب والفضة فانهم يردونهما على أصحابهما عند الغنيمة.

ثم افترقت الاباضية فيما بينهم أربع فرق وهى الحفصية والحارثية واليزيدية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها.

واليزيدية منهم غلاة لقولهم بنسخ شريعة الاسلام في آخر الزمان وسنذكرهم في باب فرق الغلاة المنتسبين الى الاسلام بعد هذا.

وانما نذكر في هذا الباب الحفصية والحارثية وأصحاب طاعة لا يراد الله بها

ذكر الحفصية منهم:

هؤلاء قالوا بامامة حفص بن أبي المقدام وهو الذى زعم أن بين الشرك والايمان معرفة الله تعالى وحدها فمن عرفه ثم كفر بما سواه من رسول او جنة او نار او عمل بجميع المحرمات من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر المحرمات فهو كافر برىء من الشرك ومن جهل بالله تعالى وأنكره فهو مشرك وتأول هؤلاء فى عثمان بن عفان مثل تأول الرافضة في ابى بكر وعمر وزعموا ان عليا هو الذى انزل الله تعالى فيه {ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام}. وأن عبد الرحمن بن ملجم هو الذى أنزل الله فيه {ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله}.

ثم قالوا بعد هذا كله ان الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله عز وجل فمن كفر بذلك فقد اشرك بالله عز وجل وهذا نقيض قولهم إن الفصل بين الشرك والايمان معرفة الله تعالى وحده وأن من عرفه فقد برىء من الشرك وإن كفر بما

سواه من رسـول او جنـة أو نـار فصـار قـولهم فـي هـذا البـاب متناقضا.

ذكر الحارثية منهم:

هؤلاء اتباع حارث بن مزيد الأباضي وهم الذين قالوا في باب القدر بمثـل قـول المعتزلـة وزعمـوا ايضـا أن الاسـتطاعة قبـل الفعل وأكفرهم سائر الأباضية في ذلك لان جمهورهم على قول أهـل السـنة فـى ان اللـه تعـالى خـالق أعمـال العبـاد وفـى أن الاستطاعة مع الفعل.

وزعمت الحارثية انه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الاولى إلا عبد الله بن أباضى وبعده حارث ابن مزيد الاباضى

ذكر اصحاب طاعة لا يراد الله بها:

زعم هؤلاء أنه يصح وجود طاعات كثيرة ممن لا يريد الله تعالى بها كما قاله ابو الهزيل وأتباعه من القدرية.

وقال أصحابنا أن ذلك لا يصح إلا في طاعة واحدة وهو النظر الاول فإن صاحبه اذا استذل به كان مطيعا لله تعالى فـي فعلـه وإن لم يقصد به التقرب الـى اللـه تعـالى لاسـتحالة تقربـه اليـه قبل معرفته فاذا عـرف اللـه تعـالى فلا يصـح منـه بعـد معرفتـه طاعة منه لله تعالى الا بعد قصده التقرب بها اليه.

وزعمت الأباضية كلها أن دور مخالفيهم من أهل مكة دار توحيد الا معسكر السلطان فإنه دار بغى عندهم.

واختلفوا في النفاق على ثلاثة أقوال:

فقال فريق منهم إن النفاق براءة مـن الشـرك والايمـان جميعا واحتجوا بقول الله عز وجل في المنافقين {مذبـذبين بيـن ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هـؤلاء ومـن يضـلل اللـه فلـن تجـد لـه سبيلا}.

وفرقة منهم قالت كل نفاق شرك لأنه يضاد التوحيد وفرقة ثالثة قالت لا نزيل اسم النفاق عن موضـعه ولا نسـمى بالنفـاق غير القوم الذين سماهم الله تعالى منافقين.

ومن قال منهم بأن المنافق ليس بمشرك زعم أن المنافقين على عهد رسول الله كانوا موحدين وكانوا أصحاب كبائر فكفروا وإن لم يدخلوا في حد الشرك.

قال عبد القاهر بعد الجملة التى حكيناها عنهم شذوذ من الأقوال انفردوا بها:

منها أن فريقا منهم زعموا أن لا حجة لله تعالى على الخلائق في التحويد وغيره الا بالخبر وما يقوم مقام الخبر من إشارة وايماء.

ومنها أن قوما منهم قالوا كل من دخل فى دين الاسلام وجبت عليه الشرائع والاحكام سمعها أو عرفها أو لم يسمعها ولم يعرفها وقال سائر الامة لا يأثم بترك ما لم يقف عليه منها إلا أن ثبتت عليه الحجة فيه.

ومنها أن قوما منهم قالوا بجواز ان يبعث الله تعالى الى خلقه رسولا بلا دليل يدل على صدقة.

ومنها ان قوما منهم قالوا من ورد عليه الخبر بأن الله تعالى قد حرم الخمر او ان القبلة قد حولت فعليه ان يعلم ان الذى أخبره به مؤمن او كافر وعليه ان يعلم ذلك بالخبر وليس عليه ان يعلم أن ذلك عليه بالخبر.

ومنها قول بعضهم ليس على الناس المشى الى الصلاة ولا الركوب والمسير للحج ولا شيء من الاسباب التى يتوصل بها الى أداء الواجب وانما يجب عليهم فعل الطاعات الواجبة بأعيانها دون اسبابها الموصلة اليها.

ومنها قولهم جميعا بوجوب استتابة مخالفيهم في تنزيل او تأويل فان تابوا والا قتلوا سواء كان ذلك الخلاف فيما يسع جهله او فيما لا يسع جهله.

وقالوا من زنى او سرق أقيم عليه الحد ثم استتيب فان تاب والا قتل.

وقالوا ان العالم يفنى كله اذا افنى الله اهل التكليف ولا يجوز الا ذلك لأنه انما خلقه لهم.

الفرق بين الفِرق

وأجازت الاباضية وقوع حكمين مختلفين فى شيء واحد من وجهين كمن دخل زرعا بغير إذن مالكه فان الله قد نهاه عن الخروج منه اذا كان خروجه منه مفسدا للزرع وقد أمره به.

وقالوا لا يتبع المدبر في الحرب اذا كان من أهل القبلة وكان موحدا ولا نقبل منهم امرأة ولا ذرية وأباحوا قتل المشبهه واتباع مدبرهم وسبى نسائهم وذراريهم وقالوا ان هذا كما فعله ابو بكر بأهل الردة.

وقد كان من الاباضية رجل يعرف بابراهيم دعا قوما من اهل مذهبة الى داره وأمر جارية له كانت على مذهبه بشيء فأبطأت عليه فحلف ليبيعنها في الاعراب فقال له رجل منهم اسمه ميمون وليس هو صاحب الميمونية من العجاردة كيف تبيع جارية مؤمنة الى الكفرة فقال له ابراهيم ان الله تعالى قد أحل البيع وقد مضى أصحابنا وهم يستحلون ذلك فتبرأ منهم ميمون وتوقف آخرون منهم فى ذلك وكتبوا بذلك الى علمائهم فأجابوهم بأن بيعها حلال وبأنه يستتاب ميمون ويستتاب من توقف فى ابراهيم فصاروا في هذا ثلاث فرق إبراهيمية وميمونية واقفة وتبع إبراهيم على إجازة هذا البيع قوم يقال لهم الضحاكية وأجازوا نكاح المسلمة من كفار قومهم في دار التقية فأما فى دار حكمهم فلا يستحلون ذلك وقوم منهم توقفوا في هذه المسلمة وفى أمر الزوجة وقالوا ان ماتت لم نصل عليها ولم نأخذ ميراثها لأنا لا ندري ما حالها.

وتبع بعد هؤلاء الإبراهيمية قوم يقال لهم البيهسية أصحاب أبى بيهس هيصم بن عامر قالوا ان ميمونا كفر بأن حرم بيع الأمة في دار التقية من كفار قومنا وكفرت الواقفة بأن لم يعرفوا كفر ميمون وصواب إبراهيم وكفر إبراهيم بأن لم يتبرأ من الواقفة.

قالوا وذلك أن الوقوف بما يسع على الأبدان وانما الوقوف على الحكم بعينه مالم يوافقه أحد فاذا وافقه أحد من المسلمين لم يسع من حضر ذلك إلا أن يعرف من عرف الحق ودان به ومن أظهر الباطل ودان به.

ثم ان البيهسية قالت: ان من واقع ذنبا لم نشهد عليه بالكفر حتى يرفع الى الوالى ويحد ولا نسميه قبل الرفع الى الوالى مؤمنا ولا كافرا.

وقال بعض البيهسية فاذا كفر الإمام كفرت الرعية وقال بعضهم كل شراب حلال الأصل موضوع عمن سكر منه كل ما كان منه في السكر من ترك الصلاة والشتم لله عز وجل وليس فيه حد ولا كفر ما دام في سكره.

وقال قوم من البيهسية يقال لهم العوفية السكر كفر اذا كان معه غيره من ترك الصلاة ونحوه.

وافترقت العوفية من البيهسية فرقتين فرقة قالت من رجع عنا من دار هجرته ومن الجهاد الى حال القعود برئنا منه وفرقة قالت بل تتولاه لانه رجع إلى أمر كان مباحا له قبل هجرته الينا وكلا الفريقين قال اذا كفر الإمام كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد.

وللأباضية والبيهسية بعد هذا مذاهب قد ذكرناها في كتاب الملل والنحل وفيما ذكرنا منه في هذا الكتاب كفاية.

ذكر الشبيبية منهم:

هؤلاء يعرفون بالشبيبية لانتسابهم الى شبيب بن يزيد الشيبانى المكنى بأبى الصحارى ويعرفون بالصالحية أيضا لانتسابهم الى صالح بن مشرح الخارجي.

وكان شبيب بن يزيد الخارجى من اصحاب صالح ثم تولى الأمر بعده على جنده وكان السبب في ذلك أن صالح بن مشرح التميمى كان مخالفا للازارقة وقد قال انه كان صفريا وقيل إنه لم يكن صفريا ولا أزرقيا وكان خروجه على بشر بن مروان فى أيام ولايته على العراق من جهة أخيه عبد الملك بن مروان وبعث بشر اليه بالحارث بن عمير وذكر المواينى أن خروج صالح كان على الحجاج بن يوسف وأن الحجاج بعث بالحارث بن عمير الى قتاله وأن القتال وقع بين الفريقين على باب حصن حلولا وانهزم صالح جريحا فلما أشرف على الموت قال

لاصحابه قد استخلفت عليكم شبيبا وأعلم أن فيكم من هو أفقه منه ولكنه رجل شجاع مهيب في عـدوكم فليعنـه الفقيـه منكـم بفقهه ثم مات وبايع أتباعه شبيبا الى أن خالف صالحا فى شيء واحد وهو أنه مع أتبـاعه أجـازوا إمامـة المـرأة منهـم إذا قـامت بأمورهم وخرجت على مخـالفيهم وزعمـوا أن غزالـة أم شـبيب كانت الإمام بعد قتل شبيب الى أن قتلـت واسـتدلوا علـى ذلـك بأن شبيبا لما دخل الكوفـة أقـام أمـه علـى منـبر الكوفـة حـتى خطبت.

وذكر أصحاب التواريخ أن شبيبا في ابتداء أمره قصد الشام ونزل على روح بن زنباع وقال له سل أمير المؤمنين أن يفـرض لى في أهل الشرف فإن لى في بنى شـيبان تبعـا كـثيرا فسـأل روح بن زنباع عبـد الملـك بـن مـروان ذلـك فقـال هـذا رجـل لا أعرفـه وأخشـى أن يكـون حروريـا فـذكر روح لشـبيب أن عبـد الملك بن مروان ذكر أنه لا يعرفه فقال سيعرفنى بعد هذا ورجع الى بنى شيبان وجمع من الخوارج الصـالحية مقـدار الـف رجـل واستولى بهم على ما بين كسكر والمدائن فبعـث الحجـاج اليـه بعبيد بن أبىالمخـارق المتنـبى فـى الـف فـارس فهزمـه شـبيب فوجه اليه بعبد الرحمن بن محمـد بـن الأشـعث فهزمـه شـبيب وبعث بعتاب بن ورقـاء التميمـى فقتلـه شـبيب ومـا زال كـذلك حتى هزم للحجاج عشرين جيشا في مدة سـنتين ثـم إنـه كبـس الكوفة ليلا ومعه الف مـن الخـوارج ومعـه أمـة غزالـة وامرأتـه جهزية فى مائتين من نساء الخوارج قد اعتقلن الرمـاح وتقلـدن السيوف فلمـا كبـس الكوفـة ليلا قصـد المسـجد الجـامع وقتـل حراس المسجد والمعتكفين فيه ونصب امه غزالة علـى المنـبر حتى خطبت وقال خزيم بن فاتك الأسدى فى ذلك:

أقامت غزالة سوق الضرار لأهل العراقين حولا قميطا
سمت للعراقين في جيشها فلاق العراقان منها طيطا

وصبر الحجاج لهم في داره لان جيشه كانوا متفرقين إلى أن اجتمع جنده إليه بعد الصبح وصلى شبيب بأصحابه فى المسـجد وقرأ فى ركعتى الصـبح سـورتى البقـرة وآل عمـران ثـم وافـ اه

الفرق بين الفِرق

الحجاج في أربعة آلاف من جنده واقتتل الفريقان فى سوق الكوفة إلى أن قتل أصحاب شبيب وانهزم شبيب فيمن بقى معه الى الأنبار فوجه الحجاج فى طلبه جيشا فهزموا شبيبا من الأنبار الى الأهواز وبعث الحجاج سفين بن الأبرد الكليبى فى ثلاثة آلاف لطلب شبيب فنزل سفين على شط الدجيل وركب شبيب جسر الدجيل ليعبر اليه وأمر سفين أصحابه بقطع حبال الجسر فاستدار الجسر وغرق شبيب مع فرسه وهو يقول {ذلك تقدير العزيز العليم} وبايع أصحاب شبيب فى الجانب الآخر من الدجيل غزالة أم شبيب وعقد سفين بن الأبرد الجسر وعبر مع جنده الى أولئك الخوارج وقتل اكثرهم وقتل غزالة ام شبيب وامرأته جهيزه وأسر الباقين من اتباع شبيب وأمر الغواصين بإخراج شبيب من الماء وأخذ رأسه وانفذه مع الاسرى الى الحجاج فلما وقف الاسرى بين يدى الحجاج أمر بقتل رجل منهم قال له اسمع مني بيتين أختم بهما عملي ثم أنشأ يقول:

أبرأ الى الله من عمرو وشيعته ومن على ومن أصحاب صفين

ومن معاوية الطاغى وشيعته لا بارك الله في القوم الملاعين

فأمر بقتله وبقتل جماعة منهم وأطلق الباقين.

قال عبد القاهر يقال للشبيبة من الخوراج أنكرتم على أم المؤمنين عائشة خروجها الى البصرة مع جندها الذى كل واحد منهم محرم لها لأنها أم جميع المؤمنين فى القرآن وزعمتم أنها كفرت بذلك وتلوتم عليها قول الله تعالى وقرن فى بيوتكن فهلا تلوتم هذه الآية على غزالة أم شبيب وهلا قلتم بكفرها وكفر من خرجن معها من نساء الخوارج الى قتال جيوش الحجاج فان أجزتم لهن ذلك لانه كان معهن أزواجهن او بنوهن واخوتهن فقد كان مع عائشة أخوها عبد الرحمن وابن اختها عبد الله بن الزبير وكل واحد منهم محرم لها وجميع المسلمين بنوها وكل واحد محرم لها فهلا أجزتم لها ذلك على ان من أجاز منكم إمامة

غزالة فإمامتها لائقة به وبـدينه والحمـد للـه علـى العصـمة مـن البدعة.

{الفصل الثالث من فصول هذا الباب}

في بيان مقالات فرق الضلال من القدرية المعتزلة عن الحق وهم عشرون فرقة

قد ذكرنا قبل هذا أن المعتزلة افترقت فيما بينها عشرين فرقة كـل فرقـة منهـا تكفـر سـائرها وهـن الواصـلية والعمريـة والهذيليـــة والنظاميـــة والاســـوارية والمعمريـــة والاســـكافية والجعفريـــة والبشـــرية والمراداريـــة والهشـــامية والتماميـــة والجاحظية والحايطية والحمارية والخياطية واصحاب صالح قبة والمويسية والشحامية والكعبية والجبابية والبهشمية المنســوبة الى أبى هاشم بن الحبالى فهذه ثنتان وعشرون فرقـة فرقتـان منها من جملة فرق الغلاة فـي الكفـر نـذكرها فـى البـاب الـذى نذكر فيه فرق الغلاة وهما الحايطية والحمـاريه وعشـرون منهـا قدرية محضة يجمعها كلها فى بدعتها امور:

منها نفيها كلها عن الله عز وجل صفاته الازلية وقولها بأنه ليس لله عز وجل علم ولا قـدرة ولا حيـاة ولا سـ مع ولا بصـر ولا صفة أزلية وزادوا على هذا بقولهم ان الله تعالى لم يكن له فـي الازل اسم ولا صفة.

ومنها قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالابصار وزعموا أنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره واختلفوا فيه هل هو راء نغيره أم لا فأجازه قوم منهم وأباه قوم آخرون منهم.

ومنها اتفاقهم على القول بحدوث كلام الله عز وجل وحدوث أمره ونهيه وخبره وكلهم يزعمون ان كلام الله عز وجـل حـادث واكثرهم اليوم يسمون كلامه مخلوقا.

ومنها قولهم جميعا بأن الله تعالى غير خالق لأكساب الناس ولا لشىء من أعمال الحيوانات وقد زعموا ان الناس هم الـذين يقدرون أكسابهم وانه ليس لله عز وجـل فـى اكسـابهم ولا فـى

اعمار سائر الحيوانات صنع ولا تقدير ولأجل هذا القول سماهم المسلمون قدرية.

ومنها اتفاقهم على دعواهم فى الفاسق من أمة الاسلام بالمنزلة بين المنزلتين وهى انه فاسق لا مؤمن ولا كافر ولاجل هذا سماهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها.

ومنها قولهم ان كل ما لم يأمر الله تعالى به او نهى عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئا منها.

وزعم الكعبى فى مقالاته أن المعتزلة اجتمعت على أن الله عز وجل شىء لا كالاشياء وأنه خالق الأجسام والأعراض وأنه خلق كل ما خلقه لا من شىء وعلى أن العباد يفعلون أعمالهم بالقدر التى خلقها الله سبحانه وتعالى فيهم قال وأجمعوا على أنه لا يغفر لمرتكبى الكبائر بلا توبة.

وفى هذا الفصل من كلام الكعبى غلط منه على أصحابه من وجوه:

منها قوله إن المعتزلة اجتمعت على أن الله تعالى شيء لا كالاشياء وليست هذه الخاصية لله تعالى وحده عند جميع المعتزلة فإن الجبائى وابنه أبا هاشم قد قالا إن كل قدرة محدثة شىء لا كالاشياء ولم يخصوا ربهم بهذا المدح.

ومنها حكايته عن جميع المعتزلة قولها بأن الله عز وجل خالق الأجسام والأعراض وقد علم أن الاصم من المعتزلة ينفى الأعراض كلها وأن المعروف منهم بمعمر يزعم ان الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض وأن ثمامة يزعم أن الاعراض المتولدة لا فاعل لها فكيف يصح دعواه إجماع المعتزلة على أن الله سبحانه خالق الأجسام والأعراض وفيهم من ينكر وجود الأعراض وفيهم من يثبت الأعراض ويزعم أن الله تعالى لم يخلق شيئا منها وفيهم من يزعم أن المتولدات أعراض لا فاعل لها والكعبى مع سائر المعتزلة زعموا أن الله تعالى لم يخلق أعمال العباد وهي أعراض عند من أثبت الأعراض فبان غلط الكعبى فى هذا الفصل على أصحابه.

ومنها دعوى إجماع المعتزلة على أن الله خلق ما خلق لا من شىء وكيف يصح اجماعهم على ذلك والكعبى مع سائر المعتزلة سوى الصالحى يزعمون أن الحوادث كلها كانت قبل حدوثها أشياء والبصريون منهم يزعمون ان الجواهر والاعراض كانت فى حال عدمها جواهر وأعراضا وأشياء والواجب على هذا الفصل ان يكون الله خلق الشيء لا من شيء وإنما يصح القول بانه خلق الشىء لا من شىء على اصول اصحابنا الصفاتية الذين أنكروا كون المعدوم شيئا.

واما دعوى إجماع المعتزلة على ان العباد يفعلون أفاعلهم بالقدر التي خلقها الله تعالى فيهم فغلط منه عليهم لان معمرا منهم زعم أن القدرة فعل الجسم القادر بها وليست من فعل الله تعالى والاصم منهم ينفى وجود القدرة لأنه ينفى الأعراض كلها.

وكذلك دعوى إجماع المعتزلة على أن الله سبحانه لا يغفر لمرتكبى الكبائر من غير توبة منهم غلط منه عليهم لان محمد بن شبيب البصرى والصالحى والخالدى هؤلاء الثلاثة من شيوخ المعتزلة وهم واقفية فى وعيد مرتكبى الكبائر وقد أجازوا من الله تعالى مغفرة ذنوبهم من غير توبة.

فبان بما ذكرناه غلط الكعبى فيما حكاه عن المعتزلة وصح ان المعتزلة يجمعها ما حكيناه عنهم مما أجمعوا عليه.

فاما الذى اختلفوا فيه فيما بينهم فعلى ما نذكره في تفصيل فرقهم إن شاء الله عز وجل.

ذكر الواصلية منهم:

هؤلاء اتباع واصل بن عطا الغزال رأس المعتزلة وداعيهم الى بدعتهم بعد معبد الجهنى وغيلان الدمشقى.

وكان واصل من منتابى مجلس الحسن البصرى فى زمان فتنة الازارقة وكان الناس يومئذ مختلفين فى أصحاب الذنوب من امة الاسلام على فرق.

1) فرقة تزعم أن كل مرتكب لذنب صغير او كبير مشرك بالله وكان هذا قول الازارقة من الخوراج وزعم هؤلاء

الفرق بين الفِرق

ان اطفال المشركين مشـركون ولـذلك اسـتحلوا قتـل اطفـال مخالفيهم وقتل نسـائهم سـواء كـانوا مـن امـة الاسـلام او مـن غيرهـم. وكـانت الصـفرية مـن الخـوارج يقولـون فـى مرتكـبى الـذنوب بـأنهم كفـرة مشـركون كمـا قـالته الازارقـة غيـر أنهـم خالفوا الازارقة فى الاطفال.

2) وزعمت النجدات من الخوارج ان صـاحب الـذنب الذى اجمعت الامة على تحريمه كافر مشـرك وصـاحب الـذنب الذى اختلفت الامة فيه حكم على اجتهاد اهل الفقه فيه وعذروا مرتكب مالا يعلم تحريمه بجهالة تحريمـه الـى ان تقـوم الحجـة عليه فيه.

3) وكانت الاباضية من الخـوارج يقولـون ان مرتكـب ما فيه الوعيد مع معرفته بالله عز وجل وبما جاء من عنده كافر كفران نعمة وليس بكافر كفر شرك.

4) وزعـم قـوم مـن اهـل ذلـك العصـر ان صـاحب الكبيرة من هذه الامة منافق والمنافق شر من الكـافر المظهـر لكفره.

5) وكان علمـاء التـابعين فـى ذلـك العصـر مـع أكـثر الامة يقولون إن صاحب الكبيرة من أمة الاسلام مؤمن لما فيـه من معرفته بالرسل والكتب المنزلة من اللـه تعـالى ولمعرفتـه بأن كل ما جاء من عند الله حق ولكنه فاسق بكبيرته وفسـقه لا ينفى عنه اسم الايمان والإسلام.

وعلى هذا القول الخامس مضى سلف الامة من الصحابة وأعلام التابعين فلمـا ظهـرت فتنـة الأزارقـة بالبصـرة والأهـواز واختلف النـاس عنـد ذلـك فـى أصـحاب الـذنوب علـى الوجـوه الخمسة التي ذكرناهـا خـرج واصـل بـن عطـا عـن قـول جميـع الفرق المتقدمة وزعم أن الفاسق مـن هـذه الامـة لا مـؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتى الكفر والايمان فلما سمع الحسن البصرى من واصل بدعته هـذه الـتى خـالف بهـا أقـوال الفرق قبله طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية مـن سـوارى مسجد البصرة وانضم اليه قرينه فى الضلالة عمرو ابن عبيد بن

باب كعبد صريخه امه فقال الناس يومئذ فيهماانهما قد اعتزلا قول الامة وسمى أتباعهما من يومئذ "معتزلة".

ثم إنهما أظهرا بدعتهما فى المنزلة بين المنزلتين وضما اليها دعوة الناس الى قول القدرية على رأى معبد الجهنى فقال الناس يومئذ لواصل إنه مع كفره قدرى وجرى المثل بذلك فى كل كافر قدرى.

ثم ان واصلا وعمرا وافقا الخوارج فى تأييد عقاب صاحب الكبيرة فى النار مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر، ولهذا قيل للمعتزلة إنهم مخانيث الخوارج لان الخوارج لما رأو لأهل الذنوب الخلود في النار سموهم كفرة وحاربوهم والمعتزلة رأت لهم الخلود فى النار ولم تجسر على تسميتهم كفرة ولا جسرت على قتال اهل فرقة منهم فضلا عن قتال جمهور مخالفيهم ولهذا نسب إسحاق بن سويد العدري واصلا وعمرو بن عبيد الى الخوارج لاتفاقهم على تأييد عقاب أصحاب الذنوب فقال فى بعض قصائده:

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب

ثم ان واصلا فارق السلف ببدعة ثالثة وذلك أنه وجد اهل عصره مختلفين فى على وأصحابه وفى طلحة والزبير وعائشة وسائر أصحاب الجمل فزعمت الخوارج ان طلحة والزبير وعائشة وأتباعهم يوم الجمل كفروا بقتالهم عليا وأن عليا كان على الحق فى قتال أصحاب الجمل وفى قتال اصحاب معاوية بصفين الى وقت التحكيم ثم كفر بالتحكيم وكان اهل السنة والجماعة يقولون بصحة إسلام الفريقين فى حرب الجمل وقالوا ان عليا كان على الحق فى قتالهم واصحاب الجمل كانوا عصاة مخطئين في قتال على ولم يكن خطؤهم كفرا ولا فسقا يسقط شهادتهم وأجازوا الحكم بشهادة عدلين من كل فرقة من الفريقين وخرج واصل عن قول الفريقين وزعم ان فرقة من الفريقين فسقة لا بأعيانهم وأنه لا يعرف الفسقة منهما وأجازوا ان يكون ا لفسقة من الفريقين عليا واتباعه كالحسن

والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر وأبى أيوب الأنصارى وسائر من كان مع على يوم الجمل وأجاز كون الفسقة من الفريقين عائشة وطلحة والزبير وسائر اصحاب الجمل ثم قال فى تحقق شكه فى الفريقين لو شهد على وطلحة او على والزبير ورجل من أصحاب على ورجل من اصحاب الجمل عندى على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما لعلمى بأن احدهما فاسق لا بعينه كما لا أحكم بشهادة المتلاعنين لعلمى بان احدهما فاسق لا بعينه ولو شهد رجلان من احد الفريقين ايهما كان قبلت شهادتهما.

ولقد سخنت عيون الرافضة القائلين بالاعتزال بشك شيخ المعتزلة فى عدالة على واتباعه ومقالة واصل فى الجملة كما قلنا فى بعض أشعارنا:

مقالة ما وصلت بواصل بل قطع الله به أوصالها

وسنذكر تمام أبيات هذه القصيدةبعد هذا إن شاء الله غز وجل.

ذكر العمرية منهم:

هؤلاء أتباع عمرو بن عبيد بن باب مولى بنى تميم وكان جده من سبى كامل وما ظهرت البدع والضلالات فى الأديان إلا من ابناء السبايا كما روى فى الخبر.

وقد شارك عمرو واصلا فى بدعة القدر وفى ضلالة قولهما بالمنزلة بين المنزلتين وفى ردهما شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب على وزاد عمرو على واصل فى هذه البدعة فقال بفسق كلتا الفرقتين المتقاتلتين يوم الجمل وذلك أن واصلا إنما رد شهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل والآخر من أصحاب على رضى الله عنه وقبل شهادة رجلين كلاهما من أحد الفريقين وزعم عمرو أن شهادتهما مردودة وإن كانا من فريق واحد لأنه قال بفسق الفريقين جميعا.

الفرق بين الفِرق

وقد افترقت القدرية بعد واصل وعمرو فى هذه المسألة فقال النظام ومعمر والجاحظ فى فريقى يوم الجمل بقول واصل وقال حوشب وهاشم الأوقص نجت القادة وهلكت الاتباع وقال أهل السنة والجماعة بتصويب على وأتباعه يوم الجمل وقالوا إن الزبير رجع عن القتال يومئذ تائبا فلما بلغ وادى السباع قتله بها عمرو بن حرموز غرة وبشر على قاتله بالنار وهم طلحة بالرجوع فرماه مروان بن الحكم وكان مع أصحاب الجمل بسهم قتله وعائشة رضى الله عنها قصدت الإصلاح بين الفريقين فغلبها بنو أزد وبنو ضبة على أمرها حتى كان من الأمر ما كان ومن قال بتكفير الفريقين أو أحدهما فهو الكافر دونهم هذا قول أهل السنة فيهم والحمد لله على ذلك.

ذكر الهذيلية منهم:

هؤلاء أتباع أبى الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف كان مولى لعبد القيس وقد جرى على منهاج ابناء السبايا لظهور اكثر البدع منهم وفضائحه تترى تكفره فيها سائر فرق الامة من أصحابه فى الاعتزال ومن غيرهم وللمعروف بالمرداد من المعتزلة كتاب كبير فيه فضائح أبى الهذيل وفى تكفيره بما انفرد به من ضلالاته وللجبائى ايضا كتاب فى الرد على أبى الهذيل فى المخلوق ويكفره فيه ولجعفر بن حرب أيضا وهو المشهور فى زعماء المعتزلة كتاب سماه توبيخ أبى الهذيل وأشار الى تكفير أبى الهذيل وذكر فيه ان قوله يجر الى قول الذهرية.

فمن فضائح أبى الهذيل قوله بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادرا على شىء ولأجل هذا زعم ان نعيم أهل الجنة واهل النار يفنيان ويبقى حينئذ أهل الجنة وأهل النار خامدين لا يقدرون على شىء ولا يقدر الله عز وجل فى تلك الحال على إحياء ميت ولا على إماته حى ولا على تحريك ساكن ولا على تسكين متحرك ولا على إحداث شىء ولا على إفناء شىء مع صحة عقول الاحياء فى ذلك الوقت.

وقوله فى هذا الباب شر من قول من قال بفناء الجنة والنار كما ذهب اليه جهم لان جهما وإن قال بفنائهما فقد قال بأن الله عز وجل قادر بعد فنائهما على ان يخلق أمثالهما وأبو الهذيل يزعم أن ربه لا يقدر بعد فناء مقدوراته على شىء.

وقد شنع المعروف منهم بالمرداد على أبى الهذيل فى هذه المسألة فقال يلزمه اذا كان ولى الله عز وجل فى الجنة قد يناول باحدى يديه الكاس وبالاخرى بعض التحف ثم حضر وقت السكون الدائم ان يبقى ولى لله عز وجل ابدا على هيئة المصلوب.

وقد اعتذر ابو الحسين الخياط عن أبى الهذيل فى هذا الباب باعتذارين:

احدهما دعواه ان أبا الهذيل اشار الى أن الله عز وجل عند قرب انتهاء مقدوراته يجمع فى اهل الجنة اللذات كلها فيبقون على ذلك فى سكون دائم.

واعتذاره الثانى دعواه ان ابا الهذيل انه كان يقول هذا القول مجادلا به خصومه البحث عن جوابه.

واعتذاره الاول عنه باطل من وجهين:

أحدهما أنه يوجب اجتماع لذتين متضادتين في محل واحد فى وقت واحد وذلك محال كاستحالة اجتماع لذة وألم فى محل واحد.

والوجه الثانى أن هذه الاعتذار لو صح لوجب ان يكون اهل الجنة بعد فناء مقدورات الله عز وجل أحسن من حالها فى حال كونه قادرا.

وأما دعواه ان أبا الهذيل إنما قال بفناء المقدورات مجادلا به معتقدا لذلك فالفاضل بيننا وبين المعتذر عنه كتب أبو الهذيل وأشار فى كتابه الذى سماه بالحجج إلى ماحكيناه عنه وذكر فى كتابه المعروف بكتاب القوالب بابا فى الرد على الدهرية وذكر فيه قولهم للموحدين اذا جاز أن يكون بعد كل حركة حركة سواها لا إلى آخر وبعد كل حادث آخر لا إلى غاية فهلا صح قول من زعم أن حركة الا وقبلها حركة ولا حادث إلا وقبله

حادث لا عن أول لا حالت قبله وأجاب عن هذا الالـزام بتسـويته بينهما وقال كما أن الحـوادث لهـا ابتـداء لـم يكـن قبلهـا حـادث كـذلك لهـا آخـر لا يكـون بعـده حـادث ولاجـل هـذا قـال بفنـاء مقدورات الله عـز وجـل وسـائر المتكلميـن مـن أصـناف فـرق الاسـلام فرقـوا بيـن الحـوادث الماضـية والحـوادث المسـتقبلة بفروق واضحة لم يهتد اليها أبو الهذيل فارتكب لاجـل جهلـه بهـا قوله بفناء المقدورات وقد ذكرنا تلك الفروق الواضحة فى باب الدلالة على حدوث العالم في كتبنا المؤلفة فى ذلك

والفضيحة الثانية من فضائح أبى الهـذيل قـوله بـأن أهـل الآخرة مضطرون الى ما يكون منهم وان أهل الجنة مضـطرون الى أكلهم وشـربهم وجمـاعهم وأن أهـل النـار مضـطرون الـى أقوالهم وليس لأحد فى الآخرة من الخلق قـدرة علـى اكتسـاب فعـل ولا علـى اكتسـاب قـول واللـه عـز وجـل خـالق أقـوالهم وحركاتهم وسائر ما يوصفون به وكـانت القدريـة يعيبـون جهمـا فى قوله ان العبـاد فـى الـدنيا مضـطرون الـى مـا يكـون منهـم وينكرون على أصحابنا قولهم بأن الله عـز وجـل خـالق اكسـاب العباد ويقولون لاصحابنا اذا كان هو خالق ظلـم العبـاد وجـب ان يكون ظالما واذا خلق كذب الانسان وجـب ان يكـون كاذبـا فهلا قالوا لأبى الهذيل اذا قلت أن الله عـز وجـل يخلـق فـى الآخـرة كذب اهل النار فى قولهم {والله ربنا ما كنـا مشـركين} وجـب ان يكون هو الكاذب بهذا القول ان كان الكاذب عندهم من فعل الكـذب ولا يتـوجه علينـا هـذا الالـزام لأنـا لا نقـول ان الكـاذب والظالم من خلق الكذب والظلم ولكنا نقول ان الظالم من قام به الظلم والكاذب من قام به الكذب لا من فعله.

وقد اعتذر الخياط عن أبى الهذيل فى بدعته هذه بأن قال ان الآخـرة دار جـزاء وليسـت بـدار تكليـف فلـو كـان اهـل الآخـرة مكتسبين لاعمالهم لكانوا مكلفين ولوقـع ثـوابهم وعقـابهم فـى دار سواها فيقـال للخيـاط هـل ترضـى بهـذا الاعتـذار مـن أبـى الهذيل ام تسخطه فان رضيته فقل فيه بمثل قوله وذلـك خلاف قولك وان سخطته فلا معنى لاعتذارك عنه فى شىء تكفره.

وقلنا لابى الهذيل ما تنكر من كون أهل الآخرة مكتسبين لاعمالهم وان يكونوا فيها مأمورين للشكر لله عز وجل على نعمه ولا يكونوا مأمورين بصلاة ولا زكاة ولا صيام ولا يكونوا منتهين عن المعاصى ويكون ثوابهم على الشكر وترك المعصية دوام النعيم عليهم وما انكرت عليهم من أنهم يكونون فى الاخرة منهيين عن المعاصى ومعصومين منها كما قال أصحابنا مع أكثر الشيعة ان الانبياء عليهم السلام كانوا فى الدنيا منتهين عن المعاصى ومعصومين عنها وكذلك الملائكة منتهون عن المعاصى ومعصومون عنها ولذلك قال الله عز وجل فيهم {لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}.

والفضيحة الثالثة من فضائحه قوله بطاعات كثيرة لا يراد الله عز وجل بها كما ذهب اليه قوم من الخوارج الاباضية وقد زعم أن ليس فى الارض هدى ولا زنديق الا وهو مطيع لله تعالى فى أشياه كثيرة وان عصاه من جهة كفره وقال أهل السنة والجماعة ان الطاعة لله عز وجل ممن لا يعرفه انما تصح فى شىء واحد وهو النظر والاستدلال الواجب عليه قبل وصوله الى معرفة الله فان يفعل ذلك يكن مطيعا لله تعالى لأنه قد أمره به وان لم يكن قصد بفعله لذلك النظر الاول التقرب به الى الله عز وجل ولا تصح منه طاعة لله تعالى سواها الا اذا قصد بها التقرب بها اليه لانه يمكنه ذلك اذا توصل بالنظر الاول الى معرفة الله تعالى ولا يمكنه قبل النظر الاول التقرب به اليه اذا لم يكن عارفا به قبل نظره واستدلاله.

واستدل أبو الهذيل على دعواه صحة وقوع طاعات الله تعالى ممن لا يعرفه بأن قال ان أوامر الله تعالى بازائها زواجره فلو كان من لا يعرفه فعل ترك جميع أوامره وجب ان يكون قد صار الى جميع زواجره وان يكون من ترك جميع الطاعات قد صار الى جميع المعاصى ولو كان كذلك لصار الدهرى يهوديا ونصرانيا ومجوسيا وعلى اديان سائر الكفرة واذا صار المجوسى تاركا لكل كفر سوى المجوسية علمنا أنه عارض

بمجوسيته التى قد نهى عنها ومطيع لله عز وجل بترك ما تركه من انواع الكفر لانه مأمور بتركها.

فقلت له ليس الامر فى أوامر الله تعالى وزواجره على ما ظننته ولكن لا خصلة من الطاعة الا ويضادها معاص متضادة ولا خصلة من الايمان الا ويضادها خصال متضادة كل نوع منها يضاد النوع الآخر كما يضادها الطاعة وذلك بمنزلة القيام والقعود والاضطجاع والاستلقاء وقد يخرج عن القعود من لا يصير الى جميع اضداده وانما يخرج من القعود بنوع واحد من أضداده كذلك يخرج عن كل طاعة لله تعالى بنوع واحد من الكفر المضاد للطاعات كلها لان ذلك النوع من الكفر يضاد نوعا آخر من الكفر كما يضاد سائر الطاعات وهذا واضح فى نفسه وان جهله أبو الهذيل.

والفضيحة الرابعة من فضائحه قوله بأن علم الله سبحانه وتعالى هو الله وقدرته هى هو.

ويلزمه على هذا القول أن يكون الله تعالى علما وقدرة ولو كان هو علما وقدرة لاستحال ان يكون عالما قادرا لان العلم لا يكون عالما والقدرة لا تكون قادرة.

ويلزمه ايضا اذا قال ان علم الله هو الله وقدرته هى هو ان يقول ان علمه هو قدرته ولو كان علمه قدرته لوجب ان يكون كل معلوم له مقدورا له وهذا يوجب ان يكون رأيه مقدورا له لانه معلوم له وهذا كفر فما يؤدى اليه مثله.

والفضيحة الخامسة تقسيمه كلام الله عز وجل الى ما يحتاج الى محل والى مالا يحتاج الى محل وقد زعم ان قول الله سبحانه للشىء كن حادث لا فى محل وسائر كلامه حادث فى جسم من الاجسام وكل كلامه عنده اعراض وقد زعم ان قوله للشىء كن من جنس قول الانسان كن ففرق بين عرضين من جنس واحد فى حاجة احدهما الى محل واستغناء الآخر عن المحل فاما قوله بحدوث ارادة الله سبحانه لا فى محل وقد شاركه فيه المعتزلة البصرية مع قولهم بأنها من جنس واحد ارادتنا المفتقرة الى المحل.

ووجود كلمة لا فى محل يوجب ان لا يكون بعض المتكلمين بان يتكلم بها أولى من بعـض وليـس لأبـى الهـذيل ان يقـول ان فاعلها أولى بان يتكلم بها من غيره لانه قد قال بان اللـه تعـالى يخلـق فـى الآخـرة كلام أهـل الجنـة وكلام أهـل النـار ولا يكـون متكلما بكلامهم فقـد أداه قـوله بوجـود كلمـة لا فـى محـل الـى تصحيح كلام لا لمتكلم وهذا محال فما يؤدى اليه مثله.

والفضيحة السادسة من فضائحه قوله ان الحجة من طريق الاخبار فيما غاب عن الحواس من آيـات الانبيـاء عليهـم السـلام وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفسا فيهم واحد من اهل الجنة او أكثر ولم يوجب بأخبار الكفرة والفسقة حجة وان بلغوا عدد التواتر الذين لا يمكـن تواطـؤهم علـى الكـذب اذا لـم يكـن فيهم واحد من أهل الجنة وزعم أن خبر ما دون الاربعة لا يوجب حكما ومن فـوق الاربعـة الـى العشـرين قـد يصـح وقـوع العلـم بخبرهم وقد لا يقع العلم بخبرهم وخبر العشـرين اذا كـان فيهـم واحد من اهل الجنة يجب وقوع العلم منه لا محالة.

واستدل على ان العشرين حجة بقول الله تعالى {إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين}. وقال لم يبح لهم قتالهم الا وهم عليهم حجة.

وهذا يوجب عليه ان يكون خبر الواحد حجة موجبة للعلم لأن الواحد فى ذلك الوقت كـان لـه قتـال العشـرة مـن المشـركين فيكون جواز قتاله لهم دليلا على كونه حجة عليهم.

قال عبد القاهر ما أراد ابو الهذيل باعتباره عشـرين فـى الحجة من جهـة الخـبر اذا كـان فيهـم واحـد مـن أهـل الجنـة إلا تعطيل الاخبار الواردة فى الاحكام الشـرعية عـن فوائـدها لانـه أراد بقوله ينبغي ان يكون فيهم واحد من أهل الجنة واحد يكـون على بدعته فى الاعتزال والقدر وفـى فنـاء مقـدورات اللـه عـز وجل لان من لم يقـل بـذلك لا يكـون عنـده مؤمنـا ولا مـن أهـل الجنة ولم يقل قبل أبى الهذيل أحد على بدعة أبى الهذيل حـتى تكون روايته فى جملة العشرين على شرطه.

الفرق بين الفِرق

والفضيحةالسابعة انه فرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح فقال لا يجوز وجود أفعال القلوب من الفاعل مع قدرته عليه ولا مع موته وأجاز وجود أفعال الجوارح من الفاعل منا بعد موته وبعد عدم قدرته ان كان حيا لم يمت وزعم ان الميت والعاجز يجوز ان يكونا فاعلين لافعال الجوارح بالقدرة التي كانت موجودة قبل الموت والعجز.

وزعم الجبائى وابنه أبو هشام ان أفعال القلوب فى هذا الباب كأفعال الجوارح فى انه يصح وجودها بعد فناء القدرة عليها ومع وجود العجز عنها.

وقول الجبائى وابنه فى هذا الباب شر من قول ابى الهذيل غير ان ابا الهذيل سبق الى القول باجازة كون الميت والعاجز فاعلين لأفعال الجوارح ونسج الجبائى وابنه على منواله فى هذه البدعة وقاسا عليه إجازة كون العاجز فاعلا لأفعال القلوب ومؤسس البدعة عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير نقصان يدخل فى وزن العاملين بها

الفضيحة الثامنة من فضائحه إنما لما وقف على اختلاف الناس فى المعارف هل هى ضرورية أم اكتسابية ترك قول من زعم انها كلها ضرورية وقول من زعم أنها كلها كسبية وقول من قال ان المعلوم منها بالحواس والبداية ضرورية وما علم منها بالاستدلال اكتسابية واختار لنفسه قولا خارجا عن أقوال السلف فقال المعارف ضربان أحدهما باضطرار وهو معرفة الله عز وجل ومعرفة الدليل الداعى الى معرفته وما بعدها من العلوم الواقعة عن الحواس أو القياس فهو علم اختيار واكتساب.

ثم انه بنى على ذلك قوله فى مهلة المعرفة فخالف فيها سائر الامة فقال فى الطفل انه لا يلزمه فى الحال الثانية من حال معرفته بنفسه أن يأتى بجميع معارف التوحيد والعدل بلا فصل وكذلك عليه ان يأتى مع معرفته بتوحيد الله سبحانه وعدله بمعرفة جميع ما كلفه الله تعالى بفعله حتى ان لم يأت بذلك كله فى الحال الثانية من معرفته بنفسه ومات فى الحال

الثالثة مات كافرا وعدوا لله تعالى مستحقا للخلود فى النار واما معرفته بما لا يعرف الا بالسمع من جهة الاخبار فعليه ان يأتى بمعرفة ذلك فى الحال الثانية من سماعه للخبر الذى يكون حجة قاطعة للعذر.

وكان بشر بن المعتمر يقول عليه ان يأتى بالمعارف العقلية فى الحال الثالثة مع معرفته بنفسه لان الحال الثانية حال نظر وفكر فان لم يأت بها فى الحال الثالثة ومات فى الحال الرابعة كان عدوا لله تعالى مستحقا للخلود فى النار.

فهذان القدريان اللذان انكرا على الازارقة قولهما بان اطفال مخالفيهم فى النار وعلى من زعم ان أطفال المشركين فى النار قد زعما ان اطفال المؤمنين اذا ماتوا فى الحال الثالثة او الرابعة من معرفتهم بأنفسهم قبل اتيانهم بالمعارف العقلية كفرة مخلدون فى النار من غير كفر اعتقدوه.

الفضيحة التاسعة من فضائحه انه أجاز حركة الجسم الكثير الاجزاء بحركة تحل فى بعض اجزائه ولم يخبر مثل هذا فى اللون

وقال سائر المتكلمين ان الجزء الذى قامت به الحركة هو المتحرك بها دون غيره من اجزاء الجملة كما ان الجزء الذى يقوم به السواد هو الاسود به دون غيره من اجزاء الجملة وان تحركت الجملة كان فى كل جزء منها حركة كما لو اسودت الجملة كان فى كل جزء منها سواد.

الفضيحة العاشرة من فضائحه قوله بان الجزء الذى لا يتجزأ لا يصح قيام اللون به اذا كان منفردا ولا تصح رؤيته اذا لم يكن فيه لون.

وهذا يوجب عليه ان الله تعالى لو خلق جزءا منفردا لم يكن رائيا له.

والحمد لله الذى انقذ اهل السنة من البدع التى حليناها فى هذا الباب من أبى الهذيل.

ذكر النظامية منهم:

الفرق بين الفِرق

هؤلاء اتباع أبى اسحق ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام والمعتزلة يموهون على الاغمار بديته يوهمون انه كان نظاما للكلام المنثور والشعر الموزون وانما كان ينظم الخرز في سوق البصرة ولاجل ذلك قيل له النظام وكان فى زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنوية وقوما من السمتية القائلين بتكافؤ الادلة وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة ثم خالط هشام بن الحكم الرافضى فاخذ عن هشام وعن ملحدة الفلاسفة قوله بابطال الجزء الذى لا يتجزأ ثم بنى عليه قوله بالطفرة التى لم يسبق اليها وهم احد قبله واخذ من الثنوية قوله بان فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور والكذب واخذ من هشام بن الحكم ايضا قوله بان الالوان والطعوم والروائح والاصوات اجسام وبنى على هذه البدعة قوله بتداخل الاجسام فى حيز واحد ودليل مذاهب الثنوية وبدع الفلاسفة وشبه الملحدة فى دين الاسلام وأعجب بقول البراهمة بابطال النبوات ولم يجسر على اظهار هذا القول خوفا من السيف فانكر اعجاز القران فى نظمه وانكر ما روى فى معجزات نبينا من انشقاق القمر وتسبيح الحصا فى يده ونبوع الماء من بين اصابعه ليتوصل بانكار معجزات نبينا عليه السلام الى انكار نبوته ثم انه استثقل احكام شريعة الاسلام فى فروعها ولم يجسر على اظهار رفعها فابطل الطرق الدالة عليها فانكر لاجل ذلك حجة الاجماع وحجة القياس فى الفروع الشرعية وانكر الحجة من الاخبار التى لا توجب والعلم الضرورى.

ثم انه علم اجماع الصحابة على الاجتهادفى الفروع الشرعية فذكرهم بما يقرؤه غدا من صحيفة مخازيه وطعن فى فتاوى اعلام الصحابة رضى الله عنهم وجميع فرق الامة من فريقى الرأى والحديث مع الخوارج والشيعة والنجارية واكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام وانما تبعه فى ضلالته شرذمة من القدرية كالاسوارى وابن حايط وفضل الحدثى والجاحظ مع مخالفة كل واحد منهم له فى بعض ضلالاته وزيادة بعضهم عليه فيها واعجاب هؤلاء النفر اليسير به كاعجاب الجعل بدحروجته

وقد قال بتكفيره اكثر شيوخ المعتزلة منهم أبو الهذيل فانه قال بتكفيره فى كتابه المعروف بالرد على النظـام وفـى كتـابه عليه فى الاعراض والانسان والجزء الذى لا يتجزأ.

ومنهم الجبائى كفر النظام فى قـوله ان المتولـدات مـن افعال الله بإيجاب الخلقة والجبائى فـى هـذا البـاب هـو الكـافر دون غيره غير انا أردنا أن نـذكر تكفيـر شـيوخ المعتزلـة بعضـها بعضا وكفره الجبائى فى احالته قـدرة اللـه تعـالى علـى الظلـم وكفره فى قوله بالطبائع وله فى ذلك كتاب عليـه وعلـى معمـر فى الطبائع.

ومنهم الاسكافى له كتاب على النظام كفره فيه فى اكثر مذاهبه.

ومنهم جعفر بن حرب صنف كتابا فى تكفير النظام بابطاله الجزء الذى لا يتجزأ.

واما كتب اهل السنة والجماعة فى تكفيره فالله يحصيها ولشيخنا ابى الحسن الاشعرى رحمه الله فى تكفير النظام ثلاثة كتب وللقلانسى عليه كتب ورسائل.

وللقاضى ابى بكر محمد بن أبى الطيب الاشعرى رحمه الله كتاب كبير فى بعض اصول النظام وقد أشـار الـى ضـلالاته فـى كتـاب اكفـار المتـأولين ونحـن نـذكر فـى هـذا الكتـاب مـا هـو المشهور من فضائح النظام:

فاولها قوله بان الله عز وجل لا يقدر ان يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ولا يقدر على ان ينقص من نعيم اهل الجنـة ذرة لان نعيمهم صلاح لهم والنقصان مما فيه الصلاح ظلـم عنـده ولا يقدر ان يزيد فى عذاب اهـل النـار ذرة ولا علـى ان ينقـص مـن عذابهم شيئا وزعم ايضا ان اللـه تعـالى لا يقـدر علـى ان يخـرج احدا من اهل الجنة عنها ولا يقدر علـى ان يلقـى فـى النـار مـن ليس من اهل النار.

وقال لو وقف طفل على شفير جهنم لم يكن الله قادرا على القائه فيها وقدر الطفل على القاء نفسه فيهـا وقـدرت الزبانيـة ايضا على القائه فيها.

ثم زاد على هذا بان قال ان الله تعالى لا يقدر على ان يعمى بصيرا او يزمن صحيحا او يفقر غنيا اذا علـم ان البصـر والصـحة والغنى اصلح لهم وكذلك لا يقدر على ان يغنى فقيـرا او يصـحح زمنا اذا علم ان المرض والزمانة والفقر اصلح لهم.

ثم زاد على هذا ان قال انه لا يقدر على ان يخلق حيـة او عقربا او جسما يعلم ان خلق غيره اصلح من خلقه.

وقد أكفرته البصرية من المعتزلة فى هذا القول وقالوا ان القادر على العدل يجب ان يكون قادرا على الظلم والقادر على الصدق يجب ان يكون قادرا على الكـذب وان لـم يفعـل الظلـم والكذب لقبحهما او غناه عنهمـا وعلـم بغنـاه عنهمـا لان القـدرة على الشيء يجب ان يكون قدرة على صده فاذا قال النظام ان الله تعالى لا يقدر على الظلم والكذب لزمـه ان لا يكـون قـادرا على الصدق والعدل والقول بانه لا يقدر علـى العـدل كفـر فمـا يؤدى اليه مثله.

وقالوا ايضا لا فرق بين قول النظام إنه يكون من الله تعالى مالا يقدر علـى صـده ولا علـى تركـه وبيـن قـول مـن زعـم انـه مطبوع على فعل لا يصح منه خلافه وهـذا كفـر فمـا يـؤدى اليـه مثله.

ومن عجائب النظام فى هذه المسألة انه صنف كتابا على الثنوية وتعجب فيه من قـول المانويـة بـان النـور يـأمر اشـكاله المختلفة بالظلمة يفعل الخير وهي مما لا تقـدر علـى الشـر ولا يصح منها فعل الشرور وتعجب من ذم الثنوية الظلمة على فعل الشر مع قولها بان الظلمـة لا تسـتطيع فعـل الخيـر ولا تقـدر الا على الشر فيقال لـه اذا كـان اللـه عنـدك مشـكورا علـى فعـل العدل والصدق وهو غير قادر على فعل الظلم والكذب فما وجه انكارك على الثنوية ذم الظلم على الشـر وهـى عنـدهم لا تعـذر على خلاف ذلك.

الفضيحة الثانية من فضائحه قوله ان الانسان هو الروح وهو جسم لطيف فداخل لهذا الجسم الكـثيف مـع قـوله بـان الـروح هى الحياة المشابكة لهذا الجسد وقد زعم انه فى الجسد علــى

سبيل المداخلة وانه جوهر واحـد غيـر مختلـف ولا متضـاد وفـى قوله هذا فضائح له:

منها ان الانسان على هذا القول لا يرى على الحقيقة وانما يرى الجسد الذى فيه الانسان ومنها انه يـوجب ان الصـحابة مـا رأوا رسول الله وانما رأوا قالبا فيه الرسول.

ومنها يوجب ان لا يكون احد قد رأى اباه وامه وانمـا رأى قالبيهما.

ومنها انه اذا قال فى الانسان انه ليس هو الجسد الظاهر وانما هو روح مداخل للجسد لزمه ان يقول فى الجماد ايضا انـه ليس هو جسده وانما هو روح فى جسده وهو الحيـاة المشـابكة للجسد وكذلك القول فى الفرس وسائر البهائم وجميـع الطيـور والحشـرات واصـناف الحيوانـات وكـذلك القـول فـى الملائكـة والجن والانس والشياطين وهذا يوجب ان احـدا مـا رأى حمـارا ولا فرسا ولا طيرا ولا نوعا من الحيوان ويوجب ايضا ان لا يكون النبى رأى ملكا ويوجب ان الملائكة لا يرى بعضـهم بعضـا وانمـا رأى الراؤون قوالب هذه الاشياء التى ذكرناها.

ومنها انه اذا قال ان الروح التى في الجسد هى الانسـان وهـى الفاعلـة دون الجسـد الـذى هـو قـالبه لزمـه ان يقـول ان الروح هى الزانية والسارقة والقاتلة فاذا جلـد الجسـد وقطعـت يده صار المقطوع غير السارق والمجلود غير الزانـى وفـى هـذا غنى ويقول الله عز وجل {الزانيـة والزانـى فاجلـدوا كـل واحـد منهما مائة جلدة} وقوله {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم} وكفـاه بعنـاد القـرآن خزيا.

الفضيحة الثالثة من فضائحه قوله بـان الـروح الـتى هـي الانسان بزعمه مستطيع بنفسـه حـى بنفسـه وانمـا يعجـز لآفـة تدخل عليه والعجز عنده جسم ولا يخلو من ان يقول فى العاجز والميت انهما نفس الانسان الذى يكـون حيـا قـادرا او يقـول ان الميـت العـاجز جسـده فـان قـال ان الانسـان هـو الـذى يعجـز ويموت أبطل قوله بأن الانسان حـى بنفسـه ومسـتطيع بنفسـه

لوجود نفسه فى حال موته وعجزه ميته او عاجزه وان زعـم ان الروح هى قوى بنفسه وان الجسد هو الذى يمـوت ويعجـز غيـر الذى كان حيـا قـادرا ويجـب علـى هـذا القـول ان لا يكـون اللـه تعالى قادرا على احياء ميت ولا على اماتـة حـى ولا علـى اقـدار عاجز ولا على تعجيز قـادر لان الحـى عنـده لا يمـوت والقـوى لا يعجز وقد وصف الله تعالى نفسه بانه يحيـى المـوتى وان زعـم ان الروح حى قوى بنفسه وانما تموت وتعجز لأنه تدخل عليه لم ينفصل ممن يزعم انها ميتة عاجزة بنفسها وانمـا تحيـى وتقـوى بحياة وقدرة تدخلان عليهما.

الفضيحة الرابعة من فضائحه قوله ان الروح جنس واحد وافعاله جنس واحد وان الاجسام ضربان حى وميـت وان الحـى منها يستحيل ان يصير ميتا والميت يستحيل ان يصير حيـا وانمـا اخذ هذا القول من الثنوية والبرهانية الذين زعموا ان النور حـي خفيف من شأنه الصعود ابدا وان الظلام موات ثقيل مـن شـأنه التسـفل ابـدا وان الثقيـل الميـت محـال ان يصـير خفيفـا وان الخفيف الحى محال ان يصير ثقيلا ميتا.

الفضحية الخامسة من فضائحه دعواه ان الحيوان كله جنس واحد لاتفاق حمية منه فـى تـدريك الادراك وزعـم ان العمـل اذا اتفق دل اتفـاقه علـى اتفـاق مـا ولـده وزعـم ايضـا ان الجنـس الواحـد لا يكـون منـه عملان مختلفـان كمـا لا يكـون مـن النـار تسخين وتبريد ولا من الثلج تسـخين وتبريـد وهـذا تحقيـق قـول الثنوية ان النور يفعل الخير ولا يكون منـه الشـر والظلام يفعـل الشر ولا يكـون منـه الخيـر لان الفاعـل الواحـد لا يفعـل فعليـن مختلفين كما لا يقع من النار تسخين وتبريد ولا من الثلج تسخين وتبريد.

ومن العجب انه صنف كتابا على الثنوية ألزمهم فيه استحالة مـزاج النـور والظلمـة اذا كانـا مختلفيـن فـى الجنـس والعمـل وكانت جهات تحركهمـا مختلفـة ثـم زعـم مـع ذلـك ان الخفيـف والثقيل من الاجسام مع اختلافهما فى جنسيهما واختلاف جهتى

حركتهما تتداخلان والمداخلة فى حيز واحـد اعظـم مـن المـزاج الذى انكره على الثنوية.

الفضيحة السادسة من فضائحه قوله بان النار من شأنها ان تعلو بطباعها علـى كـل شـىء وانهـا اذا شـملت مـن الشـوائب الحابسة لهـا فـى هـذا العـالم ارتفعـت حـتى تجـاوز السـماوات والعرش الا ان يكون من جنسها ما تتصل به فلا تفارقه.

وقال فى الـروح ايضـا انـه اذا كـان فـارق الجسـد ارتفـع ويستحيل منها غير ذلك وهذا بعينه قـول الثنويـة اذ الـذى شـاب من اجزاء النور باجزاء الظلمة اذا انفصل منها ارتفع الـى عـالم النور فان كان يثبـت فـوق السـماء نـورا تتصـل بـه الارواح فهـو ثنـوى وان كـان يثبـت فـوق الهـواء نـارا يخلـص اليهـا النيـران المرتفعة فى الهواء فهو من جملة الطـبيعيين الـذين زعمـوا ان مسافة الهواء فى الارتفاع عن الاعراض ستة عشر ميلا وفوقهـا نار متصلة بفلك القمر يلحق بها ما يرتفع من لهب النار فهو امـا ثنوى واما طبيعي يدلس نفسه فى غمار المسلمين.

الفضيحة السابعة من فضائحه قوله بان افعال الحيوان كلها من جنس واحد وهى كلها حركة وسكون والسكون عنده حركـة اعتمـاد والعلـوم والارادات عنـده مـن جملـة الحركـات وهـى الاعراض والاعراض كلها عنده جنس واحـد وهـى كلهـا حركـات فاما الالوان والطعوم والاصوات والخواطر فهـن عنـده اجسـام مختلفة به ومتداخلة ونتيجة قوله بان افعال الحيوان جنس واحد توجب عليه ان يكـون الايمـان مثـل الكفـر والعلـم مثـل الجهـل والحـب مثـل البغـض وان يكـون فعـل النـبى عليـه السـلام بالمؤمنين مثل فعل ابليـس بالكـافرين وان يكـون دعـوة النـبى عليه السلام الى دين الله تعالى مثل دعوة ابليس إلـى الضـلالة وقد قال فى بعض كتبه ان هذه الافعال كلها جنـس واحـد وانمـا اختلفت اسماؤها لاختلاف احكامها وهى فى الجنس واحـد لانهـا كلها افعال الحيوانات ولا يفعل الحيـوان عنـده فعليـن مختلفيـن كما لا يكون من النار تبريد وتسخين.

ويلزمه على هذا الاصل ان لا يغضب على من شتمه ولعنه لان قول القائل لعن الله النظام عند النظام مثل قوله رحمه الله وقوله انه ولد زنى كقوله انه ولد حلال فان رضى لنفسه بمثل هذا المذهب فهو أهل له ولما يلزمه عليه.

الفضيحة الثامنة من فضائحه قوله بان الالوان والطعوم والروائح والاصوات والخواطر أجسام واجازته تداخل الاجسام الكثيرة في حيز واحد وقد انكر على هشام بن الحكم قوله بان العلوم والارادات والحركات اجسام وقال لو كانت هذه الثلاثة اجساما لم يجتمع فى شىء واحد ولا فى حيز واحد وهو يقول ان اللون والطعم والصوت اجسام متداخلة فى حيز واحد وينقض بمذهب اعتلاله على خصمه ومن أجاز مداخلة الاجسام فى حيز واحد لزمه اجازة دخول الجمل فى سم الخياط.

الفضيحة التاسعة من فضائحه قوله فى الاصوات وذلك انه زعم انه ليس فى الارض اثنان سمعا صوتا واحدا الا على معنى انهما سمعا جنسا واحدا من الصوت كما يأكلان جنسا واحدا من الطعام وان كان مأكول احدهما غير ماكول الآخر وانما ألجأه الى هذا القول دعواه ان الصوت لا يسمع الا بهجومه على الروح من جهة السمع ولا يجوز ان يهجم من قطعه واحدة على سمعين متباينين وشبه ذلك بالماء المصبوب على قوم يصيب كل واحد منهم غير ما يصيب الآخر.

ويلزمه على هذا الاصل ان لا يكون احد سمع كلمة واحدة من الله تعالى ولا من رسوله لان مسموع كل واحد من السامعين خير من صوت المتكلم بالكلمة الواحدة والكلمة الواحدة ربما كانت من حرفين وبعض الحرفين لا يكون كلمة عنده وان زعم ان الصوت لا يكون كلاما مسموعا الا اذا كان من حروف لزمه ان لا يسمع الجماعة حرفا واحدا لان الحرف الواحد لا ينقسم حروفا كثيرة على عدد السامعين.

الفضيحة العاشرة من فضائحه قول بانقسام كل جزء لا الى نهايةوفى ضمن هذا القول احالة كون الله تعالى محيطا بآخر

العالم عالما بها وذلك قول الله تعالى {وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا}.

ومن عجائبه انه انكر على المانوية قولهم بان الهمامة التى هي روح الظلمة عندهم قطعت بلادها ووافت الفضيحة العليا من العليا حتى شاهدت النور وقال لهم ان كانت بلادها لا تتناهى من جهة السفل فكيف قطعتها الهمامة لان قطع ما لا نهاية له محال ثم زعم مع ذلك ان الروح اذا فارق البدن قطع العالم الى فوق مع قوله بان المقطوع من العالم غير متناهية الاجزاء بل كل قطعة منها غير متناهية الاجزاء فكيف قطعها الروح فى وقت متناه ولاجل هذا الالزام قال بالطفرة التى لم يسبق اليها من أهل الاهواء غيره.

واعجب من هذا انه الزم الثنوية بتناهى النور والظلمة من كل جهة من الجهات الست من اجل قولهم بتناهى كل واحد منها من جهة ملاقاته للآخر فهل استدل بتناهى كل جسم من جميع جهات اطرافه على تناهى اجزائه فى الوسط واذا كان تناهى الجسم من جهاته الست لا يدل عنده على تناهيه فى الوسط لم ينفصل من الثنوية اذا قالوا ان تناهى كل واحد من النور والظلمة من جهة الملاقاة لا يدل على تناهيهما من سائر الجهات.

الفضيحة الحادية عشرة من فضائحه قوله بالطفرة وهى دعواه ان الجسم قد يكون في مكان ثم يصير منه الى المكان الثالث او العاشر منه من غير مرور بالامكنة المتوسطة بينه وبين العاشر ومن غير ان يصير معدوما فى الأول ومعادا فى العاشر.

ونحن نتحاكم اليه فى بطلان هذا القول ان انصف من نفسه وان كان التحكيم بعد أبى موسى الاشعرى وعمرو بن العاص تضييعا للحزم.

الفضيحة الثانية عشرة من فضائحه هى التى تكاد السماوات يتفطرن منه وهى دعواه انه لا يعلم باخبار الله عز وجل ولا

باخبار رسوله عليه السلام ولا باخبار اهل دينه شىء على الحقيقة ودعواه ان الاجسام والالوان لا يعلمان بالاخبار.

والذى الجأه الى هذا القول الشنيع قوله بان المعلومات ضربان محسوس وغير محسوس والمحسوس منها اجسام ولا يصح العلم بها الا من جهة الحس والحس عنده لا يقع الا على جسم واللون والطعم والرائحة والصوت عنده اجسام قال ولهذا ادركت بالحواس واما غير المحسوس فضربان قديم وأعراض وليس طريق العلم بهما الخبر وانما يعلمان بالقياس والنظر دون الحس والخبر.

فقيل له على هذا الاصل كيف عرفت ان محمدا كان فى الدنيا وكذلك سائر الانبياء والملوك وان كانت الاخبار عندك لا يعلم بها شىء.

فقال ان الذين شاهدوا النبى عليه السلام اقتطعوا منه حين رأوه قطعة توزعوها بينهم وصلوها بارواحهم فلما اخبروا التابعين عن وجوده خرج منهم بعض تلك القطعة فاتصل بارواح التابعون لاتصال ارواحهم ببعضه وهكذا قصة الناقلون عن التابعين ومن نقلوا عنهم الى ان وصل الينا.

فقيل فقد علمت اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة ان نبينا عليه السلام كان فى الدنيا أفتزعم ان قطعة منه اتصلت بارواح الكفرة فالتزم ذلك فالزم ان يكون أهل الجنة اذا اطلعوا على اهل النار ورآهم اهل النار وخاطب كل واحد من الفريقين الفريق الآخر ان تنفصل قطعة من ارواح كل واحد منهم فيتصل بأرواح الفريق الآخر فيدخل الجنة قطع كثيرة من ابدان اهل النار وارواحهم ويدخل النار قطع كثيرة من ابدان أهل الجنة وارواحهم وكفاه بالتزام هذه البدعة خزيا.

الفضيحة الثالثة عشرة من فضائحه ما حكاه الجاحظ عنه من قوله تتجدد الجواهر والاجسام حالا بعد حال وان الله تعالى يخلق الدنيا وما فيها فى كل حال من غير ان يفنيها ويعيدها.

وذكر ابو الحسين الخياط فى كتابه على ابن الروندى ان الجاحظ غلط فى حكاية هذا القول على النظام.

فيقال له ان صدق الجاحظ عليه فى هذه الحكاية فاحكم بحبل النظام وحمقه والحادة فيه وان كذب عليه فاحكم بمجـون الجاحظ وسفهه وهو شـيخ المعتزلـة وفيلسـوفها ونحـن لا ننكـر كذب المعتزلة على أسلافها اذا كانوا كاذبين على ربهم ونبيهم.

الفضيحة الرابعة عشر من فضائحه قوله بأن الله تعالى خلق النـاس والبهـائم وسـائر الحيـوان وأصـناف النبـات والجـواهر المعدنية كلها فـى وقـت واحـد وان خلـق آدم عليـه السـلام لـم يتقدم على خلق اولاده ولا تقدم خلق الامهات على خلـق الأولاد وزعم أن الله تعالى خلق ذلك أجمع فى وقت واحد غير أن اكـثر بعض الاشياء فى بعض فالتقدم والتأخر إنمـا يقـع فـى ظهورهـا من أماكنها وفى هذا تكذيب منه لما اجتمع عليه من سلف الامة مع أهل الكتـاب مـن اليهـود والنصـارى والسـامرة مـن أن اللـه تعالى خلـق اللـوح والقلـم قبـل خلـق السـموات والارض وانمـا اختلفـت المسـلمون فـى السـماء والأرض أيتهمـا خلقـت أولا فخالف النظام المسلمين وأهل الكتـاب فـي ذلـك وخـالف فيـه أكثر المعتزلة لأن المعتزلة البصرية زعمت أن الله تعـالى خلـق إرادته قبل مرادته وأقر سائرهم بخلق بعض أجسام العالم قبـل بعض وزعم أبو الهذيل أنه خلق قـوله للشـىء كـن لا فـى محـل قبـل أن خلـق الأجسـام والأعـراض وقـول النظـام بـالظهور والكمون فى الاجسام وتـداخلها شـر مـن قـول الزهريـة الـذين زعموا أن الاعراض كلها كامنة فى الاجسام وإنما يتعين الوصف على الأجسام بظهور بعض الاعراض وكمـون بعضـها وفـى كـل واحد من المذهبين تطريق الدهرية الى إنكـار حـدوث الأجسـام والأعراض بدعواهم وجـود جميعهـا فـى كـل حـال علـى شـرط كمون بعضها وظهور بعضها من غير حدوث شىء منها فى حـال الظهور وهذا إلحاد وكفر وما يؤدى الى الضلالة فهو مثلها.

الفضيحة الخامسة عشرة من فضائحه قوله أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبى عليه السـلام ولا دلالـة على صدقه فى دعواه النبوة وإنما وجه الدلالة منه علـى صـدقه ما فيه من الاخبار عن الغيوب فأما نظم القـرآن وحسـن تـأليف

آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه فى النظم والتأليف.

وفى هذا عناد منه لقول الله تعالى {لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}. ولم يكن غرض منكر إعجاز القرآن إلا إنكار نبوة من تحدى العرب بأن يعارضوه بمثله.

الفضيحة السادسة عشرة من فضائحه قوله بأن الخبر المتواتر مع خروج ناقليه عند سامع الخبر عن الحصر ومع اختلاف همم الناقلين واختلاف دواعيهم يجوز ان يقع كذب هذا مع قوله بأن من أخبار الآحاد ما يوجب العلم الضرورى.

وقد كفره أصحابنا مع موافقيه فى الاعتزال فى هذا المذهب الذى صار اليه.

الفضيحة السابعة عشرة من فضائحه تجويزه إجماع الامة فى كل عصر وفى جميع الاعصار على الخطأ من جهة الرأى والاستدلال.

ويلزمه على هذا الاصل ان لايثق بشىء مما اجتمعت الامة عليه لجواز خطئهم فيه عنده واذا كانت احكام الشريعة منها ما أخذه المسلمون عن خبر متواتر ومنها ما أخذوه عن أخبار الاحاد ومنها ما أجمعوا عليه وأخذوه عن اجتهاد وقياس وكان النظام واقعا لحجة التواتر ولحجة الإجماع وإبطل القياس وخبر الواحد اذا لم يوجد العلم الضرورى فكأنه أراد إبطال أحكام فروع الشريعة لإبطاله طرقها.

والفضيحة الثامنة عشرة دعواه فى باب الوعيد أن من غصب أو سرق مائة وتسعة وتسعين درهما لم يفسق بذلك حتى يكون ما سرقه او غصبه وخان فيه مائتى درهم فصاعدا.

فان كان قد بنى هذا القول على ما يقطع فيه اليد فى السرقة فما جعل احد نصاب القطع فى السرقة مائتى درهم بل قال قوم فى نصاب القطع إنه ربع دينار او قيمته وبه قال الشافعى وأصحابه وقال مالك بربع دينار او ثلاثة دراهم وقال ابو حنيفة بوجوب القطع فى عشرة دراهم فصاعدا واعتبره

قوم باربعين درهما او قيمتها وأوجبت الاباضية القطع فـي قليـل السرقة وكثيرها وما اعتبر احد نصاب القطع بمـائتى درهـم ولـو كان التفسيق معتبرا بنصاب القطع لمـا فسـق الغاصـب لألـوف دنانير لأنه لا قطع على الغاصب المجـاهر ولـوجب أن لا يفسـق من سرق الالوف من غيـر حـرز او مـن الابـن لأنـه لا قطـع فـى هذين الوجهين.

وان كان إنما بنى تحديـد المـائتين فـى الفسـق علـى ان المائتين نصاب للزكـاة لزمـه تفسـيق مـن سـرق اربعيـن شـاة بوجوب الزكاة فيها وان كانت قيمتها دون مـائتى درهـم واذا لـم يكن للقياس فى تحديده مجال ولم يدل عليـه نـص مـن القـرآن والسنة الصحيحة لم يكن مأخوذا الا من وسوسة شيطانه الــذى دعاه الى ضلالته.

الفضيحة التاسعة عشرة من فضائحه قوله فى الايمان ان اجتناب الكبيرة فحسب.

ونتيجة هذا القول ان الأقوال والأفعال ليس شىء منها إيمانا والصلاة عنده أفعالها ليست بإيمان ولا من الايمان وانما الايمان فيها ترك الكبائر فيها.

وكان يقول مع هذا ان الفعل والترك كلاهما طاعة والناس قبله فريقان فريق قالوا ان الصلاة كلها من الايمان وفريق قالوا ليس شىء من الصلاة ايمانا وقد فارق هـو الفريقيـن فزعـم ان الصلاة ليست من الايمان وترك الكبائر فيها من الايمان

الفضيحة العشرون من فضائحه قوله فى باب المعاد بان العقــارب والحيــات والخنــافس والــذباب والــذبان والجعلان والكلاب والخنازير وسائر السباع والحشرات تحشر الـى الجنـة وزعـم أن كـل مـن وكـل مـا تفضـل اللـه عليـه بالجنـة لا يكـون لبعضهم على بعض درجة فى التفضيل وزعم انه ليس لابراهيـم بن رسول الله فـى الجنـة تفضـيل درجـة علـى درجـات أطفـال المؤمنين ولا لاطفال المؤمنين فيهـا تفضـيل بدرجـة او نعمـة او مرتبة على الحيات والعقارب والخنافس لانه لا عمل لهم كمـا لا عمل لها فحجر على رب العالمين ان يتفضل علـى اولاد الانبيـاء

بزيادة نعمة لا يتفضل بمثلها على الحشرات ثم لم يرض بهذا الحجر حتى زعم انه لا يقدر على ذلك وزعم ايضا انه لا يتفضل على الانبياء عليهم السلام الا بمثل ما يتفضل به على البهائم لأن باب الفضل عنده لا يختلف فيه العالمون وغيرهم وانما يختلفون فى الثواب والجزاء لاختلاف مراتبهم فى الاعمال.

وينبغى للنظام على قول هذا الاصل ان لا يغضب على من قال له حشرك الله مع الكلاب والخنازير والحيات والعقارب الى مأواها ونحن ندعو له بهذا الدعاء رضى به لنفسه.

الفضيحة الحادية والعشرون من فضائحه أنه لما ابتدع ضلالاته فى العلوم العقلية أدخل فى أبواب الفقه ايضا ضلالات له لم يسبق اليها.

منها قوله إن الطلاق لا ينفع بشىء من الكنايات كقول الرجل لامرأته أنت خلية او برية او حبلك على غاربك او الحقي بأهلك او اغتدى او نحوها من كنايات الطلاق عند الفقهاء سواء نوى بها الطلاق او لم ينوه.

وقد أجمع فقهاء الامة على وقوع الطلاق بها اذا قارنتها نية الطلاق وقد قال فقهاء العراق إن كنايات الطلاق فى حال الغضب كصريح الطلاق فى وقوع الطلاق بهما من غير نية.

ومنها قوله فى الظهار ان من ظاهر من امرأته بذكر البطن او الفرج لم يكن مظاهرا.

وهذا فيه خلاف قول الامة بأسرها.

والشأن فى أنه كان يقول بتفسيق أبى موسى الاشعرى فى حكمه ثم اختار قوله فى أن النوم لا ينقض الطهارة اذا لم يكن معها حدث على قول الجمهور الأعظم بأن النوم مضطجعا ينقض الوضوء وانما اختلفوا فى النوم قاعدا وراكعا وساجدا وسامح فيه أبو حنفية وأوجبه اكثر اصحاب الشافعى من طريق القياس.

ومنها أنه زعم أن من ترك صلاة مفروضة عمدا لم يصح قضاؤه لها ولم يجب عليه قضاؤها.

وهذا عند سائر الامة كفر ككفـر مـن زعـم أن الصـلوات الخمس غير مفروضة وفى فقهـاء الامـة مـن قـال فيمـن فـاتته صلاة مفروضة أنه يلزمه قضاء صلوات يـوم وليلـة وقـال سـعيد بن المسيب من ترك صلاة مفروضة حتى فات وقتها قضى الف صلاة وقد بلغ من تعظيم شـأن الصـلاة أن بعـض الفقهـاء افـتى بكفر من ينكرها عامـدا وان لـم يسـتحل تركهـا كمـا ذهـب اليـه احمد بن حنبل وقال الشافعى بوجوب قتل تاركها عمدا وان لــم يحكم بكفره اذا تركها كسلا لا استحلالاتة وقال ابو حنيفة بحبس تارك الصلاة وتعذيبه الى ان يصلى.

وخلاف النظام للامة فى وجوب قضاء المتروكة من فرائض الصـلاة بمنزلـة خلاف الزنادقـة فـى وجـوب الصـلاة ولا اعتبـار بالخلافين.

ثم ان النظام مع ضلالاته التى حكيناها عنه طعن فى اخبار الصحابة والتابعين من اجل فتاويهم بالاجتهاد فذكر الجاحظ عنه فى كتاب المعارف وفى كتابه المعروف بالفتيا أنه عاب اصحاب الحديث ورواياتهم احاديث ابى هريرة وزعم أن أبـا هريـرة كـان اكذب الناس وطعن فى الفاروق عمر رضى عنه وزعم انه شـك يوم الحديبية فى دينه وشك يوم وفاة النبى وانه كان فيمـن نفـر بالنبى عليه السلام ليلة العقبة وأنه ضرب فاطمة ومنـع ميـراث الفترة وانكر عليـه تغريـب نصـر بـن الحجـاج مـن المدينـة الـى البصرة وزعم أنـه ابـدع صـلاة التراويـح ونهـى عـن متعـة الحـج وحرم نكاح الموالى للعربيات.

وعـاب عثمـان بـايوآئه الحكـم بـن العـاص الـى المدينـة واستعماله الوليد بن عقبة على الكوفة حتى صلى بالنـاس وهـو سكران وعابه بأن أعان سعيد بـن العـاص بـأربعين الـف درهـم على نكاح عقده وزعم أنه استأثر بالحمى.

ثم ذكر عليا رضى الله عنه وزعم انه سئل عن بقرة قتلت حمارا فقال اقول فيها برأيى ثم قال بجهله من هو حـتى يقضـى برأيه.

الفرق بين الفِرق

وعاب ابن مسعود فى قوله فى حديث تزويج بنت واشتف اقول فيها برأيى فان كان صوابا فمن الله عز وجل وان كان خطأ فمنى وكذبه فى روايته عن النبى عليه السلام أنه قال {السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى فى بطن أم} وكذبه ايضا فى روايته انشقاق القمر وفى رواية الجن ليلة الجن.

فهذا قوله فى اخيار الصحابة وفى اهل بيعة الرضوان الذين انزل الله تعالى فيهم {لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة}. ومن غضب على من رضى الله عنه فهو المغضوب عليه دونه.

ثم أنه قال فى كتابه ان الذين حكموا بالرأى من الصحابة اما ان يكونوا قد ظنوا أن ذلك جائر لهم وجهلوا تحريم الحكم بالرأى فى الفتيا عليهم وإما ارادوا أن يذكروا بالخلاف وأن يكونوا رؤساء فى المذاهب فاختاروا لذلك القول بالرأى فنسبهم الى إبثار الهوى على الدين وما للصحابة رضى الله عنهم عند هذا الملحد الفرى ذنب غير أنهم كانوا موحدين لا يقولون بكفر القدرية الذين ادعوا مع الله خالقين كثيرين.

وانما انكر على ابن مسعود روايته أن السعيد من سعد فى بطن أمه والشقى من شقى في بطن أمه لأن هذا اخلاف قول القدرية فى دعواها من السعادة والشقاوة ليستا من قضاء الله عز وجل وقدره.

واما إنكاره انشقاق القمر فإنما كره منه ثبوت معجزة لنبينا عليه عليه السلام كما انكر معجزته فى نظم القرآن فإن كان أحال انشقاق القمر مع ذكر الله عز وجل ذلك فى القرآن مع قوله من طريق العقل فقد زعم أن جامع اجزاء القمر لا يقدر على تفريقها وان اجاز انشقاق القمر فى القدرة والإمكان فما الذى اوجب كذب ابن مسعود فى روايته انشقاق القمر مع ذكر الله عز وجل ذلك فى القرآن مع قوله {اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر} فقول النظام بانشقاق القمر لم يكن اصلا شر من قول المشركين

الذين قالوا لما رأوا انشقاقه زعموا أن ذلك واقع بسحر ومنكر وجود المعجزة شر ممن تأولها على غير وجهها.

وأما انكاره رؤية الجن اصلا لزمه أن لا يرى بعض الجن بعضا وان اجاز رؤيتهم فما الذى أوجب تكذيب ابن مسعود فى دعواه رؤيتهم.

ثم ان النظام مع ما حكيناه من ضلالاته كان افسق خلق الله عز وجل وأجرأهم على الذنوب العظام وعلى إدمان شرب المسكر وقد ذكر عبد الله بن مسلم بن قتيبه رحمه الله فى كتاب مختلف الحديث أن النظام كان يغدو على مسكر ويروح على مسكر وانشد قوله فى الخمر :

ما زلت آخذ روح الزق فى لطف واستبيح دما من غير مذبوح

حتى انتشيت ولى روحان فى بدن والزق مطرح جسم بلا روح

ومثله فى طعنه على اخبار الصحابة مع بدعته مع بدعته فى أقواله وضلالته فى أفعاله كما قيل فى الامثال السائرة ان من كان فى دينه دميما وفى اصله لئيما لم يترك لنفسه عارا يهيما الا نحله كريما واستباح به حريما وهل يضر السحاب نباح الكلاب ؟ وكما لايضر السحاب نباح الكلاب كذلك لا يضر الأبرار ذم الأشرار، وما مثله في طعنه على أخيار الصحابة مع بدعته وضلالته إلا كما قال حسان بن ثابت:

ما أبالى أنبّ بالحزن تيسٌ >< أم لحاني بظهر غيب لئيم

وقال غيره:

ما ضرّ تغلب وائلٍ أهجوتها >< أم بلتَ حيث تناطح البحران

ذكر الأسوارية منهم:

وهم أتباع على الأسواري، وكان من أتباع أبي الهذيل، ثم انتقل إلى مذهب النظام، وزاد عليه في الضلالة، بأن قال: إن ما علم الله أن لايكون لم يكن مقدورا لله تعالى، وهذا القول

منه يوجب أن تكون قدرة الله متناهية، ومن كان قدرته متناهية كان ذاته متناهية، والقول به كفر من قائله.

ذكر المعمرية منهم:

وهم أتباع معمر بن عبّاد السلميّ، وكان رأسا للملحدة، وذنَبا للقدرية. وفضائحه على الأعداد كثيرة الأمداد.

منها أنه كان يقول: إن الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض، من لون أو طعم، أو رائحة، أوحياة، أوموت، أوسمع، أوبصر، وإنه لم يخلق شيئا من صفات الأجسام، وهذا خلاف قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}، وخلاف قوله تعالى في صفة نفسه: {لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

وكان يزعم أن الله إنما خلق الأجسام، ثم إن الأجسام أحدثت الأعراض باعتبار أن كل ما سبق من حياة وموت وسمع وبصر ولون وطعم ورائحة ماهو إلا عرض فى الجسم من فعل الجسم بطبعه والاصوات عنده فعل الاجسام المصوبة بطباعها وفناء الجسم عنده فعل الجسم بطبعه وصلاح الزروع وفسادها من فعل الزروع عنده وزعم ايضا ان فناء كل فان فعل له بطبعه وزعم ان ليس لله تعالى في الاعراض صنع ولا تقدير

وفى قوله ان الله تعالي لم يخلق حياة ولا موتا تكذيب منه لوصف الله سبحانه نفسه بأن يحيى ويميت وكيف يحيى ويميت من لا يخلق حياة ولا موتا.

الفضيحة الثانية من فضائحه انه لما زعم أن الله تعالى لم يخلق شيئا من الاعراض وانكر مع ذلك صفات لله تعالى الازلية كما أنكرها سائر المعتزلة لزمه على هذه البدعة أن لا يكون لله تعالي كلام اذ لم يمكنه أن يقول إن كلامه صفة له أزلية كما قال أهل السنة والجماعة لأنه لا يثبت لله تعالى صفة ازلية ولم يمكنه أن يقول إن كلامه فعله كما قاله سائر المعتزلة لأن الله سبحانه عنده لم يفعل شيئا من الاعراض والقرآن عنده فعل الجسم الذى حل الكلام فيه وليس هو فعلا لله تعالى ولا صفة

له فليس يصح على اصله أن يكون لـه كلام علـى معنـى الصـفة ولا على معنى الفعل واذا لم يكن له كلام لم يكن له امـر ونهـى وتكليف وهذا يؤدى الى رفع التكليف والى رفع احكام الشـريعة وما أراد غيره لأنه قال بما يؤدى اليه

الفضيحة الثالثة من فضائحه دعواه أن كل نوع من الأعراض الموجودة فى الاجسام لا نهايـة لعـدده وذلـك أنـه قـال اذا كـان المتحرك متحركا بحركة قامت به فتلك الحركة اختصـت بمحلـه لمعنى سواها وذلك المعنى ايضـا يختـص بمحلـه لمعنـى سـواه وكذلك القول فى اختصاص كـل معنـى بمحلـه لمعنـى سـواه لا الى نهاية وكذلك اللون والطعـم والرائحـة وكـل عـرض يختـص بمحله لمعنى سواه وذلـك المعنـى ايضـا يختـص بمحلـه لمعنـى سواه لا الى نهاية.

وحكى الكعبى عنه فى مقالاته أن الحركة عنده انما خالفت السكون لمعنى سواها وكذلك السـكون خـالف الحركـة لمعنـى سواه وان هـذين المعنييـن مختلفـان لمعنييـن غيرهمـا ثـم هـذا القياس معتبر عنده لا الى نهاية.

وفى هذا القول إلحاد من وجهين:

احدهما قوله بحوادث لا نهاية لها وهذا يوجب وجود حوادث لا يحصيها الله تعالى وذلك عناد لقـول اللـه تعـالى {وأحصـى كـل شىء عددا}.

والثانى إن قوله بحدوث أعراض لا نهاية لها يؤديه الى القول بأن الجسم أقدر من الله لأن الله عنده أنه ما خلق غير الاجسام وهى محصورة عندنا وعنده والجسم اذا فعل عرضـا فقـد فعـل عرضا فقد فعل معه مالا نهاية له من الاعراض ومن خلـق مـا لا نهاية له ينبغى أن يكون أقدر مما لا يخلق إلا متناهيا فى العدد.

وقد اعتذر الكعبى عنه فى مقالاته بأن قال إن معمرا كان يقول إن الانسان لا فعل له غير الإرادة وسائر الاعـراض أفعـال الاجسام بالطباع.

فان صحت هذه الرواية عنه لزمه ان يكـون الطبـع الـذى نسب اليه فعل الاعراض اقوى من الله عز وجل لأن افعال اللـه

الفرق بين الفِرق

اجسام محصورة وافعال الطباع أصناف من الاعراض كل صنف منها غير محصور العدد وعلى أن قول معمر بأعراض لا نهاية لها تطريق لاصحاب الظهور والكمون على المسلمين فى حدوث الأعراض وذلك أن المسلمين استدلوا على حدوث الاعراض فى الأجسام بتعاقب المتضادات منها على الاجسام وأنكر أصحاب الكمون والظهور حدوث الاعراض وزعموا أنها كلها موجودة فى الاجسام فاذا ظهر فى الجسم بعض الاعراض كمن فيه ضده واذا كمن فيه العرض ظهر ضده فقال لهم المقصدون لو كمن العرض تارة وظهر تارة لكان ظهوره بعد الكمون وكمونه بعد الظهور لمعنى سواه والا افتقر ذلك المعنى فى ظهوره وكمونه الى معنى سواه لا الى نهاية واذا بطل اجتماع ما لا نهاية له من الاعراض فى الجسم الواحد صح تعاقبها على الجسم من جهة حدوثها فيه لا من جهة الكمون والظهور واذا قال معمر يجوز اجتماع مالا نهاية له من الاعراض فى الجسم لم يصح له دفع اصحاب الكمون والظهور عن دعواهم وجود اعراض لا نهاية لها من اجناس الكمون والظهور فى محل واحد وسوق هذا الاصل يؤدى الى القول بقدم الاعراض وذلك كفر فما يؤدى اليه مثله.

الفضيحة الرابعة من فضائحه قوله فى الانسان إنه شىء غير هذا الجسد المحسوس وهو حى عالم قادر مختار وليس هو متحركا ولا ساكنا ولا متلونا ولا يرى ولا يلمس ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان دون مكان.

فاذا قيل له أتقول إن الانسان فى هذا الجسد أم فى السماء أم فى الارض أم فى الجنة أم فى النار؟.

قال لا اطلق شيئا من ذلك ولكنى أقول إنه فى الجسد مدبر وفى الجنة منعم او فى النار معذب وليس هو فى شيء من هذه الاشياء حالا ولا متمكنا لأنه ليس بطويل ولا عريض ولا عميق ولا ذي وزن فوصف الانسان بما يوصف به الاله سبحانه لأنه وصفه بأنه حى عالم قادر حكيم وهذه الاوصاف واجبة لله تعالى ثم نزه الانسان عن أن يكون متحركا او ساكنا او حارا او

باردا او رطبا او يابسا او ذا لون او وزن او طعم او رائحة والله سبحانه منزه عن هذه الاوصاف وكما زعم أن الانسان فى الجسد مدبر له لا على معنى الحلول والتمكن فيه كذلك الاله عنده فى كل مكان على معنى أن مدبر له عالم بما يجرى فيه لا على معنى الحلول والتمكن فيه فكأنه أراد أن يعبد الانسان لوصفه إياه بما يوصف الاله به فلم يحسن على اظهار القول بذلك فقال بما يؤدى اليه ثم إن هذا القول يوجب عليه أن لا يرى إنسان إنسانا ويوجب أن لا يكون الصحابة رأوا رسول الله وكفاه بذلك خزيا.

الفضيحة الخامسة من فضائحه قوله بأن الله لا يجوز أن يقول فيه انه قديم مع وصفه إياه بأنه موجود أزلي.

الفضيحة السادسة من فضائحه امتناعه عن القول بأن الله تعالى يعلم نفسه لا من شرط المعلوم عنده ان يكون غير العالم به وهذا يبطل عليه بذكر الذاكر نفسه لأنه اذا جاز ان يذكر الذاكر نفسه جاز ان يعلم العالم نفسه وقد افتخر الكعبى فى مقالاته بان معمرا من شيوخه فى الاعتزال ومن افتخر بمثله وهبناه منه وتمثلنا بقول الشاعر:

هل مشتر والسعيد بايعه هل بايع والسعيد من وهبا

ذكر البشرية منهم:

هؤلاء اتباع بشر بن المعتمر وقال اخوانه من القدرية بتكفيره فى امور هو فيها مصيب عند القدرية.

فما كفرته القدرية فيه قوله بان الله تعالى قادر على لطف لو فعله بالكافر لآمن طوعا.

وكفروه ايضا فى قوله بأن الله تعالى لو خلق العقلاء ابتداء فى الجنة وتفضل عليهم بذلك لكان ذلك أصلح لهم.

وكفروه ايضا بقوله ان الله لو علم من عبد انه لو أبقاه لآمن كان إبقاؤه اياه اصلح له من ان يميته كافرا.

وكفروه ايضا بقوله ان الله تعالى لم يزل مريدا.

الفرق بين الفِرق

وفى قوله ان الله تعالى اذا علم حدوث شىء من افعال العباد ولم يمنع منه فقد أراد حدوثه.

والحق فى هذه المسائل الخمس كفرت المعتزلة البصرية فيها بشرا مع بشر والمكفرون له فيها هم الكفرة ونحن نكفر بشرا فى أمور شعواها كذا كل واحد منها بدعة شنعاء.

أولها قول بشر بان الله تعالى ما والى مؤمنا فى حال إيمانه ولا عادى كافرا فى حال كفره.

ويجب تكفيره فى هذا على قول جميع الامة اما على قول أصحابنا فلأنا نقول إن الله تعالى لم يزل مواليا لمن علم أنه يكون وليا له اذا وجد ومعاديا لمن علم اذا وجد كفر ومات على كفره يكون معاديا له قبل كفره وفى حال كفره وبعد موته واما على اصول المعتزلة غير بشر فلأنهم قالوا ان الله لم يكن مواليا لاحد قبل وجود الطاعة منه فكان فى حال وجود طاعته مواليا له وكان معاديا للكافر فى حال وجود الكفر منه فإن ارتد المؤمن صار الله تعالى معاديا له بعد ان كان مواليا له عندهم.

وزعم بشر أن الله تعالى لا يكون مواليا للمطيع فى حال وجود طاعته ولا معاديا للكافر فى حال وجود كفره وانما يوالى المطيع فى الحالة الثانية من وجود طاعته ويعادى الكافر فى الحالة الثانية من وجود كفره واستدل على ذلك بأن قال لو جاز ان يوالى المطيع فى حال طاعته وجاز ان يعادى الكافر فى حال وجود كفره لجاز ان يثيب المطيع فى حال طاعته ويعاقب الكافر فى حال كفره فقال اصحابنا لو فعل ذلك لجاز فقال لو جاز ذلك لجاز ان يمسخ الكافر فى حال كفره فقلنا له لو فعل ذلك لجاز.

الفضيحة الثانية من فضائح بشر إفراطه بالقول فى التولد حتى زعم انه يصح من الانسان ان يفعل الالوان والطعوم والروائح والرؤية والسمع وسائر الادراكات على سبيل التولد اذا فعل اسبابها وكذلك قوله فى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.

وقد كفره اصحابنا وسائر المعتزلة فى دعواه ان الانسان قد يخترع الألوان والطعوم والروائح والادراكات.

الفضيحة الثالثة من فضائحه قوله بأن الله تعالى قد يغفر للانسان ذنوبه ثم يعود فيما غفر له فيعذبه عليه اذا عاد الى معصيته فسئل على هذا عن كافر تاب عن كفره ثم شرب الخمر بعد توبته عن كفره من غير استحلال منه للخمر وغامضه الموت قبل توبته عن شرب الخمر هل يعذبه الله تعالى في القيمة على الكفر الذى قد تاب منه فقال نعم فقيل له يجب على هذا أن يكون عذاب من هو على ملة الاسلام مثل عذاب الكافر فالتزم ذلك.

الفضيحة الرابعة من فضائحه قوله بأن الله تعالى يقدر على ان يعذب الطفل ظالما له فى تعذيبه اياه فانه لو فعل ذلك لكان الطفل بالغا عاقلا مستحقا للعذاب.

وهذا فى التقدير كأنه يقول ان الله تعالى قادر على ان يظلم ولو ظلم لكان بذلك الظلم عادلا واول هذا الكلام ينقض آخره.

وأصحابنا يقولون ان الله تعالى قادر على تعذيب الطفل ولو فعل ذلك كان عدلا منه فلا يناقض قولهم فى هذا الباب وقوله بشر فيه متناقض.

الفضيحة الخامسة من فضائحه قوله بان الحركة تحصل وليس بالجسم فى المكان الاول ولا فى المكان الثانى ولكن الجسم يتحرك به من الاول الى الثانى.

وهذا قول غير معقول فى نفسه واختلف المتكلمون قبله فى الحركة هل هو معنى أم لا فنفاها بقاة الاعراض واختلف الذين اثبتوا الاعراض فى وقت وجود الحركة فمنهم من زعم انها توجد فى الجسم وهو ف ى المكان الأولى فينتقل بها عن الاول الى الثاني وبه قال النظام وأبو شمر الممرجئ ومنهم من قال ان الحركة تحصل فى الجسم وهو في المكان الثانى لانها اول كون فى المكان الثانى وهذا قول ابى الهذيل والجبائي وابنه أبي هاشم وبه قال شيخنا ابو الحسن الاشعرى رحمه الله ومنهم من قال ان الحركة كونان فى مكانين احدهما يوجد فى

المتحرك وهو فى المكان الاول والثانى يوجد فيه وهو فى المكان الثانى وهذا قول الروندى وبه قال شيخنا ابو العباس القلانسى وقد خرج قول بشر بن المعتمر عن هذه الاقوال بدعواه ان الحركة تحصل وليس الجسم فى المكان الاول ولا فى الثانى مع علمنا بأنه لا واسطة بين حالى كونه فى المكان الاول وكونه فى المكان الثانى وقوله هذا غير معقول له فكيف يكون معقولا لغيره؟.

ذكر الهشامية منهم:

هؤلاء اتباع هشام بن عمرو القوطى وفضائحه بعد ضلالته بالقدر تترى.

منها أنه حرم على الناس أن يقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل من جهة تسميته بالوكيل وقد نطق القرآن بهذا الاسم لله تعالى وذكر ذلك فى السنة الواردة فى تسعة وتسعين اسما من الله تعالى فاذا لم يجز اطلاق هذا الاسم على الله تعالى مع نزول القرآن به ومع ورود السنة الصحيحة به فأى اسم بعده يطلق عليه.

وقد كان اصحابنا يتعجبون من المعتزلة البصرية فى اطلاقها على الله عز وجل من الاسماء مالم يذكر فى القرآن والسنة اذا دل عليه القياس وزاد هذا التعجب بمنع القوطى عن اطلاق الله تعالى بما قد نطق به القرآن والسنة.

واعتذر الخياط عن القوطى بأن قال ان هشاما كان يقول حسبنا الله ونعم المتوكل بدلا من الوكيل وزعم ان وكيلا يقتضى موكلا فوقه وهذا من علامات جهل هشام والمعتذر عنه بمعانى الاسماء فى اللغة وذلك ان الوكيل فى اللغة بمعنى الكافى لانه يكفى موكله أمر ما وكله فيه وهذا معنى قولهم حسبنا الله ونعم الوكيل ومعنى حسبنا كافينا وواجب ان يكون ما بعد نعم موافقا لما قبله كقول القائل الله رازقنا ونعم الرازق ولا يقال الله رازقنا ونعم الغافر ولأن الله تعالى قال {ومن يتوكل على الله فهو حسبه} أى كافيه وقد يكون الوكيل ايضا بمعنى

الحفيظ ومنه قوله تعالى {قل لست عليكم بوكيل} اى حفيظ ويقال فى نقيض الحفيظ رجل وكل ووكل اي بليد والوكال البلادة واذا كان الوكيل بمعنى الحفيظ وكان الله عز وجل كافيا وحفيظا لم يكن للمنع من إطلاق الوكيل فى اسمائه معنى.

والعجب من هشام فى انه أجاز ان يكتب لله عز وجل هذا الاسم وان يقرأ به القرآن ولم يجز أن يدعى به فى غير قراءة القرآن.

الفضيحة الثانية من فضائح القوطى امتناعه من اطلاق كثير مما نطق به القرآن فمنع الناس من ان يقولوا ان الله تعالى عز وجل الف بين قلوب المؤمنين وأضل الفاسقين وهذا عناد منه لقول الله عز وجل {وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم} ولقوله تعالى {ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء} وقوله {وما يضل به الا الفاسقين}. ومنع ان يقول فى القرآن انه عمى على الكافرين.

ووافقه صاحبه عباد بن سليمان العمرى فى هذه الضلالة فمنع الناس أن يقولوا ان الله تعالى خلق الكافر لأن الكافر اسم لشيئين إنسان وكفره وهو غير خالق لكفره عنده ويلزمه على هذا القياس ان لا يقول ان الله تعالى خلق المؤمن لان المؤمن اسم لشيئين انسان وايمان والله عنده غير خالق لإيمانه ويلزمه على قياس هذا الاصل ان لا يقول إن احدا قتل كافرا او ضربه لان الكافر اسم للانسان وكفره والكفر لا يكون مقتولا ولا مضروبا.

ومنع عباد من ان يقال ان الله تعالى ثالث كل اثنين ورابع كل ثلاثة وهذا عناد منه لقول الله عز وجل {ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيئ عليم}.

وكان يمنع ان يقال ان الله عز وجل أملى الكافرين وفى هذا عناد منه لقوله عز وجل {إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم

عذاب مهين}. فان كان عباد قد أخذ هـذه الضـلالة عـن اسـتاذه هشام فالعصا من العصية ولن تلد الحية الا الحية وان انفرد بهـا دونه فقد قاس التلميذ ما منع من اطلافه علـى مـا منـع اسـتاذه من اطلاق اسم الوكيل والكفيل على الله تعالى.

الفضيحة الثالثة من فضائح القوطى قوله بأن الأعراض لا يدل شىء منها على الله تعالى وكذلك قال صاحبه عبـاد وزعمـا ان فلق البحر وقلب العصا حية وانشقاق القمـر ونجـى السـحر والمشى على الماء لا يدل شىء من ذلك علـى صـدق الرسـول فى دعواه الرسالة.

وزعم القوطى ان الدليل على الله تعالى يجب ان يكـون محسوسا والاجسام محسوسة فهى الأدلة على الله تعالى وهى اعراض معلوم بدلائل نظرية فلو دلت علـى اللـه تعـالى لأحتـاج كل دليل منها الى دليل سواه لا الى نهاية.

فقيل له يلزمك على هذا الاستدلال أن تقول إن الاعراض لا تدل على شىء من الاشياء ولا على حكم مـن الاحكـام لانهـا لـو دلت على شىء او على حكم لاحتاجت فى دلالتها على مـدلولها الى دلالة على صحة دلالتها عليه واحتاج كـل دليـل الـى دليـل لا الى نهاية.

فان صار الى ان الاعراض لا تدل على شىء ولا على حكم ابطال دلالة كلام الله تعالى وكلام رسوله على الحلال والحـرام والوعد والوعيد.

على ان من الاعراض ما يعلم وجوده بالضرورة كـالالوان والطعوم والروائح والحركـة والسـكون فيلزمـه ان تكـون هـذه الاعـراض المعلومـة بالضـرورة دلالـة علـى اللـه سـبحانه لانهـا محسوسة كما دلت الاجسام عليه لانها محسوسة فـان قـال ان الاعراض غير محسوسة لان نفاة الاعـراض قـد انكـروا وجودهـا قيل فالنجارية والضرارية قد انكروا وجود جسم لا يكـون عرضـا لدعواهم ان الاجسام اعراض مجتمعة فيجب على قياس قولـك ان لا تكون الاجسام معلومة بالضرورة وان لا سبحانه.

الفرق بين الفِرق

الفضيحة الرابعة من فضائح القـوطى قـوله بـالمقطوع والموصول وذلك قوله لو أن رجلا أسبغ الوضوء وافتتـح الصـلاة متقربا بها الى الله سبحانه عازمـا علـى اتمامهـا ثـم قـرأ فركـع فسجد مخلصا لله تعالى فى ذلك كله غير انه قطعها فى آخرهـا ان اول صلاته وآخرها معصية قد نهاه الله تعـالى عنهـا وحرمهـا عليه وليس له سبيل قبل دخوله فيهـا الـى العلـم بانهـا معصـية فيجتنبها.

واجتمعت الامة قبله على أن ما مضى منها كانت طاعة لله تعالى وإن لم تكن صلاة كاملة كما لو مـات فيهـا كـان الماضـى منها طاعة وان لم تكن صلاة كاملة.

الفضيحة الخامسة من فضائحه إنكاره حصار عثمان وقتله بالغلبة والقهر وزعم أن شرذمة قليلة قتلوه غرة من غير حصـار مشهور.

ومنكر حصار عثمان مع تواتر الاخباربه كمنكر وقعتى بدر وأحد مع تـواتر الاخبـار بهمـا وكمنكـر المعجـزات الـتى تـواترت الاخبار بها.

الفضيحة السادسة من فضائحه قوله فى باب الامة ان الامة اذا اجتمعت كلمتها وتركت الظلم والفسـاد احتـاجت الـى إمـام بسوسها واذا عصت وفجـرت وقتلـت امامهـا لـم تعقـد الامامـة لاحد فى تلك الحال.

وانما أراد الطعن فى امامة على لانها عقدت له فى حال الفتنة وبعد قتل امام قبله.

وهذا قريب من قول الأصم منهم إن الامامـة لا تنعقـد الا بإجماع عليه وإنما قصد بهذا الطعن فى امامة علـى رضـى اللـه عنه لأن الامة لم تجتمع عليه لثبوت أهل الشام على خلافه الـى أن مات فـانكر امامـة علـى مـع قـوله باامامـة معاويـة لاجتمـاع الناس عليه بعد قتل على رضي الله عنه.

وقرت عيون الرافضة المائلين الى الاعتزال بطعن شيوخ المعتزلة فى امامة على وبعد شك زعيمهم واصـل فـى شـهادة على وأصحابه.

الفرق بين الفِرق

الفضيحة السابعة من فضائح القوطى قوله بتكفير من قال ان الجنـة والنـار مخلوقتـان وأخلافـه مـن المعتزلـة شـكوا فـى وجودها اليوم ولم يقولوا بتكفير من قال انهما مخلوقان.

والمثبتون لخلقهما يكفرون من أنكرهما ويقسمون بـالله تعالى ان من أنكرهما لا يدخل الجنة ولا ينجو من النار.

الفضيحة الثامنة من فضائحه انكاره افتضاض الابكار فى الجنة ومن انكر ذلك يحرم ذلك بل يحرم عليه دخول الجنة فضلا عن افتضاض الابكار فيها.

وكان الفوطى مع ضلالاته الـتي حكيناهـا عنـه يـرى قتـل مخالفيه فى السر غيلة وان كانوا من أهل ملة الاسلام.

فماذا على أهل السنة إذا قالوا فى هذا القوطى وأتباعه إن دماءهم وأموالهم حلال للمسـلمين وفيـه الخمـس وليـس علـى قاتل الواحد منهـم قـود ولا ديـة ولا كفـارة بـل لقـاتله عنـد اللـه تعالى القربة والزافى والحمد لله على ذلك.

ذكر المردادية منهم:

هؤلاء اتباع عيسى بن صبيح المعروف بابى موسى المردار وكان يقال له راهب المعتزلة وهذا اللقب لائق به ان كان المراد به مأخوذا من رهبانية النصارى ولقبه بالمردار لائق به ايضا وهو فى الجملة كما قيل:

وقل ما أبصرت عيناك من رجل الا ومعنـاه ان فكـرت فـى لقبه

وكان هذا المردار يزعم ان الناس قادرون علـى ان يـأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو افصح منه كما قاله النظام.

وفى هذا عناد منهما لقول الله عز وجل {قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثلـه ولـو كان بعضهم لبعض ظهيرا}.

وكان المردار مع ضلالته يقول بتكفير من لابس السلطان ويزعم انه لا يرث ولا يورث.

وكان اسلافه من المعتزلة يقولون فيمن لابس السلطان من موافقيهم فـى القـدر والاعـتزال انـه فاسـق لا مـؤمن ولا كـافر وافتى المردار بانه كافر.

والعجب من من سلطان زمانه كيف ترك قتله مع تكفيره إياه وتكفير من خالطه.

وكان يزعم ايضا ان الله قادر على ان يظلم ويكذب ولو فعل مقدوره من الظلم والكذب لكان الها ظالما كاذبا.

وحكى ابو زفر عن المردار انه أجاز وقوع فعل واحد مـن فاعلين مخلوقين على سبيل التولد مع انكاره على أهـل السـنة ما أجازوه مـن وقـوع فعـل مـن فـاعلين احـدهما خـالق والآخـر مكتسب.

وزعم المردار أيضا أن من أجاز رؤية الله تعالى بالابصار بلا كيف فهو كـافر والشـاك فـى كفـره كـافر وكـذلك الشـاك فـى الشاك لا الى نهاية والباقون من المعتزلة انما قالوا بتكفيـر مـن أجاز الرؤية على جهة المقابلة او على اتصال شعاع بصر الرائى بالمرئى.

والذين اثبتوا الرؤية مجمعون على تكفير المردار وتكفير الشـاك فـي كفـره وقـد حكـت المعـتزله عـن المـردار انـه لمـا حضرته الوفاة اوصى أن يتصدق بماله ولا يدفع شـىء منـه الـى ورثته.

وقد اعتذر أبو الحسين الخياط عن ذلك بأن قال كان فى ماله شبه وكان للمساكين فيه حق وقد وصفه فى هـذا الاعتـذار بانه كان غاصبا وخائنا للمساكين والغاصب عند المعتزلة فاسـق مخلد فى النار وقد اكفره سائر المعتزلة فـى قـوله بتولـد فعـل واحد من فاعلين.

وقد اكفر هو أبا الهذيل فى قوله بفناء مقدورات الله عـز وجل وصنف فيه كتابا واكفر استاذه بشر بن المعتمر فـى قـوله بتوليد الالوان والطعوم والروائح والادراكات واكفر النظـام فـى قوله بأن المتولدات من فعل اللـه وقـال يلزمـه ان يكـون قـول النصارى المسيح ابن الله من فعل الله فهذا راهب المعتزلة قـد

قال بتكفير شيوخه وقال شيوخه بتكفيـره وكلا الفريقيـن محـق فى تكفير صاحبه.

ذكر الجعفرية منهم:

هؤلاء اتباع جعفر ابن احدهما جعفر ابن حرب والآخر جعفر بن مبشر وكلاهما للضلالة رأس وللجهالة اساس.

اما جعفر بن مبشر فانه زعم ان فى فساق هذه الامة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة هذا مـع قـوله بأن الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر فجعـل الموحـد الـذى ليس بكافر شرا من الثنوى الكافر.

واقل ما نقابل به على هذا القول ان نقول له انك عندنا شر من كل كافر على جديد الارض.

وزعم ايضا ان اجماع الصحابة على ضرب شارب الخمـر الحد وقع خطأ لانهم أجمعوا عليه برأيهم فشـارك ببـدعته هطـه نجدات الخوارج فى انكارها حد الخمر.

وقد أجمع فقهاء الامة على تكفير من أنكر حد الخمر النىء وانما اختلفوا فى حد شـارب النبيـذ اذا لـم يسـكر منـه فأمـا اذا سكر منه فعليه الحد عند فريقى الرأى والحديث على رغم مــن انكر ذلك.

وزعم ابن مبشر ايضا ان من سرق حبة اومـا دونهـا فهـو فاسق مخلد فى النار وخالف بذلك اسلافه الذين قـالوا بغفـران الصغائر عند اجتناب الكبائر.

وزعم ايضا ان تأييد المذنبين فى النار من موجبات العقول وخالف بذلك اسلافه الذين قـالوا ان ذلـك معلـوم بالشـرع دون العقل.

وزعم ايضا ان رجلا لو بعث الى امرأة يخطبهـا ليتزوجهـا وجاءته المرأة فوثب عليها فوطئها من غير عقد انه لا حد عليهــا لأنها جاءته على سـبيل النكـاح واوجـب الحـد علـى الرجـل لانـه قصد الزنى ولم يعلم هذا الجاهل ان المطاوعة للزانى زانيـة اذا لم تكن مكرهة وانما اختلـف الفقهـاء فيمـن اكـره امـرأة علـى

الزنى فمنهم من أوجب للمرأة مهرا وأوجب على الرجل حدا وبه قال الشافعى وفقهاء الحجاز ومنهم من أسقط الحد على الرجل لأجل وجوب المهر عليه ولم يقل احد من سلف الامة بسقوط الحد عن المطاوعة للزانى كما قاله ابن مبشر وكفاه بخلاف الاجماع خزيا.

واما جعفر بن حرب فانه جرى على ضلالات استاذه المردار وزاد عليه قوله بان بعض الجملة غير الجملة وهذا يوجب عليه ان تكون الجملة غير نفسها اذ كان كل بعض منها غيرها.

وكان يزعم ان الممنوع من العقل قادر على العقل وليس يقدر على شىء وهكذا حكى عنه الشعبي فى مقالاته ويلزمه على هذا الاصل ان يجيز كون العالم بشيئ ليس غير عالم به.

قال عبد القاهر لابن حرب كتاب فى بيان ضلالاته وقد نقضنا عليه وسمينا نقضنا عليه بكتاب الحرب على ابن حرب وفيه نقض اصوله وفصوله بحمد الله ومنه.

ذكر الاسكافية منهم:

هؤلاء اتباع محمد بن عبد الله الاسكافى وكان قد أخذ ضلالته فى القدر عن جعفر بن حرب ثم خالفه فى بعض فروعه وزعم ان الله تعالى يوصف بالقدرة على ظلم الاطفال والمجانين ولا يوصف بالقدرة على ظلم العقلاء فخرج عن قول النظام بأنه لا يقدر على الظلم والكذب وخرج عن قول من قال من أسلافه انه يقدر على الظلم والكذب ولكنه لا يفعلهما لعلمه بقبحهما وغناه عنهما وجعل بين القولين منزلة فزعم انه انما يقدر على ظلم من لا عقل له ولا يقدر على ظلم العقلاء واكفره اسلافه فى ذلك واكفرهم هو فى خلافه.

ومن تدقيقه فى ضلالته قوله بانه يجوز ان يقال ان الله يكلم العباد ولا يجوز ان يقال انه يتكلم وسماه مكلما ولم يسمه متكلما وزعم ان متكلما يوهم ان الكلام قام به ومكلم لا يوهم ذلك كما ان متحركا يقتضى قيام الحركة به ومتكلما يقتضى قيام الكلام به فصحيح عندنا وكلام الله تعالى عندنا قائم به واما

أسلافه من القدرية فانهم يقولون له ان اعتلالك هذا يوجب عليك ان يكون المتكلم من بدن الانسان لسانه فحسب لان الكلام عندك يحل فيه بل يوجب عليك احالة اجراء اسم المتكلم على شىء لان الكلام عندك وعند سائر المعتزلة له حروف ولا يصح ان يكون حرف واحد كلاما ومحل كل حرف من حروف الكلام غير محل الحرف الآخر فيعنى على اعتلالك ان لا يكون الانسان متكلما ولا جزء منه على قود اعتلالك ان الله تعالى لم يكن متكلما لان الكلام لا يقوم به عندك.

وقد فخم بعض المعتزلة من الاسكافى بان زعم ان محمد بن الحسن رآه ماشيا فنزل عن فرسه وهذا كذب من قائله لان الاسكافى لم يكن فى زمان محمد بن الحسن ومات محمد بن الحسن بالرى فى خلافة هرون الرشيد ولم يدرك الاسكافى زمان الرشيد ولو أدرك زمان محمد لم يكن محمد ينزل لمثله عن فرسه مع تكفيره اياه وقد روى هشام بن عبيد الله الرازى عن محمد بن الحسن ان من صلى خلف المعتزلى يعيد صلاته وروى هشام ايضا عن يحيى ابن اكثم عن أبى يوسف انه سئل عن المعتزلة فقال هم الزنادقة وقد اشار الشافعى فى كتاب القياس الى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وأهل الاهواء وبه قال مالك وفقهاء المدينة فكيف يصح من ائمة الاسلام اكرام القدرية بالنزول لهم مع قولهم بتكفيرهم ؟

ذكر الثمامية منهم:

هؤلاء اتباع ثمامة بن اشرس النميرى من مواليهم وكان زعيم القدرية فى زمان المأمون والمعتصم والواثق وقيل انه هو الذى اغوى المأمون بان دعاه الى الاعتزال.

وانفرد عن سائر اسلاف المعتزلة ببدعتين اكفرته الامة كلها فيها:

احداهما انه لما شاركه اصحاب المعارف فى دعواهم ان المعارف ضرورية زعم ان من لم يضطره الله تعالى الى معرفته لم يكن مأمورا بالمعرفة ولا منهيا عن الكفر وكان

مخلوقا للسحرة والاعتبارية فحسب كسائر الحيوانات التى ليست بمكلفة.

وزعم لاجل ذلك ان عوام الدهرية والنصارى والزنادقة يصيرون فى الآخرة ترابا.

وزعم ان الآخرة انما هى دار ثواب او عقاب وليس فيها لمن مات طفلا ولا لمن يعرف الله تعالى بالضرورة طاعة يستحقون بها ثوابا ولا معصية يستحقون عليها عقابا فيصيرون حينئذ ترابا اذ لم يكن لهم حظ فى ثواب ولا عقاب.

والبدعة الثانية من بدع ثمامة قوله بان الافعال المتولدة افعال لا فاعل لها.

وهذه الضلالة تجر الى انكار صانع العالم لانه لو صح وجود فعل بلا فاعل لصح وجود كل فعل بلا فاعل ولم يكن حينئذ من الافعال دلالة على فاعلها ولا كان فى حدوث العالم دلالة على صانعة كما لو أجاز انسان وجود كتابة لا من كاتب ووجود منسوخ ومبنى لا من بان أوناسخ.

ويقال له اذا كان كلام الانسان عندك متولدا ولا فاعل له عندك فلم تلوم الانسان على كذبه وعلى كلمة الكفر وهو عندك غير فاعل للكذب ولا لكلمة الكفر ؟.

ومن فضائح ثمامة ايضا انه كان يقول فى دار الاسلام انها دار شرك وكان يحرم السبى لان المسبى عنده ما عصى ربه اذا لم يعرفه وانما العاصى عنده من عرف ربه بالضرورة ثم جحده او عصاه.

وفى هذا اقرار منه على نفسه بانه ولد زنى لانه كان من الموالى وكانت امه مسبية ووطء من لا يجوز سبيها على حكم السبى الحرام زنى والمولود منه ولد زنى فبدعة ثمامة على هذا التقدير لائق بنسبه.

وقد حكى أصحاب التواريخ عن سخافة ثمامة ومجونة أمورا عجيبة:

منها ما ذكره عبد الله بن مسلم عن قتيبة فى كتاب مختلف الحديث ذكر فيه ان ثمامة بن اشرس رأى الناس يوم جمعة

يتعادون الى المسجد الجامع لخوفهم فوت الصلاة فقال لرفيق له انظر الى هؤلاء الحمير والبقر ثم قال ماذا صنع ذاك العربى بالناس يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحكى الجاحظ فى كتاب المضاحك ان المأمون ركب يوما فرأى ثمامة سكران قد وقع فى الطين فقال له ثمامة قال أى والله قال ألا تستحى قال لا والله قال عليك لعنة الله قال تترى ثم تترى.

وذكر الجاحظ ايضا ان غلام ثمامة قال يوما لثمامة قم صل فتغافل فقال له قد ضاق الوقت فقم وصل واسترح فقال انا مستريح إن تركتنى.

وذكر صاحب تاريخ المراوزة ان ثمامة بن أشرس سعى الى الواثق باحمد بن نصر المروزى وذكر له ان يكفر من ينكر رؤية الله تعالى ومن يقول يخلق القرآن فاعتصم من بدعة القدرية فقتله ثم ندم على قتله وعاتب ثمامة وابن داوود وابن الزيات فى ذلك وكانوا قد أشاروا عليه بقتله فقال له ابن الزيات وان لم يكن قتله صوابا فقتلنى الله تعالى بين الماء والنار وقال ابن أبى داود حبسنى الله تعالى في جلدى ان لم يكن قتله صوابا وقال ثمامة سلط الله تعالى على السيوف ان لم تكن أنت مصيبا فى قتله فاستجاب الله تعالى دعاء كل واحد منهم فى نفسه أما ابن الزيات فانه قتل فى الحمام وسقط فى اثوابه فمات بين لماء والنار وأما ابن أبى داود فان المتوكل رحمة الله حبسه فاصابه فى حبسه الفالج فبقى فى جلده محبوسا بالفالج الى ان مات وأما ثمامة فانه خرج الى مكة فرآه الخزاعيون بين الصفا والمروه فنادى رجل منهم فقال يا آل خزاعة هذا الذى سعى بصاحبكم احمد بن فهر وسعى فى دمه فاجتمع عليه بنو خزاعة بسيوفهم حتى قتلوه ثم اخرجوا جيفتة من الحرم فاكلته السباع خارجا من الحرم فكان كما قال الله تعالى {فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا}.

ذكر الجاحظية منهم:

الفرق بين الفِرق

هؤلاء اتباع عمرو بن يحيى الجاحظ وهم الذين اغتروا بحسن بذله هكذا الجاحظ فى كتبه التى لها ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول ولو عرفوا جهالاته فى ضلالاته لاستغفروا لله تعالى من تسميتهم اياه انسانا فضلا عن ان ينسبوا اليه احسانا.

فمن ضلالاته المنسوبة اليه ما حكاه الكعبى عنه فى مقالاته مع افتخاره به من قوله ان المعارف كلها طباع وهى مع ذلك فعل للعباد وليست باختيار لهم.

قالوا ووافق ثمامة فى ان لا فعل للعباد الا الارادة وان سائر الافعال تنسب الى العباد على معنى انها وقعت منهم طباعا وانها وجبت بارادتهم.

قال وزعم ايضا انه لا يجوز ان يبلغ احد فلا يعرف الله تعالى والكفار عنده من معاند ومن عارف قد استغرقه حبه لمذهبه فهو لا يشكر بما عنده من المعرفة بخالقه وبصدق رسله.

فان صدق الكعبى على الجاحظ فى أن لا فعل للانسان الا الارادة لزمه ان لا يكون الانسان مصليا ولا صائما ولا حاجا ولا زانيا ولا سارقا ولا قاذفا ولا قاتلا لانه لم يفعل عنده صلاة ولا صوما ولا حجا ولا زنى ولا سرقة ولا قتلا ولا قذفا لان هذه الافعال عنده غير الارادة.

واذا كانت هذه الافعال التى ذكرناها عنده طباعا لا كسبا لزمه ان لا يكون للانسان عليها ثواب ولا عقاب لان الانسان لا يثاب ولا يعاقب على ما لا يكون كسبا له كما لا يثاب ولا يعاقب على لونه وتركيب بدنه اذا لم يكن ذلك من كسبه.

ومن فضائح الجاحظ ايضا قوله باستحالة عدم الاجسام بعد حدوثها وهذا يوجب القول بان الله سبحانه وتعالى يقدر على خلق شىء ولا يقدر على افنائه وانه لا يصح بقاؤه بعد ان خلق الخلق منفردا كما كان منفردا قبل ان خلق الخلق.

ونحن وان قلنا ان الله لا يفنى الجنة ونعيمها والنار وعذابها ولسنا نجعل ذلك بان الله عز وجل قادر على افناء ذلك كله وانما نقول بدوام الجنة والنار بطريق الخبر.

الفرق بين الفِرق

ومن فضائح الجاحظ ايضا قوله بان الله لا يدخل النار احدا وانما النار تجـذب اهلهـا الـى نفسـها بطبعهـا ثـم تمسـكهم فـى نفسها على الخلود.

ويلزمه على هذا القول ان يقول فى الجنة انها تجذب اهلها الى نفسها بطبعها وان الله لا يدخل احدا الجنة فـان قـال بـذلك قطع الرغبة الى الله فى الثواب وابطل فائـدة الـدعاء وان قـال {ان الله تعالى هو يدخل اهل الجنـة الجنـة} لزمـه القـول بـان يدخل النار اهلها.

وقد افتخر الكعبى بالجاحظ وزعم انه من شيوخ المعتزلة وافتخر بتصانيفه الكـثيرة وزعـم انـه كنـانى مـن بنـى كنانـة بـن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر.

فيقال له ان كان كنانيا كما زعمت فلم صنفت كتاب مفاخر القحطانية على الكنانيـة وسـائر العدنانيـة وان كـان عربيـا فلـم صنف كتاب فضـل المـوالى علـى العـرب وقـد ذكـر فـى كتـابه المسى بمفاخر قحطان علـى عـدنان اشـعارا كـثيرة مـن هجـاء القحطانية للعدنانية ومن رضى بهجو آبـائه كمـن هجـا أبـاه وقـد أحسن جحظة في هجاء ابن بسام الذى هجا اباه فقال من كــان يهجو أباه فهجوه قد كفاه لو انه من أبيه ما كان يهجو اباه.

واما كتبه المزخرفة فاصناف منها كتابة فى حيل اللصوص وقد علـم بهـا الفسـقة وجـوه السـرقة ومنهـا كتـابه فـى عشـر الصناعات وقد افسد به علـى التجـار سـلعهم ومنهـا كتـابه فـى النـواميس وهـو ذريعـة للمحتـالين يجتلبـون بهـا ودائـع النـاس واموالهم ومنها كتابه فـى الفتيـا وهـو مشـحون بطعـن اسـتاذه النظام علـى اعلام الصـحابة ومنهـا كتبـه فـى القحـاب والكلاب واللاطة وفى حيل المكدين ومعانى هذه الكتب لائقة به وبصفته واسرته ومنها كتاب طبائع الحيوان وقد سلخ فيـه معـانى كتـاب الحيوان لارسطاطاليس وضم اليه ما ذكره المـدائنى مـن حكـم العـرب وأشـعارها فـى منـافع الحيـوان ثـم انـه شـحن الكتـاب بمناظرة بين الكلـب والـديك والاشـتغال بمثـل هـذه المنـاظرة يضيع الوقت بالغث ومن افتخر بالجاحظ سلمناه اليه.

وقول اهل السنة فى الجاحظ كقول الشاعر فيه:

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان الا دون قبح الجاحظ

رجل يتوب عن الجحيم بنفسه وهو القذى فـى كـل طـرف لاحظ

ذكر الشحامية منهم:

هؤلاء اتباع أبى يعقوب الشحام وكان استاذ الجبائى وضلالاته كضلالات الجبائى غير انه أجاز كون مقدور واحد لقادرين وامتنع الجبائى وابنه من ذلك وقد ظن بعض أن الاغبيـاء قـول الشـحام كقول الصفاتية فى مقدور لقادرين وبيـن القـولين فـرق واضـح وذلك ان الشحام اجاز كون مقدور واحد لقادرين يصح ان يحدثه كل واحد منهما على البدل وكذلك حكاه الكعبى فى كتاب عيون المسائل على أبـى الهـذيل والصـفاتية لا يثبتـون خـالقين وانمـا يجيـزون كـون مقـدور واحـد لقـادرين أحـدهما خـالقه والآخـر مكتسب له وليس الخالق مكتسبا ولا المكتسب خالقا وفى هـذا بيان الفرق بين الفرقين على اختلاف الطريقين.

ذكر الخياطية منهم:

هؤلاء اتباع ابى الحسين الخياط الذى كان استاذ الكعبى في ضلالته وشارك الخياط سائر القدرية فى اكـثر ضـلالاتها وانفـرد عنهم بقول من لم يسبق اليه فـى المعـدوم وذلـك ان المعتزلـة اختلفوا فى تسمية المعدوم شيئا منهم من قال لا يصح ان يكون المعدوم معلوما ومذكورا ولا يصح كونه شيئا ولا ذاتـا ولا جـوهرا ولا عرضا وهذا اختيار الصالحى منهم وهـو موافـق لاهـل السـنة فى المنع فى تسمية المعدوم شيئا وزعم آخرون مـن المعتزلـة ان المعدوم شـىء ومعلـوم ومـذكور وليـس بجـوهر ولا عـرض وهذا اختيار الكعبى منهم وزعم الجبائى ابنـه ابـو هاشـم ان كـل وصف يستحقه الحادث لنفسه او لجنسه فان الوصـف ثـابت لـه فى حال عدمه وزعم ان الجـوهر كـان فـى حـال عـدمه جـوهرا وكـان العـرض فـى حـال عـدمه عرضـا وكـان السـواد سـوادا

والبياض بياضا فى حال عدمهما وامتنع هؤلاء كلهم عن تسمية المعدوم جسما من قبل ان الجسم عندهم مركب وفيه تأليف وطول وعرض وعمق ولا يجوز وصف معدوم بما يوجب قيام معنى به.

وفارق الخياط فى هذا الباب جميع المعتزلة وسائر فرق الامة فزعم ان الجسم فى حال عدمه يكون جسما لانه يجوز ان يكون فى حال حدوثه جسما ولم يجز ان يكون المعدوم متحركا لان الجسم فى حال حدوثه لا يصح ان يكون متحركا عنده فقال كل وصف يجوز ثبوته فى حال الحدوث فهو ثابت له فى حال عدمه.

ويلزمه على هذا الاعتلال ان يكون الانسان قبل حدوثه انسانا لان الله تعالى لو احدثه على صورة الانسان بكمالها من غير نقل له فى الاصلاب والارحام ومن غير تغيير له من صورة الى صورة اخرى يصح ذلك

وكان هؤلاء الخياطية يقال لهم لمعدومية لافراطهم بوصفهم المعدوم باكثر اوصاف الموجودات وهذا اللقب لائق بهم.

وقد نقض الجبائى على الخياط قوله بان الجسم جسم قبل حدوثه فى كتاب مفرد وذكر ان قوله بذلك يؤديه الى القول بقدم الاجسام.

وهذا الالزام متوجه على الخياط ويتوجه مثله على الجبائى وابنه فى قولهما بان الجواهر والاعراض كانت فى حال العدم اعراضا وجواهر فاذا قالوا لم تزل اعيانا وجواهر واعراضا ولم يكن حدوثها لمعنى سوى اعيانها فقد لزمهم القول بوجودها فى الازل وصاروا فى تحقيق معنى قول الذين قالوا بقدم الجواهر والاعراض.

وكان الخياطي مع ضلالته فى القدر وفى المعدومات منكر الحجة فى اخبار الآحاد وم ا اراد بانكاره الا انكار اكثر احكام الشريعة فان اكثر فروض الفقه مبنية على اخبار من اخبار الآحاد.

الفرق بين الفِرق

وللكعبى عليه كتاب فى حجة اخبار الاحاد وقد ضلل فيه من انكر الحجة فيها وقلنا للكعبى يكفيك من الخزى والعار انتسابك الى استاذ تقر بضلالته

ذكر الكعبية منهم:

هؤلاء اتباع ابى القاسم عبد الله بن احمد ابن محمود البنحى المعروف بالكعبى وكان حاطب قبل يدعى فى انواع العلوم على الخصوص والعموم ولم يحظ فى شىء منها باسراره ولم يحط بظاهره فضلا عن باطنه وخالف البصريين من المعتزلة فى احوال كثيرة منها ان البصريين منهم اقروا بان الله تعالى يرى خلقه من الاجسام والالوان وانكروا ان يرى نفسه كما انكروا ان يراه غيره وزعم الكعبى ان الله تعالى لا يرى نفسه ولا غيره الا على معنى علمه بنفسه وبغيره وتبع النظام فى قوله ان الله تعالى لا يرى شيئا فى الحقيقة.

ومنها ان البصريين منهم مع اصحابنا فى ان الله عز وجل سامع للكلام والاصوات على الحقيقة لا على معنى انه عالم بهما وزعم الكعبى والبغداديون من المعتزلة ان الله تعالى لا يسمع شيئا على معنى الادراك المسمى بالسمع وتأولوا وصفه بالسميع البصير على معنى انه عليم بالمسموعات التى يسمعها غيره والمرئيات التي يراها غيره.

ومنها ان البصريين منهم مع اصحابنا فى ان الله عز وجل مريد على الحقيقة غير ان اصحابنا قالوا انه لم يزل مريدا بارادة ازلية وزعم البصريون من المعتزلة انه يريد بارادة حادثة لا فى محل وخرج الكعبى والنظام واتباعهما عن هذين القولين وزعموا انه ليست لله تعالى ارادة على الحقيقة وزعموا انه اذا قيل ان الله عز وجل اراد شيئا من فعله فمعناه انه فعله واذا قيل انه اراد من عنده فعلا فمعناه انه امره به وقالوا ان وصفه بالارادة فى الوجهين جميعا مجاز كما ان وصف الجدار بالارادة في قول الله تعالى {جدارا يريد ان ينقض فأقامه قال لو شئت

لاتخذت عليه أجرا} مجاز وقد اكفرهم البصريون مع اصحابنا فى نفيهم ارادة الله عز وجل.

ومنها ان الكعبى زعم ان المقتول ليس بميت وعاند قول الله تعالى {كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} وسائر الامة مجمعون على ان كل مقتول ميت وان صح ميت غير مقتول.

ومنها ان الكعبى على قول من اوجب على الله تعالى فعل الاصلح فى باب التكليف.

ومنها ان البصريين مع اصحابنا فى ان الاستطاعة معنى غير صحة البدن والسلامة من الافات وزعم الكعبى انها ليست غير الصحة والسلامة.

والبصريون من المعتزلة يكفرون البغداديين منهم والبغداديون يكفرون البصريين وكلا الفريقين صادق فى تكفير الفريق الاخر كما بيناه فى كتاب فضائح القدرية.

ذكر الجبائية منهم:

هؤلاء أتباع أبى على الجبائى الذى أهوى اهل خوزستان وكانت المعتزلة البصرية فى زمانه على مذهبه ثم انتقلوا بعده ألى مذهب ابنه أبى هاشم.

فمن ضلالات الجبائى انه سمى الله عز وجل مطيعا لعبده اذا فعل مرادا لعبد وكان سبب ذلك انه قال يوما لشيخنا أبى الحسن الاشعرى رحمه الله ما معنى الطاعة عندك فقال موافقة الامر وسأله عن قوله فيها فقال الجبائى حقيقة الطاعة عندى موافقة الارادة وكل من فعل مراد غيره فقد اطاعه فقال شيخنا ابو الحسن رحمه الله يلزمك على هذا الأصل ان يكون الله تعالى مطيعا لعبده اذا فعل مراده فالزم ذلك فقال له شيخنا رحمه الله خالفت إجماع المسلمين وكفرت برب العالمين ولو جاز ان يكون الله تعالى مطيعا لعبده لجاز ان يكون خاضعا له تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ثم ان الجبائى زعم ان اسماء الله تعالى جارية على القياس وأجاز إشتقاق اسم له من كل فعل فعله والزمه شيخنا ابو الحسن رحمه الله ان يسميه بمحبل النساء لانه خالق الحبل فيهن فالتزم ذلك فقال له بدعتك هذه أشنع من ضلالة النصارى فى تسمية الله أبا لعيسى مع امتناعهم من القول بأنه محبل مريم.

ومن ضلالات الجبائى ايضا انه أجاز وجود عرض واحد فى امكنة كثيرة وفى اكثر من الف ألف مكان وذلك انه أجاز وجود كلام واحد فى الف ألف محل.

وزعم ان الكلام المكتوب فى محل اذا كتب لي غيره كان موجودا فى المحلين من غير انتقال منه غير المكان الأول الى الثانى ومن غير حدوث في الثاني وكذلك ان كتبت فى ألف مكان او الف ألف وزعم هو وابنه أبو هاشم أن الله تعالى اذا أراد أن يفنى العالم خلق عرضا لا فى محل أفنى به جميع الاجسام والجواهر ولا يصح فى قدرة الله تعالى ان يفنى بعض الجواهر مع بقاء بعضها وقد خلقها تفاريق ولا يقدر على إفنائها تفاريق.

وقد حكى ان شيخنا أبا الحسن رحمه الله قال للجبائى اذا زعمت ان الله تعالى قد شاكل ما أمر به فما تقول فى رجل له على غيره حق يماطله فيه فقال له والله لاعطينك حقك غدا إن شاء الله ثم لم يعطه حقه فى غده فقال يحنث فى يمينه لان الله تعالى قد شاء ان يعطيه حقه فيه فقال له خالفت إجماع المسلمين قبلك لانهم اتفقوا قبلك على ان من قرن يمينه بمشيئة الله عز وجل لم يحنث اذا لم يقر به.

ذكر البهشمية:

هؤلاء اتباع أبى هاشم والجبائى واكثر معتزلة عصرنا على مذهبه لدعوة ابن عباد وزير آل بويه اليه ويقال لهم الدمية لقولهم باستحقاق الدم واالعقاب لا على فعل وقد شاركوا

المعتزلة فى اكثر ضلالاتها وانفـردوا عنهـم بفضـائح لـم يسـبقوا اليها.

منها قولهم باستحقاق الدم والعقاب لا على فعل وذلك انهم زعموا ان القادر منها يجـوز اان يخلـو مـن الفعـل والشـرك مـع ارتفاع الموانع من الفعل والـذى الجـأهم الـى ذلـك أن اصـحابنا قالوا للمعتزلة اذا اجزتم تقدم الاستطاعة علـى الفعـل لزمتكـم التسوية بين الوقتين والاوقات الكثيرة فى تقـدمها عليـه فكـانوا يختلفون في الجواب عن هـذا الالـزام فمنهـم مـن كـان يـوجب وقوع الفعل او ضـده بالاسـتطاعة فـي الحـال الثانيـة مـن حـال حدوث الاستطاعة الى وقت حدوث الفعل ويوجب وقوع الفعـل او ضده عند عدم الموانـع ويزعـم مـع ذلـك ان القـدرة لا تكـون قدرته عليه فى حال حدوثه ومنهم من اجـاز عـدم القـدرة مثـل حدوث الفعل ومع حدوث العجز الذى هو ضـد القـدرة الـتي قـد عدمت بعد وجودهـا ورأى أبـو هاشـم بـن الجبـائى تـوجه الـزام أصحابنا عليهم في التسوية بين الوقتين والاوقـات الكـثيرة فـى جواز تقدم الاستطاعة على الفعل ان جاز تقدمها عليه ولم يجـد للمعتزلـة عنـه انفصـالا صـحيحا فـالتزم التسـوية وأجـاز بقـاء المستطيع ابدا مع بقاء قدرته وتوفر الآية وارتفـاع الموانـع عنـه عاليها من الفعل والترك فقيل له على هذا الاصل أرأيت لو كـان هذا القادر مكلفا ومات قبل ان يفعل بقدرته طاعـة لـه معصـية ماذا يكون حاله فقال يستحق الذم والعقاب الدائم لا على فعـل ولكن من أجل أنه لم يفعل ما أمر به مع قدرته عليه وتوفر الآية فيه وارتفاع الموانع منه فقيل له كيف استحق العقـاب بـأن لـم يفعل مـا أمـر بـه وان لـم يفعـل مـا نهـى عنـه دون ان يسـتحق الثواب بأن لم يفعل ما نهى عنه وان لم يفعل ما أمر به.

وكان اسلافه من المعتزلة يكفرون من يقول إن الله تعالى يعذب العاصى على اكتساب معصية لم يخترعها العاصى وقالوا الآن إن تكفير أبى هاشم في قوله بعقاب من ليس فيـه معصـية لا من فعله ولا من فعل غيره اولى.

والثانى انه سمى من لم يفعل ما أمر به عاصيا وان لم يفعل معصية ولم يوقع اسم المطيع الا على من فعل طاعة ولـو صـح عارض بلا معصية لصح مطيع بلا طاعة او لصح كافر بلا كفر.

ثم إنه مع هذه البدع الشنعاء زعم ان هذا المكلف لو تغير تغيرا قبيحا لا يستحق بذلك قسطين من العذاب أحدهما للقبيـح الذى فعله والثانى لأنه لم يفعل الحسن الذى أمـر بـه ولـو تغيـر تغيرا حسنا وفعل مثل أفعال الانبياء وكان الله تعـالى قـد أمـره بشىء فلم يفعل ولا فعل ضده لصار مخلدا.

وسائر المعتزلة يكفرونه في هذه المواضيع الثلاثة:

أحدها استحقاق العقاب لا على فعل.

والثانى استحقاق قسطين من العذاب اذا تغير تغيرا قبيحا.

والثالث في قوله انه لو تغير تغيرا حسنا وأطاع بمثل طاعة الانبياء عليهم السلام ولم يفعل شيئا واحدا مما أمره الله تعـالى به ولا ضده لا يستحق الخلود في النار.

وألزمه اصحابنا في الحدود مثل قوله في القسطين حتى يكون عليه حدان حد الزنى الذى قد فعله والثانى لأنه لـم يفعـل ما وجب عليه من ترك الزنى وكذلك القـول فـى حـدود القـذف والقصاص وشرب الخمر وألزموه إيجاب كفارتين على المفطـر في شهر رمضان إحداهما لفطرة الموجب للكفارة والثانية بـأن لم يفعل ما وجب عليه من الصوم والكف عن الفطر.

فلما رأى ابن الجبائى توجه هذا الالزام عليه في بدعته هذه ارتكب ما هو أشنع منها فرارا من ايجـاب حـدين وكفـارتين فـي فعل واحد فقال إنما نهى عن الزنى والشرب والقذف فأما ترك هذه الافعال فغير واجب عليه.

وألزموه ايضا القول بثلاثه أقساط واكثر لا الى نهاية لانـه اثبت قسطين فيما هو متولد عنده قسطا لانه لم يفعله وقسـطا لانه لم يفعل سببه وقد وجدنا من المسببات ما يتولد عنـده مـن اسباب كثيرة يتقدمه كاصابة الهدف بالسـهم فانهـا يتولـد عنـده من حركات كثيرة يفعلها الرمـى فـي السـهم وكـل حركـة منهـا سبب لما يليها الى الاصابة ولو كانت مائـة حركـة فالمائـة منهـا

الفرق بين الفِرق

سبب الاصابة فيبقى على أصله اذا أمره الله تعالى بالاصابة فلم يفعلها ان يستحق مائة قسط وقسطا آخر الواحد منها ان لم يفعل الاصابة والمائة لانه لم يفعل تلك الحركات.

ومن اصله ايضا انه اذا كان مأمورا بالكلام فلم يفعله استحق عليه قسطين قسطا لانه لم يفعل الكلام وقسطا لانه لم يفعل سببه ولو انه فعل ضد سبب الكلام لا يستحق قسطين وقام هذا عنده مقام السبب الذي لم يفعله فقلنا له هل استحق ثلاثة اقساط قسطا لانه لم يفعل الكلام وقسطا لانه لم يفعل سببه وقسطا لانه ضد سبب الكلام.

وقد حكى بعض أصحابنا عنه انه لم يكن يثبت القسطين إلا في ترك سبب الكلام وحده وقد نص في كتاب استحقاق الذمة على خلافه وقال فيه كل ماله ترك مخصوص فحكمه حكم سبب الكلام وما ليس له ترك مخصوص فحكمه حكم ترك العطية الواجبة كالزكاة والكفارة وقضاء الدين ورد المظالم واراد بهذا ان الزكاة والكفارة وما اشبههما لا تقع بجارحة مخصوصة ولا له ترك واحد مخصوص بل لو صلى او حج أو فعل غير ذلك كان جميعه تركا للزكاة والكلام سبب تركه مخصوص فكان تركه قبيحا فاذا ترك سبب الكلام استحق لاجله قسطا وليس للعطية ترك قبيح فلم يستحق عليه قسطا آخر اكثر من ان يستحق الذم لانه لم يود.

فيقال له ان لم يكن ترك الصلاة والزكاة قبيحا وجب ان يكون حسنا وهذا خروج عن الدين فما يؤدي اليه مثله.

ومن مناقضاته في هذا الباب انه سمى من لم يفعل ما وجب عليه ظالما وان لم يوجد منه ظلم وكذلك سماه كافرا وفاسقا وتوقف في تسميته إياه عاصيا فأجاز أن يخلد الله في النار عبدا لم يستحق اسم عاص وتسميته اياه فاسقا وكافرا يوجب عليه تسميته بالعاصى وامتناعه من هذه التسمية يمنعه من تسميته فاسقا وكافرا.

ومن مناقضاته فيه ايضا ما خالف فيه الاجماع بفرقة بين الجزاء والثواب حتى انه قال يجوز ان يكون في الجنة ثواب

كثير لا يكون جزاء ويكون في النـار عقـاب كـثير لا يكـون جـزاء وانما امتنع من تسميته جزاء لان الجـزاء لا يكـون الا علـى فعـل وعنده انه قد يكون عقاب لا على فعل وقيل له اذا لم يكن جزاء الا على فعل ما تنكر انه لا ثواب ولا عقاب إلا على فعل.

والفضيحة الثانية من فضائح أبى هاشم قوله باستحقاق الذم والشكر على فعل الغير فزعم ان زيدا لو أمر عمرا بـأن يعطـى غيره فأعطاه استحق الشكر على فعل الغير من قابض العطيـة على العطية التى هى فعل غيره وكذلك لو أمره بمعصية ففعلها لا يستحق الذم على نفس المعصية التى هي فعل غيـره وليـس قوله في هذه كقول سائر فرق الامة انه يستحق الشكر او الذم على امره إياه به لا على الفعل المأمور به الذى هو فعـل غيـره وهذا المبتدع يوجب له شكرين أو ذمين أحدهما على الامر الذى هو فعله والآخر على المأمور به الذى هو فعل غيره وكيف يصـح هذا القول على مذهبه مع انكاره على اصـحاب الكسـب قـولهم بأن الله تعالى يخلق اكساب عباده ثم يـثيبهم او يعـاقبهم عليهـا ويقال له ما أنكرت على هذا الاصل الذى هو فعل غيره انفـردت به من قول الازارقة ان الله تعالى يعذب طفـل المشـرك علـى فعل أبيه وقيل اذا أجزت ذلـك فـأجز أن يسـتحق العبـد الشـكر والثواب على فعـل فعلـه اللـه تعـالى عنـد فعـل العبـد مثـل ان يسـقى او يطعـم مـن قـد اشـرف علـى الهلاك فيعيـش ويحيـى فيستحق الشكر والثواب على نفس الحياة والشبع والرى الـذى هو من فعل الله تعالى.

الفضيحة الثالثة من فضائحه قوله في التوبة لانها لا تصح مع ذنب مع الاصرار على قبيح آخر يعلمه قبيحا او يعتقده قبيحا وان كان حسنا وزعم ايضا ان التوبة من الفضائح لا تصح مع الاصرار على منع حبة تجب عليه وعول فيه على دعواه فـي الشـاهد ان من قتل ابنا لغيره وزنى بحرمته يحسن منه قبوله توبة من احـد الذنبين مع اصراره على الآخر وهذه دعوى غير مسـلمة لـه فـي الشاهد بل يحسن في الشاهد قبوله التوبة من ذنب مع العقـاب علـى الآخـر كالإمـام يعقـه ابنـه ويسـرق أمـوال النـاس ويزنـى

بجواريه ثم يعتذر الى أبيه في العقوق فيقبل توبته فـي العقـوق عقوقه وفيما خـانه فيـه مـن مـاله ويقطـع يـده فـي مـال غيـره ويجلده في الزنى.

ومما عول عليه في هذا الباب قوله أنما وجب عليه تـرك القبيـح لقبحـه فـاذا اصـر علـى قبـح آخـر لـم يكـن تاركـا للقبـح المتروك من أجل قبحه.

وقلنا له ما تنكر ان يكون وجوب ترك القبيح لازالة عقابه عن نفسه فيصح خلاصه من عقاب ما تاب عنه وان عوقب على مال يتب عنه ؟

وقلنا له اكثر ما فى هذا الباب أن يكون التائب عن بعـض ذنوبه قد ناقض وتاب عن ذنبه لقبحه وأصر على قبيح آخر فلم لا تصح توبته من الذى تاب منه كما أن الخارجي وغيره ممن يعتقد اعتقادات فاسدة وعنده انها حسنة يصح عندك مـن التوبـة عـن قبائـح يعلـم قبحهـا مـع اصـراره علـى قبائـح ق د اعتقـد حسـنها ويلزمك على أصـلك هـذا اذا قلـت انـه مـأمور باجتنـاب كـل مـا اعتقده قبيحا أن تقول في الواحد منا اذا اعتقد قبح مذاهب أبـى هاشم وزنى وسرق أن لا يصح توبته الا بـترك جميـع مـا اعتقـده قبيحا فيكون مأمورا باجتناب الزنى والسرقة وباجتناب مــذاهب أبى هاشم كلها لاعتقاده قبحها.

وقد سأله أصحابنا عن يهودى اسلم وتاب عن جميع القبائح غير انه أصر على منع حبة فضـة مـن مسـتحقها عليـه مـن غيـر استحلالها ولا جحود لها هل صحت توبته من الكفر فان قال نعـم نقض اعتلاله وان قال لا عاند اجماع الامة.

ومن قوله أنه لم يصح اسلامه وانه كافر على يهوديته التى كانت قبل توبته ثم انه لم تجر عليه احكام اليهود فزعم انه غيــر تائب من اليهودية بل هو مصر عليها وهو مع ذلك ليس يهوديا.

وهذه مناقضة بينة وقيل له ان كان مصرا على يهوديته فأبح ذبيحته وخذ الجزية منه وذلك خلاف قول الامة.

والفضيحة الرابعة من فضائحه قوله في التوبة ايضا إنها لا تصح عن الذنب بعد العجز عن مثله فلا يصح عنده توبة من خرس لسانه عن الكذب ولا توبة من جب ذكره عن الزنى.

وهذا خلاف قول جميع الامة قبله وقيل له أرأيت لو اعتقد أنه لو كان له لسان وذكر لكذب وزنى كان ذلك من معصيته فاذا قال نعم قيل فكذلك اذا اعتقد انه لو كان له آلة الكذب والزنى لم يعص الله تعالى بهما وجب ان يكون ذلك من طاعة وتوبة.

وكان ابو هاشم مع افراطه في الوعيد أفسق أهل زمانه وكان مصرا على شرب الخمر وقيل انه مات في سكره حتى قال فيه بعض المرجئة:

يعيب القول بالإرجاء حتى يرى بعض الرجاء من الجرائر
واعظم من ذوي الارجاء جرما وعبدي كذا أصر على الكبائر

والفضيحة الخامسة من فضائحه قوله في الارادة المشروطة واصلها عنده قوله بانه لا يجوز أن يكون شىء واحد مرادا من وجه مكروها من وجه آخر والذى الجأه الى ذلك أن تكلم على من قال بالجهات في الكسب والخلق فقال لا تخلو الوجهة التى هى الكسب من أن تكون موجودة أو معدومة فان كان ذلك الوجه معدوما كان فيه إثبات شىء واحد موجودا ومعدوما وإن كان موجودا لم يخل من أن يكون مخلوقا أم لا فان كان مخلوقا ثبت أنه مخلوق من كل وجه وان لم يكن مخلوقا صار العقل قديما من وجه خلقا من وجه آخر وهذا محال فألزم على هذا كون الشىء مرادا من وجه مكروها من وجه آخر.

وقيل له إن الإرادة عندك لا تتعلق بالشىء إلا على وجهة الحدوث وكذلك الكراهة فاذا كان مرادا من جهة مكروها من جهة أخرى وجب أن يكون المريد قد اراد ما اراد وكره ما اراد وهذا متناقض فقال لا يكون المريد للشىء مريدا له إلا من جميع وجوهه حتى لا يجوز أن يكرهه من وجه فألزم عليه

المعلوم والمجهول اذ لا ينكر كون شىء واحد معلوما من وجه مجهولا من وجه آخر.

ولما ارتكب قوله بأن الشىء الواحد لا يكون مرادا من جهة مكروها من جهة أخرى حلت على نفسه مسائل فيها هدم اصول المعتزلة وقد ارتكب اكثرها.

منها انه يلزمه ان يكون من القبائح العظام ما لم يكرهه الله تعالى ومن الحسن الجميل مالم يرده وذلك انه اذا كان السجود لله تعالى عبادة عبادة الصنم مع ان السجود للصنم قبيح عظيم وكذلك اذا اراد أن يكون القول بأن محمدا رسول الله إخبارا عن محمد بن عبد الله وجب أن لا يكرهه ان يكون إخبارا عن محمد آخر مع كون ذلك كفرا ولزمه اذا كره الله تعالى ان يكون السجود عبادة للصنم ان لا يريد كونه عبادة لله تعالى مع كونه عبادة لله طاعة حسنة وركب هذا كله وذكر فى جامعه الكبير أن السجود للصنم لم يكرهه الله تعالى وأبى ان يكون الشىء الواحد مرادا مكروها من وجهين مختلفين وقال فيه أما ابو على يعنى أباه فانه يجيز ذلك وهو عندى غير مستمر على الاصول لأن الارادة لا تتناول الشىء إلا على طريق الحدوث عندنا وعنده فلو اراد حدوثه وكره لوجب ان يكون قد كره ما اراد اللهم إلا أن يكون له حدوثان.

وهذا الذى عول عليه على اصلنا باطل لان الارادة عندنا قد تتعلق بالمراد على وجه الحدوث وعلى غير وجه الحدوث وليس اما اباه ما ألزمه وله عن إلزامه جواب وقلب.

اما الجواب فان اباه لم يرد بقوله إن الإرادة تتعلق بالشىء على وجه الحدوث ما ذهب اليه أبو هاشم وانما أراد بذلك انها تتعلق به فى حال حدوثه بحدوثه او بصفة يكون عليها فى حال الحدوث مثل أن يريد حدوثه ويريد كونه طاعة لله تعالى وهى صفة عليها يكون فى حال الحدوث وهذا كقولهم إن الأمر والخبر لا يكونان امرا وخبرا إلا بالارادة إما إرادةالمأمور به على أصل أبى هاشم وغيره او إرادة كونه امرا وخبرا كما قاله ابن الاخشيد منهم لأن الله تعالى قد قال {وقل الحق من ربكم

فمن شاء فليؤمن} وقد اراد حدوث كلامه وأراد الأيمان منهم وليس قولهم فليؤمن مع ذلك امرا بل هو تهديد لأنه لم يرد كون هذا القول امرا وكذلك الخبر لا يكون خبرا عندهم وحتى يريد كونه خبرا عن زيد دون عمرو مع أن هذا السبب بإرادة لحدوث الشىء وبان بهذا أن كراهة الله تعالى ان يكون السجود عبادة للصنم غير ارادته لحدوثه فلم يلزم ما ذكره ابو هاشم من كونه مرادا من الوجه الذى كرهه.

ووجه القلب عليه أن يقال إن الله تعالى قد نهى عن السجود للصنم وقد نص عليه وقد 2 ثبت من أصل المعتزلة أن الله تعالى لا يأمر إلا بحدوث الشىء ولا ينهى إلا عن حدوثه وقد ثبت أنه أمر بالسجود عبادة له فيلزمه ان يكون قد نهى عنه من الوجه الذى امر به لانه لا ينهى الا عن إحداث الشىء وليس للسجود الا حدوث واحد ولو كان له حدوثان لزمه أن يكون محدثا من وجه غير محدث من وجه آخر فلزمه فى الامر والنهى ما ألزم إياه والتجار فى الارادة والكراهة.

والفضيحة السادسة من فضائحه قوله بالاحوال التى كفره فيها مشاركوه فى الاعتزال فضلا عن سائر الفرق والذى ألجأه اليها سؤال أصحابنا قدماء المعتزلة عن العالم منا هل فارق الجاهل بما علمه لنفسه او لعلة وأبطلوا مفارقته إياه لنفسه مع كونهما من جنس واحد وبطل ان تكون مفارقته إياه لا لنفسه ولا لعلة لانه لا يكون حينئذ بمفارقته له أولى من آخر سواه فثبت أنه إنما فارقه فى كونه عالما لمعنى ما ووجب ايضا ان يكون لله تعالى فى مفارقة الجاهل معنى او صفة بها فارقه فزعم أنه إنما فارقه لحال كان عليها فأثبت الحال فى ثلاثة مواضع أحدها الموصوف الذى يكون موصوفا لنفسه فاستحق ذلك الوصف لحال كان عليها والثانى الموصوف بالشىء لمعنى صار مختصا بذلك المعنى لحال والثالث ما يستحقه لا لنفسه ولا لمعنى فيختص بذلك الوصف دون غيره عنده لحال وأحوجه الى هذا سؤال معمر فى المعانى لما قال إن علم زيد اختص به دون عمر ولنفسه او لمعنى اولا لنفسه اولا لمعنى فان كان لنفسه

وجب ان يكون لجميع العلوم به اختصاص لكونها علوما وان كان لمعنى صح قول معمر فى تعلق كل معنى بمعنى لا الى نهاية وان كان لا لنفسه ولا لمعنى لم يكن اختصاصه به أولى من اختصاصه بغيره وقال ابو هاشم انما اختص به لحال.

وقال اصحابنا ان علم زيد اختص به لعينه لا لكونه علما ولا لكون زيدكما تقول ان السواد سواد لعينه لا لان له نفسا وعينا.

ثم قالوا لابى هاشم هل تعلم الاحوال اولا تعلمها فقال لا من قبل انه لو قال انها معلومة لزمه اثباتها اشياء اذ لا يعلم عنده إلا ما يكون شيئا ثم ان لم يقل بانها احوال متغايرة لان التغاير إنما يقع بين الاشياء والذوات ثم انه لا يقول فى الاحوال انها موجودة ولا انها معدومة ولا انها قديمة ولا محدثة ولا معلومة ولا مجهولة ولا تقول انها مذكورة مع ذكره لها بقوله انها غير مذكورة وهذا متناقض.

وزعم ايضا ان العالم له فى كل معلوم حال لا يقال فيها انها حالة مع المعلوم الآخر ولاجل هذا زعم ان احوال البارى عز وجل فى معلوماته لا نهاية لها وكذلك احواله فى مقدوراته لا نهاية لها كما ان مقدوراته لا نهاية لها.

وقال له اصحابنا ما انكرت ان يكون لمعلوم واحد احوال بلا نهاية لصحة تعلق المعلوم بكل عالم يوجد لا الى نهاية وقالوا له هل احوال البارى من عمل غيره ام هى هو فاجاب بانها لا هى هو ولا غيره فقالوا له فلم انكرت على الصفاتية قولهم فى صفات الله عز وجل فى الازل انها لا هى ولا غيره.

والفضيحة السابعة من فضائحه قوله نبغى جملة من الأعراض التى اثبتها اكثر مثبتى الأعراض كالبقاء والإدراك والكدرة والألم والشك وقد زعم ان الألم الذى يلحق الانسان عند المصيبة والألم الذى يجده عند شرب الدواء الكريه ليس بمعنى اكثر من ادراك ما ينفر عنه الطبع والادراك ليس بمعنى عنده ومثله ادراك جواهر اهل النار وكذلك اللذات عنده ليست بمعنى ولا هى اكثر من ادراك المشتهى والادراك ليس بمعنى وقال فى الألم الذى يحدث عند الوباء إنه معنى كالألم عند

الضرب واستدل على ذلك بـانه واقـع تحـت الحسـن وهـذا مـن عجائبه لأن ألم الضرب بالخشب والألم بسعوط الخردل والتلدع بالنار وشرب الصبر سـواء فـى الحسـن ويلزمـه اذا نفـى كـون الملذة معنى ألا يزيد لذات اهل الثـواب فـى الجنـة علـى لـذات الاطفال التى نالوها بالفضل لاسـتحالة ان يكـون لا شـىء اكـثر من لا شىء وقد قال ان اللذة فى نفسها نفع وحسن فاثبت نفعا وحسنا ليس بشىء وقال كل ألم ضرر وجاء من هـذا ان الضـرر ما ليس شىء عنده.

والفضيحة الثامنة من فضائحه قوله فى باب الفناء ان الله تعالى لا يقدر على ان يفنى من العالم ذرة مـع بقـاء السـماوات والارض وبناه على اصله فى دعواه ان الاجسام لا تفنى الا بفناء يخلقه الله تعالى لا فى محل يكون ضدا لجميـع الاجسـام لأنـه لا يختص ببعض الجواهر دون بعض اذ ليس هو قائمـا بشـىء منهـا فاذا كان ضدا لها نفاها كلها وحسبه من الفضيحة فى هـذا قـوله بأن الله يقدر على إفناء جملة لا يقدر على افناء بعضها.

والفضيحة التاسعة قوله بأن الطهارة غير واجبة والذى الجأه الى ذلك ان سأل نفسه عن الطهارة بماء مغصـوب علـى قـوله وقول ابيه بأن الصلاة فى الارض المغصوبة فاسدة واجـاب بـأن الطهارة بالماء المغصوب صحيحة وفرق بينها وبين الصـلاة فـى الدار المغصوبة بأن قال ان الطهارة غير واجبـة وانمـا امـر اللـه تعـالى العبـد بـأن يصـلى اذا كـان متطهـرا ثـم اسـتدل علـى ان الطهارة غير واجبة بان غيره لو طهره مع كونه صحيحا اجزاه ثم انه طـرد هـذا الاعتلال فـى الحـج فزعـم ان الوقـوف والطـوف والسعى غير واجب فى الحـج لان ذلـك كلـه مجزيـه اذا اتـى بـه راكبا ولزمه على هذا الاصل ألا تكون الزكاة واجبـة ولا الكفـارة والنذور وقضاء الديون لان وكيله ينوب عنه فيها وفى هـذا ارفـع احكام الشريعة.

وبان بما ذكرناه فى هذا الفصل تكفيـر زعمـاء المعتزلـة بعضها لبعض واكثرهم يكفرون اتبـاعهم المقلـدين لهـم ومثلهـم فى ذلك كما قاله الله تعالى {فأغرينـا بينهـم العـداوة والبغضـاء

إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون} واما مثل اتباعهم معهم فقول الله تعالى {إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا}.

ومن مكابرات زعمائهم مكابرة النظام فى الطفرة وقوله بأن الجسم يصير من المكان الاول الى الثالث او العاشر من غير ضرورة بالوسط ومكابرة اصحاب التوالد منهم فى دعواهم ان الموتى يقتلون الاحياء على الحقيقهومكابرة جمهورهم في دعواهم ان الذى يقدر على ان يرتفع من الارض شبرا قادر على ان يرتفع فوق السماوات السبع وان المقيد المغلول يداه قادر على صعوده الى السماء وان البقه الصغيرة تقدر على شرب القران كذا بمثله وبما هو افصح منه.

وزعم المعروف منهم بقاسم الدمشقى أن حروف الصدق هى حروف الكذب وان الحروف التى فى قول القائل لا أله إلا الله هى التى فى قول من يقول المسيح اله وان الحروف التى فى القران هى التي فى كتاب زردشت المجوس باعيانها لا على معنى انها مثلها ومن لم يعد هذه الوجوه مكابرات للعقول لم يكن له ان يعد انكار السوفسطائية للمحسوسات مكابرة.

وقد حكى أصحاب المقالات ان سبعة من زعماء القدرية اجتمعوا فى مجلس وتكلموا فى قدرة الله تعالى على الظلم والكذب وافترقوا عن تكفير كل واحد منهم لسائرهم.

وذلك ان قائلا منهم قال للنظام فى ذلك المجلس هل يقدر الله تعالى على ما وقع منه لكان جورا وكذبا منه فقال لو قدر عليه لم ندر لعله قد جار اوكذب فيما مضى او يجوز ويكذب فى المستقبل او جار فى بعض اطراف الارض ولم يكن لنا من جوره وكذبه امان الا من جهة حسن الظن به قال ما دليل يؤمننا من وقوع ذلك منه فلا سبيل اليه فقال له علي الاسوارى يلزمك على هذا الاعتلال ان لا يكون قادرا على ما علم انه لا يفعله أو أخبر بانه لا يفعله لانه لو قدر على ذلك لم يأمن وقوعه منه فيما مضى او فى المستقبل فقال النظام هذا الالزام فما قولك فيه

فقال أنا أسوى بينهما وأقول انه لا يقدر على ما علم ان لا يفعله او اخبر بانه لا يفعله كما أقول أنا وأنت انه لا يقـدر علـى الظلـم والكذب فقال النظام للاسـوارى قولـك الحـاد وكفـر وقـال أبـو الهذيل للاسوارى ما تقول فـى فرعـون ومـن علـم اللـه تعـالى منهم انهم لا يؤمنون هل كـانوا قـادرين علـى الايمـان أم لا فـان زعمت انهم لم يقدروا عليه فقد كلفهم الله تعالى ما لم يطيقوه وهذا عندك كفر وان قلت انهم كـانوا ق ادرين عليـه فمـا يؤمنـك من ان يكون قد وقع من بعضهم ما علم الله تعالى ان لا يقــع او اخبر بانه لا يقع منه على قول اعتلالك واعتلال النظام انكار كمـا انكر قدرة الله تعالى على الظلم والكذب فقال لابى الهذيل هذا الالزام لنا فما جوابك عنه فقـال انـا أقـول ان اللـه تعـالى قـادر على ان يظلم ويكذب وعلى ان يفعل ما علم انه لا يفعلـه فقـالا له أرأيت لو فعل الظلم والكذب كيف يكون مكنون حال الدلائل التى دلت على ان الله تعالى لا يظلم ولا يكذب فقال هذا محـال فقالا له كيف يكون المحال مقدورا لله تعالى ولـم احلـت وقـوع ذلك منه مع كونه مقدورا له فقال لانه لا يقع الا عـن آفـة تـدخل عليه ومحال دخول الافات على الله تعالى فقالا له ومحال ايضـا ان يكون قادرا على ما يقع منه الا عـن آفـة تـدخل عليـه فبهـت الثلاثة فقال لهم بشر كل ما انتم فيه تخليط فقال له أبو الهـذيل فما تقول أنت تزعم ان اللـه تعـالى يقـدر ان يعـذب الطفـل ام تقول هذا يقول هذا يعنى النظام فقال أقول بانه قادر على ذلك فقال أرأيت لو فعل ما قدر عليه من تعـذيب الطفـل ظالمـا لـه فى تعذيبه لكان الطفل بالغا عاقلا عاصيا مستحقا للعقاب الذي اوقعه الله تعالى به وكانت الدلائل بحالها فى دلالتها على عــدله فقال له ابو الهذيل سخنت عينك كيف تكون عبـادة لا تفعـل مـا تقدر عليه من الظلـم فقـال لـه المـردار انـك قـد انكـرت علـى استاذى فكرا وقد غلط الاستاذ فقال له بشر فكيـف تقـول قـال اقول ان الله تعالى قادر علـى الظلـم والكـذب ولـو فعـل ذلـك لكان الها ظالما كاذبا فقال له بشر فهل كان مستحقا للعبادة ام لا فان استحقها فالعبادة شكر للمعبود واذا ظلم استحق الـذم لا

الفرق بين الفِرق

الشكر وان لم يستحق العبادة فكيف يكون ربا لا يستحق العبادة فقال لهم الاشبح انا أقول انه قادر على ان يظلم ويكذب ولو ظلم وكذب لكان عادلا كما انه قادر على ان يفعل ما علم انه لا يفعله علم لو فعله كان عالما بان يفعله فقال له الاسكافى كيف ينقلب الجور عدلا فقال كيف تقول انت فقال أقول لو فعل الجور والكذب ما كان الفعل موجودا وكان ذلك واقعا لمجنون أو منقوص فقال له جعفر بن حرب كانك تقول ان الله تعالى انما يقدر على ظلم المجانين ولا يقدر على ظلم العقلاء فافترق القوم يومئذ عن انقطاع كل واحد منهم ولما انتهت نوبة الاعتزال الى الجبائى وابنه امسكا عن الجواب فى هذه المسألة بنصح

وقد ذكر بعض أصحاب أبى هاشم فى كتابه هذه المسألة فقال من قال لنا ايصح وقوع ما يقدر الله تعالى عليه من الظلم والكذب قلنا له يصح ذلك لانه لو لم يصح وقوعه منه ما كان قادرا عليه لان القدرة على المحال محال فان قال أفيجوز وقوعه منه قلنا لا يجوز وقوعه منه لقبحه وغناه عنه وعلمه بغناه عنه فان قال أخبرونا لو وقع مقدوره من الظلم والكذب كيف كان يكون حاله فى نفسه هل كان يدل وقوع الظلم منه على جهله او حاجته قلنا محال ذلك لانا قد علمناه عالما غنيا فان قال فلو وقع منه الظلم والكذب هل كان يجوز ان يقال ان ذلك لا يدل على جهله وحاجته قلنا لايوصف بذلك لانا قد عرفنا دلالة الظلم على جهل فاعله او حاجته فان قال فكانكم لا تجيبون عن سؤال من سألكم عن دلالة وقوع الظلم والكذب ممن على جهل وحاجة باثبات ولا نفى قلنا كذلك تقول.

فهؤلاء زعماء قدرية عصرنا قد اقروا بعجزهم وعجز أسلافهم عن الجواب فى هذه المسألة ولو وفقوا للصواب فيها لرجعوا الى قول أصحابنا بان الله قادر على كل مقدور وان كل مقدور له لو وقع منه لم يكن ظلما منه ولو احالوا الكذب عليه كما أحاله أصحابنا لتخلصوا عن الالزام الذى توجه عليهم فى هذه المسألة.

وكان الجبائى يعتذر فى امتناعه عن الجواب فى هذه المسألة بنعم او لا بان يقول مثال هذا ان قائلا لو قال اخبرونى عن النبى لو فعل الكذب لكان يدل على انه ليس بنبى او لا يدل على ذلك وزعم ان الجواب فى ذلك مستحيل وهذا ظن منه على اصله فاما على أصل أهل السنة فان النبى كان معصوما عن الكذب والظلم ولم يكن قادرا عليهما والمعتزلة غير النظام والاسوارى قد وصفوا الله تعالى بالقدرة على الظلم والكذب فلزمهم الجواب عن سؤال من سألهم عن وقوع مقدوره منهما هل يدل على الجهل والحاجة أولا يدل على ذلك بنعم اولا وأيهما أجابوا به نقضوا به أصولهم.

والحمد لله الذى أنقذنا من ضلالتهم المؤدية الى مناقضاتهم

{الفصل الرابع من فصول هذا الباب}

في بيان الفرق المرجئة وتفصيل مذاهبهم

والمرجئة ثلاثة أصناف:

صنف منهم قالوا بالارجاء فى الايمان وما يقدر على مذاهب القدرية المعتزلة كغيلان وأبى شمر ومحمد ابن أبي شبيب البصرى وهؤلاء داخلون فى مضمون الخبر الوارد فى لعن القدرية والمرجئة يستحقون اللعنة من وجهين وصنف منهم قالوا بالارجاء بالايمان وبالخبر فى الاعمال على مذهب جهم ابن صفوان فهم اذا من جملة الجهمية والصنف الثالث منهم خارجون عن الخبر والقدرية وهم فيما بينهم خمس فرق اليونسية 2 والغسانية والثوبانية والتومنية والمريسية وانما سموا مرجئة لانهم أخروا العمل عن الايمان والارجاء بمعنى التأخير يقال ارجيت وارجائه اذا اخرته وروى عن النبى انه قال لعنت المرجئة على لسان سبعين نبيا قيل من المرجئة يا رسول الله قال الذين يقولون الايمان كلام يعنى الذين زعموا ان الايمان هو اقرار وحده دون غيره والفرق الخمس التى ذكرناها من المرجئة تضل كل فرقة منها اختها ويضللها سائر الفرق وسنذكرها على التفصيل ان شاء الله عز وجل.

الفرق بين الفِرق

ذكر اليونسية منهم :

هؤلاء اتباع يونس بن عون الذى زعم ان الايمان فى القلب واللسان وانه هو المعرفة بالله تعالى والمحبة والخضوع له بالقلب والإقرار باللسان أنه واحد ليس كمثله شىء مالم تقم حجة الرسل عليهم السلام فان قامت عليهم حجتهم بالتصديق لهم ومعرفة ما جاء من عندهم في الجملة من الايمان وليست معرفة تفصيل ما جاء من عندهم أيمانا ولا من جملته وزعم هؤلاء أن كل خصلة من خصال الايمان ليست بأيمان ولا بعض إيمان ومجموعها ايمان.

ذكر الغسانية منهم:

هؤلاء اتباع غسان المرجىء الذى زعم أن الايمان هو الإقرار او المحبة لله تعالى وتعظيمه وترك الاستكبار عليه وقال انه يزيد ولا ينقص وفارق اليونسية بأن سمى كل خصلة من الأيمان بعض الأيمان وزعم غسان هذا فى كتابه ان قوله فى هذا الكتاب كقول أبى حنيفة فيه وهذا غلط منه عليه لأن أبا حنيفة قال إن الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبرسله وبما جاء من الله تعالى ورسله فى الجملة دون التفصيل وانه لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه وغسان قد قال بأنه يزيد ولا ينقص.

ذكر التومنية منهم:

هؤلاء اتباع أبى معاذ التومنى الذى زعم ان الايمان ما عصم من الكفر وهو اسم لخصال من تركها أو ترك خصلة منها كفر ومجموع تلك الخصال إيمان ولا يقال للخصلة منها أيمان ولا بعض أيمان.

وقال كل ما لم تجتمع الامة على كفره بتركه من الفرائض فهو من شرع الأيمان وليس بأيمان.

وزعم ان تارك الفريضة التى ليست بأيمان يقال له فسق ولا يقال له فاسق على الاطلاق اذا لم يتركها جاحدا.
وزعم ايضا أن من لطم نبيا او قتله كفر لا من أجل لطمه وقتله لكن من أجل عداوته وبغضه له واستخفاقه بحقه

ذكر الثوبانية منهم:

هؤلاء اتباع أبى ثوبان المرجىء الذى زعم ان الايمان هو الإقرار والمعرفة بالله وبرسله وبكل ما يجب فى العقل فعله وما جاز فى العقل ان لا يفعل فليست المعرفة من الايمان.
وفارقوا اليونسية والغسانية بإيجابهم فى العقل شيئا قبل ورود الشرع بوجوبه.

ذكر المريسية منهم:

هؤلاء مرجئة بغداد من أتباع بشر المريسى وكان فى الفقه على رأى أبى يوسف القاضى غير أنه لما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف وضللته الصفاتية فى ذلك ولما وافقوا الصفاتية فى القول بان الله تعالى خالق اكساب العباد وفى ان الاستطاعة مع الفعل اكفرته المعتزلة فى ذلك فصار مهجور الصفاتية والمعتزلة معا.
وكان يقول فى الايمان انه هو التصديق بالقلب واللسان جميعا كما قال ابن الروندى فى ان الكفر هو الجحد والانكار وزعما ان السجود للصنم ليس بكفر ولكنه دلالة على الكفر.
فهؤلاء الفرق الخمس هم المرجئة الخارجة عن الخبر والقدر واما المرجئة القدرية كأبى شمر وابن شبيب وغيلان وصالح قبة فقد اختلفوا فى الايمان.
فقال أبو شمر الايمان هو المعرفة والاقرار بالله تعالى وبما جاء من عنده مما اجتمعت عليه الامة كالصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ووطء المحارم ونحو ذلك وما عرف بالعقل من عدل الايمان وتوحيد ونفى التشبيه

عند وأراد بالعقل قوله بالقدر وأراد بالتوحيد نفيه عن الله تعالى صفاته الأزلية.

قال كل ذلك إيمان والشاك فيه كافر والشاك فى الشاك أيضا كافر ثم كذلك أبدا وزعم أن هذه المعرفة لا تكون ايمانا الا مع الاقرار.

وكان أبو شمر مع بدعته هذه لا يقول لمن فسق من موافقيه في القدر انه فاسق مطلقا ولكنه كان يقول إنه فاسق فى كذا.

وهذه الفرقة عند أهل السنة والجماعة أكفر أصناف المرجئة لانها جمعت بين ضلالتى القدر والارجاء والعدل الذى أشار اليه أبو شمر شرك على الحقيقة لانه اراد به اثبات خالقين كبيرين غير الله تعالى وتوحيده الذى اشار اليه تعطيل لانه اراد به نفى علم الله تعالى وقدرته ورؤيته وسائر صفاته الازلية وقوله فى مخالفيه إنهم كفرة وان الشاك فى كفرهم كافر مقابل بقول أهل السنة فيه إنه كافر وان الشاك فى كفره كافر.

وكان غيلان القدرى يجمع بين القدر والارجاء ويزعم أن الايمان هو المعرفة الثانية بالله تعالى والمحبة والخضوع والإقرار بما جاء به الرسول وبما جاء من الله تعالى.

وزعم ان المعرفة الاولى اضطرار وليس بايمان.

وحكى زرقان فى مقالاته عن غيلان أن الايمان هو الاقرار باللسان وان المعرفة بالله تعالى ضرورية فعل الله تعالى وليست من الايمان.

وزعم غيلان أن الايمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه وزعم محمد بن شبيب أن الايمان هو الاقرار بالله والمعرفة برسله وبجميع ما جاء من عند الله تعالى مما نص عليه المسلمون من الصلاة والزكاة والصيام والحج وكل ما لم يختلفوا فيه.

وقال ان الايمان يتبعض ويتفاضل الناس فيه والخصلة الواحدة من الايمان قد تكون بعض الايمان وتاركها يكفر بترك بعض الايمان ولا يكون مؤمنا باصابة كله.

وزعم الصالحى أن الايمان هو المعفرقة بالله تعالى فقط والكفر هو الجهل به فقط وأن قول القائل ان اللـه تعـالى ثـالث ثلاثة ليس بكفر لكنه لا يظهر الا من كافر ومـن جحـد الرسـل لا يكون مؤمنا لا من أجل أن ذلك محال لكن الرسول قال {من لا يؤمن بى فليس مؤمنا بالله تعالى}.

وزعم ان الصلاة والزكاة والصيام والحج طاعات وليست بعبادة للـه تعـالى وأن لا عبـادة لـه الا الايمـان بـه وهـو معرفتـه والايمان عنـده خصـلة واحـدة لا تزيـد ولا تنقـص وكـذلك الكفـر خصلة واحدة.

فهذه اقوال المرجئة فى الايمان الذى تأخيرهم الاعمال عن الايمان سموا مرجئة.

{الفصل الخامس}

فى ذكر مقالات الفرق النجارية

هؤلاء اتباع الحسين بن محمد النجار، وقد وافقوا أصحابنا فى أصول ووافقوا القدرية فى اصول وانفردوا باصول لهم.

فالذى وافقوا فيه أصحابنا قولهم معنا بان الله تعالى خالق اكسـاب العبـاد وأن الاسـتطاعة مـع الفعـل وانـه لا يحـدث فـى العالم الا ما يريده الله تعالى.

ووافقونا ايضا فى أبواب الوعيد وجواز المغفرة لاهل الذنوب وفى اكثر أبواب التعديل والتحوبر.

وأما الذى وافقوا فيه القدرية فنفى علم الله تعالى وقدرته وحيـاته وسـائر صـفاته الازليـة وإحالـة رؤيتـه بالابصـار والقـول بحدوث كلام الله تعالى.

واكفرتهم القدرية فيما وافقوا فيه أصحابنا وأكفرهم أصحابنا فيما وافقوا فيه القدرية.

والذى يجمع النجارية فى الايمان قولهم بـ ان الايمـان هـو المعرفــة بــالله تعــالى وبرســله وفرائضــه الــتى أجمــع عليهــا المسلمون والخضوع له والإقرار باللسان فمن جهـل شـيئا مـن ذلك بعد قيام الحجة به عليه او عرفه ولم يقر به فقد كفر.

الفرق بين الفِرق

وقالوا كل خصلة من خصال الأيمان طاعة وليست بايمان ومجموعها ايمـان وليسـت خصـلة منهـا عنـد الانفـراد ايمانـا ولا طاعة.

وقالوا ان الايمان يزيد ولا ينقص.

وزعم النجار أن الجسم اعراض مجتمعة وهى الأعراض التى لا ينفك الجسم عنها كاللون والطعم والرائحة وسائر مـالا يخلـو الجسم منه ومن ضده فأما الذى يخلو الجسـم منـه ومـن ضـده كالعلم والجهل ونحوهما فليس شىء منها بعضا للجسم.

وزعم ايضا ان كلام الله تعالى عرض اذا قرىء وجسم اذا كتب وانه لو كتب بالدم صار ذلـك الـدم المقطـع قطيـع حـروف الكلام كلامـا للـه تعـالى بعـد ان لـم يكـن كلامـا حيـن كـان دمـا مسفوحا فهذه اصول النجارية.

وافترقوا بعد هذا فيما بينهم فى العبادة عن خلق القـرآن وفى حكم أقوال مخـالفيهم فرقـا كـبيرة كـل فرقـة منهـا تكفـر سـائرها والمشـهورون منهـا ثلاث فـرق وهـى البرغوثيـة والزعفرانية والمستدركة من الزعفرانية.

ذكر البرغوثية منهم:

هؤلاء اتباع محمد بن عيسى الملقب ببرغوث وكان علـى مذهب النجار فى اكثر مـذاهبه وخـالفه فـى تسـمية المكتسـب فاعلا فامتنع منه واطلقه النجار وخالفه فـى تسـمية المكتسـب فاعلا فامتنع منه واطلقه النجـار وخـالفه ايضـا فـى المتوالـدات فزعم انها فعل للـه تعـالى بايجـاب الطبـع علـى معنـى ان اللـه تعالى طبع الحجر طبعا يذهب إذا وقع وطبع الحيوان طبعـا يـألم اذا ضرب وقال النجار فى المتولدات بمثـل قـول اصـحابنا فيهـا انها من فعل الله تعالى باختيار لا من طبع الجسم الـذى سـموه مولدا.

ذكر الزعفرانية منهم:

الفرق بين الفِرق

هؤلاء اتباع الزعفرانى الذى كان بالرى وكان يناقض بآخر كلامه اوله فيقول ان كلام الله تعالى غيره وكل ما هو غيـر اللـه تعالى مخلوق ثم يقول مع ذلك الكلب خير ممن يقول كلام اللـه مخلوق.

وذكر بعض أصحاب التواريخ أن هذا الزعفرانى أراد أن يشهر نفسه فى الآفاق فأكترى رجلا على أن يخـرج الـى مكـة ويسـبه ويلعنه فى مواسم مكة ليشتهر ذكره عند حجيج الآفاق وقـد بلـغ حمـق أتبـاعه بـالرى أن قومـا منهـم لا يـأكلون العنجـد حرمـة للزعفرانى ويزعمون انه كان يحب ذلك وقالوا لا نأكل محبوبه.

ذكر المستدركة منهم:

هؤلاء قوم من النجارية يزعمون انهم استدركوا ما خفـى علـى اسـلافهم لان اسـلافهم منعـوا اطلاق القـول بـأن القـرآن مخلوق وزعمت المستدركة أنه مخلوق ثم افـترقوا فيمـا بينهـم فرقتين:

1) فرقة زعمت أن النـبى عليـه السـلام قـد قـال ان كلام الله مخلوق على ترتيب هـذه الحـروف ولكنـه اعتقـد ذلـك بهذه اللفظة على ترتيبه حروفها ومـن لـم يقـل إن النـبى عليـه السلام قال ذلك على ترتيب هذه الحروف فهو كافر.

2) وقالت الفرقة الثانية منهم إن النبى عليه السـلام لم يقل كلام الله مخلوق على ترتيب هذه الحروف ولكنه اعتقـد ذلك ودل عليه ومـن زعـم أنـه قـال إن كلام اللـه مخلـوق بهـذه اللفظة فهو كافر.

ومن هؤلاء المسـتدركة قـوم بـالرى يزعمـون أن أقـوال مخالفيهم كلها كذب حتى لو قال الواحد منهم فى الشمس انهـا شمس لكان كاذبا فيه.

قال عبد القاهر ناظرت بعض هذه الطائفة بالرى فقلت له اخبرنى عن قولى لك أنت إنسان عاقل مولود مـن نكـاح لا مـن سفاح هل أكون صادقا فيـه فقـال أنـت كـاذب فـى هـذا القـول

فقلت له أنت صادق فى هذا الجواب فسكت خجلا والحمد لله على ذلك

{الفصل السادس من فصول هذا الباب}

في ذكر الجهمية والبكرية والضرارية وبيان مذاهبها

الجهمية: اتباع جهم بن صفوان الذى قال بالاجبار والاضطرار الى الاعمال وانكر الاستطاعات كلها وزعم ان الجنة والنار تبيدان وتفنيان وزعم أيضا ان الايمان هو المعرفة بالله تعالى فقط وان الكفر هو الجهل به فقط وقال لافعل ولا عمل لاحد غير الله تعالى وانما تنسب الاعمال الى المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين او مستطيعين لما وصفتا به وزعم ايضا أن علم الله تعالى حادث وامتنع من وصف الله تعالى بانه شىء او حى او عالم أو مريد وقال لا أصفه يجوز اطلاقه على غيره كشىء موجود وحى وعالم ومريد ونحو ذلك ووصفه بانه قادر وموجود وفاعل وخالق ومحيى ومميت لان هذه الاوصاف مختصة به وحده وقال بحدوث كلام الله تعالى كما قالته القدرية ولم يسم الله تعالى متكلما به.

واكفره أصحابنا فى جميع ضلالاته واكفرتة القدرية فى قوله بان الله تعالى خالق اعمال العباد فاتفق أصناف الامة على تكفيره.

وكان جهم مع ضلالاته التى ذكرناها يحمل السلاح ويقاتل السلطان وخرج مع شريح بن الحرث على نصر بن يسار وقتله سلم بن اجون المازنى فى آخر زمان بنى مروان واتباعه اليوم بنهوند وخرج اليهم فى زماننا اسماعيل بن ابراهيم بن كبوس الشيرازى الديلى فدعاهم الى مذهب شيخنا ابى الحسن الاشعرى فاجابه قوم منهم وصاروا مع اهل السنة يدا واحدة والحمد له على ذلك.

واما البكرية، فاتباع بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد وكان يوافق النظام فى دعواه ان الانسان هو الروح دون الجسد

الذى فيه الروح ويوافق اصحابنا فى ابطال القول بالتولـد وفـى ان اللـه تعـالى هـو المخـترع الألـم عنـد الضـرب وأجـاز وقـوع الضرب من غير حدوث ألم وقطع بعدها كما أجاز ذلك أصحابنا.

وانفرد بضلالات اكفرته الامة فيها.

منها منها قوله بأن الله تعالى يرى فى القيامة في صورة يخلقها وان يكلم عباده من تلك الصورة.

ومنها قوله فى الكبائر الواقعة من اهل القبلة انها نفاق وان صاحب الكبيرة منافق وعابد للشيطان وان كان من اهل الصلاة وزعم ايضا انه مع كونه منافقا مكذب للـه تعـالى جاحـد لـه وان يكون فى الدرك الاسـفل مـن النـار مخلـدا فيهـا وانـه مـع ذلـك مسلم ومؤمن ثم انه طرد قوله في هذه البدعة فقال في علـى وطلحة والزبير ان ذنوبهم كـانت كفـرا وشـركا غيـر انهـم كـانوا مغفورا لهم لما روى في الخبر {ان الله تعالى اطلع علـى أهـل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم}.

ومن ضلالاته ايضا ما عاند فيه العقلاء فزعم أن الاطفال فى المهد لا يألمون وان قطعوا او حرقوا وأجاز ان يكونوا فى وقـت الضرب والقطع والاحراق متلـذذين مـع ظهـور البكـاء والصـياح منهم.

ومنها انه أبدع فى الفقه تحريم اكل الثوم والبصل وأوجب الوضوء من قرقرة البطن ولا اعتبار عند أهل السنة بخلاف اهل الاهواء فى الفقه.

واما الضرارية، فهم اتباع ضرار بن عمرو الـذى وافـق اصحابنا فى ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى واكسـاب للعبـاد وفى ابطال القول بالتولد ووافـق المعتزلـة فـى ان الاسـتطاعة قبل الفعل وزاد عليهم بقوله انها قبل الفعـل ومـع الفعـل وبعـد الفعل وانهـا بعـض المسـتطيع ووافـق النجـار فـى دعواهمـا ان الجسم اعراض مجتمعة مـن لـون وطعـم ورائحـة ونحوهـا مـن الاعراض التى لا يخلو الجسم منها.

وانفرد باشياء منكرة:

منها قوله بان الله تعالى يرى فى القيامة بحاسة سادسة يرى بها المؤمنون ماهية الإله وقال للـه تعـالى ماهيـة لا يعرفهـا غيره يراها المؤمنـون بحاسـة سادسـة وتبعـه علـى هـذا القـول حفص القرد.

وانه أنكر حرف ابن مسعود وحرف ابى بن كعب وشهد بأن الله تعالى لم ينزلهما فنسب هذين الامامين مـن الصـحابة الـى الضلالة في مصحفيهما.

ومنها أنه شك فى جميع عامة المسلمين وقال لا أدرى لعل سرائر العامة كلها شرك وكفر.

ومنها قوله ان معنى قولنا ان الله تعالى عالم حى هو انه ليس بجاهل ولا ميت وكذلك قياسه فى سائر اوصاف الله تعالى من غير إثبات معنى أو فائدة سـوى نفـى الوصـف بنقيـض تلـك الاوصاف عنه.

{الفصل السابع من هذا الباب}

فى ذكر مقالات الكرامية وبيان أوصافها

الكراميـة بخراسـان ثلاثـة أصـناف: حقاقيـة وطرايقيـة واسحاقية

وهذه الفرق الثلاث لا يكفر بعضها بعضا وان أكفرها سائر الفرق فلهذا عددناها فرقه واحدة.

وزعيمها المعـروف محمـد بـن كـرام كـان مطـرودا مـن سخستان الى غرجستان وكان أتباعه فـى وقتـه أوغـاد شـورين وافشين ووردوا مع نيسابور فى زمان ولاية محمد بن طاهر بـن عبد الله بن طاهر وتبعـه علـى بـدعته مـن أهـل سـواد نيسـابور شرذمة من حوكة القرى والدّهم.

وضلالات أتباعه اليوم متنوعـة أنواعـا لا نعـدها ارباعـا ولا اسباعا لكنا نزيد على الآلاف آلافا ونذكر منها المشهور الذى هـو بالقبح مذكور.

فمنها ان ابن كرام دعا اتباعه الى تجسيم معبوده وزعم انه جسم له حد ونهاية من تحتـه والجهـة الـتى منهـا يلاقـى عرشـه

وهذا شبيه بقول الثنوية إن معبودهم الـذى سـموه نـورا يتنـاهى من الجهة التى يلاقى الكلام وان لم يتناه من خمس جهات وقـد وصف ابن كرام معبوده فى بعض كتبه بـأنه جـوهر كمـا زعمـت النصارى ان الله تعالى جوهر وذلـك أنـه قـال فـى خطبـة كتـابه المعروف بكتاب عذاب القبر إن الله تعالى احدى الـذات احـدى الجواهر وأتباعه اليوم لا يبوحون باطلاق لفظ الجوهر على اللـه تعالى عند العامة خوفـا مـن الشـناعة عنـد الاشـاعة واطلاقهـم عليه اسم الجسم اشنع من اسم الجوهر وامتناعهم من تسميته جوهرا مع قـولهم بـأنه جسـم كامتنـاع تسـمية شـيطان الطـاق الرافض مـن تسـميته الالـه جسـما مـع قـوله بـأنه علـى صـورة الانسان وليس على الخذلان فى سواء الاختيار قياس.

وقد ذكر ابن كرام فى كتابه ان الله تعالى مماس لعرشه وان العرش مكان له وأبدل أصحابه لفظ الماسة بلفظ الملاقاة منه للعرش وقالوا لا يصح وجود جسم بينه وبين العرش إلا بـان يحيط العرش الى اسفل وهذا معنى المماسة التى امتنعـوا مـن لفظها.

واختلف أصحابه فى معنى الاسـتواء المـذكور فـى قـوله {الرحمن على العرش استوى}.

فمنهم من زعم أن كل العرش مكان له وانه لو خلق بازاء العرش عروشا موازية لعرشه لصارت العـروش كلهـا مكانـا لـه لانه أكبر منها كلها وهذا القـول يـوجب عليهـم ان يكـون عرشـه اليوم كبعضه فى عرضه.

ومنهم من قال إنه لا يزيد على عرشه فى جهة المماسة ولا يفضل منه شىء على العـرش وهـذا يقتضـى ان يكـون عرضـه كعرض العرش.

وكان من الكرامية بنيسابور ورجل يعـرف بـابراهيم ابـن مهاجر بنصر هذا القول ويناظر عليه.

وزعم ابن كرام وأتباعه أن معبودهم محل للحوادث وزعموا أن أقواله وارادته وإدراكـاته للمرئيـات وإدراكـاته للمسـموعات زملاقاته للصحيفة العليا من العالم أعراض حادثة فيه وهو محل

لتلـك الحـوادث الحادثـة فيـه وسـموا قـوله للشـىء كـن خلقـا للمخلوق وإحداثا للمحدث واعلاما للذى يعدم بعد وجوده ومنعوا من وصـف الأعـراض الحادثـة فيـه بأنهـا مخلوقـة او مفعولـة او محدثة.

وزعموا ايضا أنه لا يحدث فى العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فى ذات معبودهم منها ارادة لحدوث ذلـك الحادث ومنها قوله لذلك الحـادث كـن علـى الـوجه الـذى علـم حدوثه عليه وذلك القول فى نفسه حروف كثيرة كل حرف منها عرض حادث فيه ومنها رؤية تحدث فيـه يـرى بهـا ذلـك الحـادث ولو لم يحدث فيه الرؤية لـم يـر ذلـك الحـادث ومنهـا اسـتماعه لذلك الحادث ان كان مسموعا.

وزعموا ايضا أنه لا يعدم من العالم شىء من الاعراض الا بعد حدوث أعراض كثيرة فى معبودهم منها ارادة لعـدمه ومنهـا قوله لما يريد عدمه كن معدوما او افن وهذا القـول فـى نفسـه حروف كـل حـرف منهـا عـرض حـادث فيـه فصـارت الحـوادث الحادثة فـى ذات الالـه عنـدهم أضـعاف أضـعاف الحـوادث مـن اجسام العالم وأعراضها.

واختلفت الكرامية فى جواز العدم فى تلك الحوادث الحادثة فـى ذات الإلـه بزعمهـم فأجـاز بعضـهم عـدمها وأجـاز عـدمها أكثرهم واجمع الفريقان منهـم علـى أن ذات الالـه لا يخلـو فـى المستقبل عن حلول الحـوادث فيـه وان كـان قـد خلا منهـا فـى الأزل وهذا نظير قول اصـحاب الهيـولى إن الهيـولى كـانت فـى الازل جوهرا خاليا من الاعراض ثم حدثت الاعراض فيها وهى لا تخلو منها فى المستقبل.

واختلفت الكرامية فى جواز العـدم علـى أجسـام العـالم فأحـال ذلـك اكـثرهم وضـاهوا بـذلك مـن زعـم مـن الدهريـة والفلاسفة أن الفلك والكواكب طبيعة خامسـة لا تقبـل الفسـاد والفناء.

وكان الناس يتعجبون من قول المعتزلة البصرية إن اللـه تعالى يقدر على افناء الاجسام كلها دفعة واحدة ولا يقـدر علـى

افناء بعضها مع بقاء بعض منها وزال هذا التعجب بقول من زعم من الكرامية انه لا يقدر على إعدام جسم بحال.

وأعجب من هذا كله أن ابن كرام وصف معبوده بالثقل وذلك انه قال فى كتاب عذاب القبر فى تفسير قول الله عز وجل {إذا السماء انفطرت} انها انفطرت من ثقل الرحمن عليها.

ثم إن ابن كرام واكثر أتباعه زعموا ان الله تعالى لم يزل موصوفا باسمائه المشتقة من افعاله عند أهل اللغة مع استحالة وجود الافعال فى الازل فزعموا أنه لم يزل خالقا رازقا منعما من غير وجود خلق ورزق ونعمة منه وزعموا أنه لم يزل خالقا بخالقية فيه ورازقا برازقية فيه وقالوا ان خالقيته قدرته على الخلق ورازقيته قدرته على الرزق والقدرة قديمة والخلق والرزق حادثان فيه بقدرته وق الوا بالخلق يصير المخلوق من العالم مخلوقا وبذلك الرزق الحادث فيه يصير المرزوق مرزوقا.

وأعجب من هذا فرقهم بين المتكلم والقائل وبين الكلام والقول وذلك أنهم قالوا ان الله تعالى لم يزل متكلما قائلا ثم فرقوا بين الاسمين فى المعنى فقالوا انه لم يزل متكلما بكلام هو قدرته على القول ولم يزل قائلا بقائلية لا يقول والقائلية قدرته على القول وقوله حروف حادثة فيه فقول الله تعالى عندهم حادث فيه وكلامه قديم.

قال عبد القاهر ناظرت بعضهم فى هذه المسألة فقلت له اذا زعمت ان الكلام هو القدرة على القول والساكت عندك قادر على القول فى حال سكوته لزمك على هذا القول ان يكون الساكت متكلما فالتزم ذلك.

ومن تدقيق الكرامية فى هذا الباب قولهم انا نقول ان الله تعالى لم يزل خالقا رازقا على الاطلاق ولا نقول بالاضافة ان لم يزل خالقا للمخلوقين ورازقا للمرزوقين وانما نذكر هذه الاضافة عند وجود المخلوقين والمرزوقين.

وقالوا على هذا القياس ان الله تعالى لم يزل معبودا ولم يكن فى الازل معبود العابدين وانما صار معبود العابدين عند وجود العابدين ووجود عبادتهم له.

ثم ان ابن كرام ذكر فى كتابه المعروف بعذاب القبر بابا له ترجمة عجيبة فقال باب فى كيفوفية الله عز وجل ولا يدري العاقل مماذا يتعجب أعن جسارته على اطلاق لفظ الكيفية فى صفات الله تعالى ام من قبح عبارته عن الكيفية بالكيفوفية وله من جنس هذه العبارة أشكال.

منها قوله فى باب الرد على أصحاب الحديث فى الايمان فان قالوا صحوفيتهم الايمان قول وعمل قيل لهم كذا.

وكذا وقد عبر عن مكان معبوده فى بعض كتبه بالحيثوثية وهذه العبارات السخيفة لائقة بمذهبه السخيف.

ثم انه مع أصحابه تكلموا فى مقدورات الله تعالى فزعموا انه لا يقدر الا على الحوادث التي تحدث فى ذاته من ارادته وأقواله وادراكاته وملاقاته لما يلاقيه فاما المخلوقات من اجسام العالم وأعراضها فليس شىء منها مقدورا لله تعالى ولم يكن الله تعالى قادرا على شىء منها مع كونها مخلوقة وانما خلق كل مخلوق من العالم بقوله كن لا بقدرته.

وهذه بدعة لم يسبقوا اليها لان الناس قبلهم اختلفوا فى مقدورات الله تعالى على مذاهب أهل السنة والجماعة كل مخلوق كان مقدورا لله تعالى قبل حدوثه وهو محدث جميع الحوادث بقدرته وزعم معمر أن الاجسام كلها كانت مقدورة له قبل أن خلقها وليست الاعراض مخلوقة له ولا مقدورة له وقال اكثر المعتزلة ان الاجسام والالوان والطعوم والروائح وسائر أجناس الاعراض كانت مقدورة لله تعالى وانما امتنعوا من وصفه بالقدرة على مقدورت غيره وقالت الجهمية الحوادث كلها مقدورة لله تعالى ولا قادر ولا فاعل غيره وما قال أحد قبل الكرامية باختصاص قدرة الاله بحوادث تحدث فى ذاته بزعمهم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

ثم انهم تكلموا فى باب التعديل والتحوير بعجائب.

منها قولهم يجب ان يكون اول شيء خلقه الله تعالى جسما حيا يصح منه الاعتبار وزعموا أنه لو بدأ بخلق الجمادات لم يكن حكيما وزادوا فى هذه البدعة على القدرية فى قولها لا بد من أن يكون فى الخلق من يصح منه الاعتبار وليس بواجب أن يكون اول الخلق حيا يصح منه الاعتبار.

وقد ردوا ببدعتهم هذه الاخبار الصحيحة فى أن أول شىء خلقه تعالى اللوح والقلم ثم أجرى القلم على اللوح بما هو كائن الى يوم القيامة.

وقالوا لو خلق الله تعالى الخلق وكان فى معلومه انه لا يؤمن به احد منهم لكان خلقه إياهم عبثا وانما حسن منه خلق جميعهم لعلمه بأيمان بعضهم.

وقال أهل السنة لو خلق الكفرة دون المؤمنين او خلق المؤمنين دون الكفرة جاز ولم يقدح ذلك فى حكمته.

وزعمت الكرامية أنه لا يجوز فى حكمة الله تعالى احترام الطفل الذى يعلم أنه إن ابقاه الى زمان بلوغه آمن ولا احترام الكافر الذى لو ابقاه الى مدة آمن إلا أن يكون فى احترامه إياه قبل وقت ايمانه صلاح لغيره.

ويلزمهم على هذا القول ان يكون الله تعالى انما احترام إبراهيم بن النبى قبل بلوغه لانه علم انه لو أبقاه لم يؤمن وفى هذا قدح منهم فى كل من مات من ذرارى الانبياء طفلا.

ومن جهالاتهم فى باب النبوة والرسالة قولهم بأن النبوة والرسالة صفتان حالتان فى النبى والرسول سوى الوحى اليه وسوى معجزاته وسوى عصمته عن المعصية وزعموا أن من فعل فيه تلك الصفة وجب على الله تعالى إرساله وفرقوا بين الرسول والمرسل بان الرسول من قامت به تلك الصفة والمرسل هو المأمور باداء الرسالة.

ثم انهم خاضوا فى باب عصمة الانبياء عليهم السلام فقالوا كل ذنب اسقط العدالة أو أوجب حدا منهم معصومون منه غير معصومين مما دون ذلك وقال بعضهم لا يجوز الخطأ عليهم فى التبليغ وأجاز ذلك بعضهم وزعم أن النبى عليه السلام أخطأ فى

تبليغ قوله {ومناة الثالثة الأخرى} حتى قال بعده {تلك الغرانيق العلى [وإن] شفاعتها ترتجى}.
وقال اهل السنة ان تلك الكلمة كانت من تلاوة الشيطان القاها فى خلال تلاوة النبى وقد قال شيخنا ابو الحسن الأشعرى فى بعض كتبه إن الانبياء بعد النبوة معصومون من الكبائر والصغائر.

وزعمت الكرامية ايضا أن النبى اذا ظهرت دعوته فمن سمعها منه او بلغه خبره لزمه تصديقه والاقرار به من غير توقف على معرفة دليله وقد سرقوا هذه البدعة من أباضية الخوارج الذين قالوا ان قول النبى عليه السلام انا نبي فنفسه حجة لا يحتاج معها الى برهان.

وزعمت الكرامية أيضا أن من لم تبلغه دعوة الرسل لزمه أن يعتقد موجبات العقول وأن يعتقد أن الله تعالى أرسل رسلا الى خلقه.

وقد سبقهم اكثر القدرية الى القول بوجوب اعتقاد موجبات العقول ولم يقل احد قبلهم بوجوب اعتقاد وجود الرسل قبل ورود الخبر عنهم بوجودهم.

وزعمت الكرامية ايضا ان الله تعالى لو اقتصر على رسول واحد من أول زمان التكليف الى القيامة وأدام شريعة الرسول الاول لم يكن حكيما.

وقال اهل السنة لو فعل ذلك جاز لما قد جاز منه لامة شريعة خاتم النبيين الى القيامة.

ثم ان ابن كرام خاض فى باب الامامة فأجاز كون امامين فى وقت واحد مع وقوع الجدال وتعاطى القتال ومع الاختلاف فى الاحكام واشار فى بعض كتبه الى أن عليا ومعاوية كانا إمامين فى وقت واحد ووجب على أتباع كل واحد منهما طاعة صاحبه وإن كان احدهما عادلا والآخر باغيا وقال أتباعه إن عليا كان إماما على وفق السنة وكان معاوية إماما على خلاف السنة وكانت طاعة كل واحد منهما واجبة على أتباعه فيا عجبا من طاعة واجبة [على] خلاف السنة.

الفرق بين الفِرق

ثم إن الكرامية خاضوا فى باب الايمان فزعموا انه إقرار فرد على الابتداء وان تكريره لا يكون إيمانا الا من المرتد اذا أقر به بقدرته وزعموا ايضا انه هو الاقرار السابق في الذر الاول فى طلب النبى عليه السلام وهو قولهم بلى وزعموا ان ذلك القول باق ابدا لا يدون الا بالردة وزعموا ايضا ان المقر بالشهادتين مؤمن حقا وان اعتقد الكفر بالرسالة وزعموا ايضا أن المنافقين الذين انزل الله تعالى فى تكفيرهم آيات كثيرة كانوا مؤمنين حقا وأن ايمانهم كان كايمان الانبياء والملائكة وقالوا فى اهل الاهواء من مخالفيهم ومخالفى أهل السنة أن عذابهم فى الآخرة غير مؤبد واهل الاهواء يرون خلود الكرامية فى النار.

ثم ان ابن كرام ابدع فى الفقه حماقات لم يسبق اليها.

منها قوله فى صلاة المسافر ان يكفيه تكبيرتان من غير ركوع ولا سجود ولا قيام ولا قعود ولا تشهد ولا سلام.

ومنها قوله بصحبة الصلاة فى ثوب كله نجس وعلى ارض نجسة ومع نجاسة ظاهر البدن وإنما أوجب الطهارة عن الأحداث دون الانجاس ومنها قوله بأن غسل الميت والصلاة عليه سنتان غير مفروضتين وإنما الواجب كفنه ودفنه.

ومنها قوله بصحة الصلاة المفروضة والصوم المفروض والحج المفروض بلانية وزعم ان نية الاسلام فى الابتداء كافية عن نية كل فريضة من فرائض الاسلام.

وكان فى عصرنا شيخ للكرامية يعرف بابراهيم بن مهاجر اخترع ضلالة لم يسبق اليها فزعم ان اسماء الله عز وجل كلها اعراض فيه وكذلك اسم كل مسمى عرض فيه فزعم ان الله تعالى عرض حال فى جسم قديم والرحمن عرض آخر والرحيم عرض ثالث والخالق عرض رابع وكذلك كل اسم لله تعالى عرض غير الآخر فالله تعالى عنده غير الرحمن والرحمن غير الرحيم والخالق غير الرازق وزعم ايضا ان الزانى عرض فى الجسم الذى يضاف اليه الزنى والسارق عرض في الذى يضاف اليه السرقة وليس الجسم زانيا ولا سارقا فالمجلود والمقطوع

عنده غير الزانى والسارق وزعم ايضا أن الحركة والمتحرك عرضان في الجسم وكذلك السواد والاسود عرضان في الجسم وكذلك العلم والعالم والقدرة والقادر والحى والحياة كل ذلك أعراض غير الاجسام فالعلم عنده لا يقوم بالعالم وانما يقوم بمحل العالم والحركة لا تقوم بالمتحرك وانما تقوم بمحل المتحرك.

قال عبد القاهر ناظرت ابن مهاجر هذا في مجلس ناصر الدولة أبى الحسن محمد بن 4 ابراهيم بن سيمجور صاحب جيش السامانية في سنة سبعين وثلثمائة في هذه المسألة الزمته فيها ان يكون المحدود في الزنى غير الزانى والمقطوع في السرقة غير السارق فالتزم ذلك فالزمته أن يكون معبوده عرضا لان المعبود عنده اسم واسماء الله تعالى عنده أعراض حالة في جسم قديم فقال المعبود عرض في جسم القديم وأنا اعبد الجسم دون العرض فقلت له أنت اذن لا تعبد الله عز وجل لان الله تعالى عندك عرض وقد زعمت أنك تعبد الجسم دن العرض.

وفضائح الكرامية على الاعداد كثيرة الامداد وفيما ذكرنا منها في هذا الفصل كفاية والله اعلم.

{الفصل الثامن}

فى بيان مذاهب المشبهة من أصناف شتى

اعلموا أسعدكم الله ان المشبهة صنفان صنف شبهوا ذات البارى بذات غيره وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى.

والمشبهة الذين ضلوا فى تشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة، وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة.

فمنهم السبابية الذين سموا عليا الها وشبهوه بذات الاله ولما احرق قوما منهم قالوا له الآن علمنا انك اله لان النار لا يعذب بها الا الله.

ومنهم البيانية اتباع بيان بن سمعان الذى زعم أن معبوده انسان من ثور على صورة الانسان فى اعضائه وانـه يفنـى كلـه الا وجهه.

ومنهم المغيرية اتباع المغيرة بن سعيد العجلى الذى زعم ان معبوده ذو اعضاء وأن اعضاءه على صور حروف الهجاء.

ومنهم المنصورية اتباع أبى منصور العجلي الذى شبه نفسه بربه وزعم أنه صعد الى السماء وزعم ايضا أن اللـه مسـح يـده على رأسه وقال له يا نبى بلغ عنى.

ومنهم الخطابية الذين قالوا بالاهية الائمـة وبالاهيـة أبـى الخطاب الاسدى.

ومنهم الذين قالوا بالاهية عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر ومنهم الحلولية الذين قالوا بحلول اللـه فـى أشـخاص الائمة وعبدوا الائمة لاجل ذلك.

ومنهم الحلوليـة الحكمانيـة المنسـوبة الـى أبـى حكمـان الدمشقى الذى زعم أن الاله يحل في كل صـورة حسـنة وكـان يسجد لكل صورة حسنة.

ومنهم المقنعية المبيضة بما وراء نهر جيحون فى دعواهم ان المقنع كان الها وانه مصور فى كل زمان بصورة مخصوصة.

ومنهم العذاقرة الذين قالوا بالاهية ابن أبى العذاقر المقتول ببغداد.

وهذه الاصناف الذين ذكرناهم فى هذا الفصل كلهم خارجون عن دين الاسلام وان انتسبوا فى الظاهر اليه.

وسنذكر تفصيل مقالة كل صنف منهم فى الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب اذا انتهينا اليه ان شاء الله عز وجل.

وبعد هذا فرق من المشبهة عدهم المتكلمون فى فرق الملة لا قرارهم بلزوم أحكام القرآن واقرارهم بوجوب أركان شـريعة الاسلام من الصلاة والزكـاة والصـيام والحـج عليهـم واقرارهـم بتحريم المحرمات عليهم وان ضلوا وكفروا فى بعـض الاصـوال العقلية.

ومن هذا الصنف هشامية منتسبة الى هشـام بـن الحكـم الرافضى الذى شبه معبوده بالانسان وزعم لاجل ذلك أنه سبعة أشبار بشبر نفسه وأنه جسم ذو حد ونهاية وأنـه طويـل عريـض عميق وذو لون وطعم ورائحة وقد روى عنه ان معبوده كسـكيبة الفضة وكاللؤلؤة المستديرة وروى عنه أنـه أشـار الـى أن جبـل ابى قبيس أعظم منه وروى عنه انه زعم ان الشعاع من معبوده متصل بما يراه ومقالته فى هـذا التشـبيه علـى التفصـيل الـذى ذكرناه فى تفصيل أقوال الامامية قبل هذا.

ومنهم الهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقى الذى زعم ان معبوده علـى صـورة الانسـان وان نصـفه الأعلـى مجوف ونصفه الاسفل مصمت وأن له شعرة سوداء وقلبـا تنبـع منه الحكمة.

ومنهم اليونسية المنسوبة الى يونس بن عبد الرحمن القمى الذى زعم ان الله تعالى يحمله حملة عرشه وان كان هـو أقـوى منهم كما ان الكركى تحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه.

ومنهم المشبهة المنسوبة الى داوود الجوارى الذى وصف معبوده بجميع أعضاء الانسان الا الفرج واللحية.

ومنهم الابراهيمية المنسوبة الى ابراهيم بـن أبـى يحيـى الاسلمى وكان من جملة رواة الاخبار غير انه ضل فـى التشـبيه نسب الى الكذب في كثير من رواياته.

ومنهم الحايطية من القدرية وهم منسوبون الى احمد بن حايط وكان مـن المعتزلـة المنتسـبة الـى النظـام ثـم انـه شـبه عيسى بـن مريـم بربـه وزعـم انـه الالـه الثـانى وأنـه هـو الـذى يحاسب الخلق فى القيامة.

ومنهم الكرامية فى دعواها أن الله تعالى جسم له حد ونهاية وأنـه محـل الحـوادث وأنـه ممـاس لعرشـه وقـد بينـا تفصـيل مقالاتهم قبل هذا بما فيه كفاية فهؤلاء مشبهة لله تعالى بخلقـه فى ذاته.

فأما المشبهة لصفاته بصفات المخلوقين فاصناف

منهم الذين شبهوا ارادة الله تعالى بإرادة خلقه وهذا قول المعتزلة البصرية الـذين زعمـوا ان اللـه تعـالى عـز وجـل يريـد مراده بـارادة حادثـة وزعمـوا أن ارادتـه مـن جنـس ارادتنـا ثـم ناقضوا هذه الدعوى بأن قالوا يجوز حدوث إرادة الله عـز وجـل لا فى محل ولا يصـح حـدوث إرادتنـا الا فـى محـل وهـذا ينقـض قولهم إن ارادته من جنس ارادتنا لأن الشيئين اذا كانا متمـاثلين ومن جنس واحد جاز على كل واحد منهما ما يجـوز علـى الآخـر واستحال فى كل واحد منهما ما يستحيل على الآخر.

وزادت الكرامية على المعتزلة البصرية فى تشبيه ارادة الله تعالى بارادات عباده وزعموا ان ارادته مـن جنـس ارادتنـا وانهـا حادثة فيه كما تحـدث ارادتنـا فينـا وزعمـوا لاجـل ذلـك ان اللـه تعالى محل للحوادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ومنهم الذين شبهوا كلام الله عز وجل بكلام خلقه فزعموا ان كلام اللــه تعــالى اصــوات وحــروف مــن جنــس الاصــوال والحروف المنسـوبة الـى العبـاد وقـالوا بحـدوث كلامـه واحـال جمهورهم سوى الجبائي بقاء كلام الله تعالى وقال النظام منهم ليس في نظم كلام الله سبحانه اعجاز كما ليس فـى نظـم كلام العبـاد اعجـاز وزعـم اكـثر المعتزلـة ان الزنـج والـترك والخـزد قادرون على الاتيان بمثل نظم القرآن وبما هو افصح منه وانمـا عـدموا العلـم بتـأليف نظمـه وذلـك العلـم ممـا يصـح ان يكـون مقدورا لهم.

وشاركت الكرامية المعتزلة فى دعواها حدوث قول الله عز وجل مـع فرقهـا بيـن القـول والكلام فـى دعواهـا ان قـول اللـه سبحانه من جنس اصـوات العبـاد وحروفهـم وان كلامـه قـدرته على احداث القول وزادت علـى المعتزلـة قولهـا بحـدوث قـول الله عز وجل فى ذاته بناء على اصلهم فى جواز كون الالـه محلا للحوادث.

ومنهم الزرارية اتباع زرارة بن اعين الرافضى فى دعواها حـدوث جميـع صـفات اللـه عـز وجـل وانهـا مـن جنـس صـفاتنا وزعموا ان الله تعالى لم يكن فى الازل حيا ولا عالمـا ولا قـادرا

ولا مريدا ولا سميعا ولا بصيرا وانما استحق هذه الاوصاف حين احدث لنفسه حياة وقدرة وعلما وارادة وسمعا وبصرا كما ان الواحد منا يصير حيا قادرا سميعا بصيرا مريدا عند حدوث الحياة والقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر فيه.

ومنهم الذين قالوا من الروافض بأن الله تعالى لا يعلم الشىء حتى يكون فاوجبوا حدوث علمه كما يجب حدوث علم العالم منا.

وهذا باب ان اطلناه طال ونشر الاذيال وقد بينا تفصيل اقوال المعتزلة والمشبهة واقوال سائر الاهواء في كتابنا المعروف بكتاب الملل والنحل وفيما ذكرنا منها في هذا الباب كفاية والله اعلم.

{الباب الرابع من ابواب هذا الكتاب}

في بيان الفرق التي انتسبت الى الاسلام وليست منها

الكلام فى هذا الباب يدور على اختلاف المتكلمين فيمن يعد من امة الاسلام وملته وقد ذكرنا قبل هذا ان بعض الناس زعم ان اسم ملة الاسلام واقع على كل مقر بنبوة محمد وان كل ما جاء به حق كائنا قوله بعد ذلك ما كان وهذا اختبار الكعبى فى مقالته وزعمت الكرامية ان اسم امة الاسلام واقع على كل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله سواء أخلص فى ذلك واعتقد خلافه وهذان الفريقان يلزمهما ادخال العيسوية من اليهود والشاذكانية منهم فى ملة الاسلام لانهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله ويزعمون ان محمدا كان مبعوثا الى العرب وقد أقروا بان ما جاء به حق.

وقال بعض فقهاء اهل الحديث اسم امة الاسلام واقع على كل من اعتقد وجوب الصلوات الخمس إلى الكعبة.

وهذا غير صحيح لان اكثر المرتدين الذين ارتدوا باسقاط الزكاة فى عهد الصحابة كانوا يرون وجوب الصلاة الى الكعبة وانما ارتدوا باسقاط وجوب الزكاة وهم المرتدون من بنى كنده وتميم.

فاما المرتدون من بنى حنيفة وبنى اسعد فانهم كفروا من وجهين احـدهما اسـقاط وجـوب الزكـاة والثـانى دعـواهم نبـوة مسيلمة وطليحة واسقط بنو حنيفة وجوب صلاة الصـبح وصـلاة المغرب فازدادوا كفرا على كفر.

والصحيح عندنا ان اسم ملة الاسلام واقع على كل من أقر بحدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وانه عادل حكيـم مـع نفـى التشبيه والتعطيل عنه وأقر مع ذلك بنبوة جميـع انبيـائه وبصـحة نبوة محمد ورسالته الى الكافة وبتأييد شريعته وبأن كل ما جـاء به حق وبـأن القـرآن منبـع احكـام شـريعته وبوجـوب الصـلوات الخمس الى الكعبة وبوجوب الزكاة وصوم رمضان وحـج الـبيت على الجملة فكل من أقر بذلك فهو داخل في اهل ملة الاسـلام وينظر فيه بعد ذلك فان لم يخلط ايمانه ببدعة شنعاء تؤدى الـى الكفر فهو الموحد السنى وان ضم الى ذلك بدعة شنعاء نظر:

فان كان علـى بدعـة الباطنيـة او البيانيـة أو المغيريـة أو المنصورية أو الجناحية أو السبابية أو الخطابية مـن الرافضـة أو كان على دين الحلولية أو على دين اصحاب التناسخ أو على دين الميمونيـة أواليزيديـة مـن الخـوارج أو علـى ديـن الحايطيـة أو الحمارية من القدرية أو كان ممن يحرم شيئا ممـا نـص القـرآن على إباحته باسمه أو أباح ما حرم القرآن باسمه فليس هو مـن جملة امة الاسلام.

وان كانت بدعته من جنس بدع الرافضة الزيدية أو الرافضة الاماميـة أو مـن جنـس بـدع اكـثر الخـوارج او مـن جنـس بـدع المعتزلة أو من جنس بدع النجاريـة أو الجهميـة أو الضـرارية أو المجسـمة مـن الامـة كـان مـن جملـة امـة الاسـلام فـي بعـض الاحكام وهو ان يدفن في مقابر المسـلمين ويـدفع اليـه سـهمه من الغنيمة إن غزا مع المسـلمين ولا يمنـع مـن دخـول مسـاجد المسلمين ومن الصلاة فيها ويخرج في بعض الاحكام عن حكـم امة الاسلام وذلك أنه لا تجوز الصلاة عليه ولا الصلاة على خلفـه ولا تحـل ذبيحتـه ولا تحـل المـرأة منهـم للسـنى ولا يصـح نكـاح السنية من احد منهم.

الفرق بين الفِرق

والفرق المنتسبة الى الاسلام في الظاهر مع خروجها عن جملة الامة عشرون فرقة هذه ترجمتها:
سبابية وبيانية وحربية ومغيرية ومنصورية وجناحية وخطابية وغرابية ومفوضية وحلولية واصحاب التناسخ وحايطية وحمادية ومقنعية ورزامية ويزيدية وميمونية وباطنية وحلاجية وعذاقرية واصحاب اباحة ربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق اصنافا كثيرة نذكرها على التفصيل في فصول مهدية ان شاء الله عز وجل.

{الفصل الاول من فصول هذا الباب}
فى ذكر قول السبئية وبيان خروجها عن ملة الاسلام

السبئية اتباع عبد الله بن سبا الذى غلا في على رضى الله عنه وزعم انه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم انه إله ودعا الى ذلك قوما من غواة الكوفة ورفع خبرهم الى على رضى الله عنه فامر باحراق قوم منهم في حفرتين حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

لترم بى الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بى في الحفرتين

ثم ان عليا رضى الله عنه خاف من احراق الباقين منهم شماتة اهل الشام وخاف اختلاف اصحابه عليه فنفى ابن سبا الى ساباط المدائن فلما قتل على رضى الله عنه زعم ابن سبا ان المقتول لم يكن عليا وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة على وان عليا صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى بن مريم عليه السلام وقال كما كذبت اليهود النصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل على وإنما رأت اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى كذلك القائلون بقتل على رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا انه على على قد صعد الى السماء وانه سينزل الى الدنيا وينتقم من أعدائه.

وزعم بعض السبابية أن عليا في السحاب وان الرعد صوته والبرق صوته ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال عليك السلام يا أمير المؤمنين.

وقد روى عن عامر بن شراحبيل الشعبى ان ابن سبا قيل له ان عليا قد قتل فقال إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الارض بحذافيرها.

وهذه الطائفة تزعم ان المهدى المنتظر إنما هو على دون غيره وفي هذه الطائفة قال اسحاق بن سويد العدوى قصيدته برىء فيها من الخوارج والروافض والقدرية منها هذه الابيات:

برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى واعلم ان ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا به أرجو غدا حسن الثواب

وقد ذكر الشعبى ان عبد الله بن السوداء كان يعين السبابية على قولها وكان ابن السوداء فى الاصل يهوديا من اهل الحيرة فاظهر الاسلام واراد ان يكون له عند اهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم انه وجد في التوراة ان لكل نبى وصيا وان عليا وصي محمد وانه خير الاوصياء كما ان محمدا خير الانبياء فلما سمع ذلك منه شيعه على قالوا لعلى انه من محبيك فرفع على قدره واجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه عنه غلوه فيه فهم بقتله فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال له ان قتلته اختلف عليك اصحابك وانت عازم على العود الى قتال اهل الشام وتحتاج الى مداراة اصحابك فلما خشى من قتله ومن قتل ابن سبا الفتنة التى خافها ابن عباس نفاهما الى المدائن فافتتن بهما الرعاع بعد قتل على رضى الله عنه وقال لهم ابن السوداء والله لينبعن لعلى في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلا والاخرى سمنا ويغترف منهما شيعته.

وقال المحققون من أهل السنة ان ابن السوداء كان على هوى دين اليهود واراد ان يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في على واولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في

عيسى عليه السلام فانتسب الى الرافضة السبابية حين وجدهم أعرف أهل الاهواء في الكفر ودلس ضلالته في تأويلاته.

قال عبد القاهر كيف يكون من فرق الاسلام قوم يزعمون أن عليا كان آلها او نبيا ولئن جاز ادخال هؤلاء فى جملة فرق الاسلام جاز ادخال الذين ادعوا نبوة مسيلمة الكذاب فى فرق الاسلام قلنا للسبابية ان كان مقتول عبد الرحمن بن ملجم شيطانا تصور للناس في صورة على فلم لعنتم ابن ملجم وهلا مدحتموه فإن قاتل الشيطان محمود على فعله غير مذموم به وقلنا لهم كيف يصح دعواكم ان الرعد صوت على والبرق صوته وقد كان صوت الرعد مسموعا والبرق محسوسا في زمن الفلاسفة قبل زمان الاسلام ولهذا ذكروا الرعد والبرق في كتبهم واختلفوا في علتهما ويقال لابن السوداء ليس على عندك وعند الذين تميل اليهم من اليهود اعظم رتبة من موسى وهارون ويوشع بن نون وقد صح موت هؤلاء الثلاثة ولم ينبع لهم من الارض عسل ولا سمن بحال نبوع الماء العذب من الحجر الصلد لموسى وقومه في التيه فما الذى عصم عليا من الموت وقد مات ابنه الحسين واصحابه بكر بلاء عطشا ولم ينبع لهم ماء فضلا عن عسل وسمن

{الفصل الثانى من فصول هذا الباب}

في ذكر البيانية من الغلاة وبيان خروجها عن فرق الاسلام

هؤلاء اتباع بيان بن سمعان التميمى وهم الذين زعموا ان الامامة صارت من محمد بن الحنفية الى ابنه ابى هاشم عبد الله ابن محمد ثم صارت من ابى هاشم الى بيان بن سمعان بوصيته اليه

واختلف هؤلاء في بيان زعيمهم.

فمنهم من زعم انه كان نبيا وانه نسخ بعض شريعة محمد ومنهم من زعم انه كان إلها وذكر هؤلاء ان بيانا قال لهم ان روح الإله تناسخت فى الانبياء والائمة حتى صارت الى ابى هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية ثم انتقلت اليه منه يعنى

نفسه فادعى لنفسه الربوبية على مذهب الحلولية وزعم ايضا انه هو المذكور فى القرآن فى قوله {هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين} وقال انا البيان وانا الهدى والموعظة.

وكان يزعم أنه يعرف الاسم الاعظم وانه يهزم به العساكر وانه يدعو به الزهرة فتجيبه.

ثم انه زعم ان الاله الازلى رجل من نور وانه يفنى كله غير وجهه وتأول على زعم قوله {كل شىء هالك الا وجهه} وقوله {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك}.

ورفع خبر بيان هذا الى خالد بن عبد الله القشري فى زمان ولايته فى العراق فاحتال على بيان حتى ظفر به وصلبه وقال له ان كنت تهزم الجيوش بالاسم الذى تعرفه فاهزم به اعوانى عنك.

وهذه الفرقة خارجة عن جميع فرق الاسلام لدعواها الاهية زعيمها بيان كما خرج عابدو الاصنام عن فرق الاسلام ومن زعم منهم ان بيانا كان نبيا فهو كمن زعم ان مسيلمة كان نبيا وكلا الفريقين خارجان عن فرق الاسلام ويقال للبيانية اذا جاز فناء بعض الاله فما المانع من فناء وجهه فاما قوله {كل شىء هالك الا وجهه} فمعناه راجع الى بطلان كل عمل لم يقصد به وجه الله عز وجل وقوله {ويبقى} معناه ويبقى ربك لانه قال بعده {ذو الجلال والاكرام} بالرفع على البدل من الوجه ولو كان الوجه مضافا الى الرب لقال ذى الجلال بخفض ذى لان نعت المخفوض يكون مخفوضا وهذا واضح فى نفسه والحمد لله.

{الفصل الثالث}:
فى ذكر المغيرية من الغلاة وبيان خروجها عن جملة فرق الاسلام

هؤلاء اتباع المغيرة بن سعيد العجلى وكان يظهر في بدء امره مولاة الامامية ويزعم ان الامامة بعد على والحسن والحسين الى سبطه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن على وزعم انه هو المهدى المنتظر واستدل على

ذلك بالخبر الذى ذكر ان اسم المهدى يوافق اسم النبى واسم ابيه يوافق اسم ابن النبى عليه السلام وقتله الرافضة على دعوته اياهم الى انتظار محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن ابن على.

ثم انه أظهر لهم بعد رياسته عليهم انواعا من الكفر الصريح.

منها دعواه النبوة ودعواه علمه بالاسم الاعظم وزعم انه يحيى به الموتى ويهزم به الجيوش.

ومنها افراطه فى التشبيه وذلك انه زعم ان معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله اعضاء وقلب ينبع منه الحكمة.

وزعم ايضا ان اعضاءه على صور حروف الهجاء وان الالف منها مثال قدميه والعين على صورة عينه وشبه الهاء بالفرج.

ومنها انه تكلم في بدء الخلق فزعم ان الله تعالى لما اراد ان يخلق العالم تكلم باسمه الاعظم فطار ذلك الاسم ووقع تاجا على رأسه وتأول على ذلك قوله {سبح اسم ربك الاعلى} وزعم ان الاسم الاعلى انما هو ذلك التاج ثم انه بعد وقوع التاج على رأسه كتب باصبعه على كفه اعمال عباده ثم نظر فيها فغضب من معاصيهم فعرق فاجتمع من عرقه بحران احدهما مظلم مالح والآخر عذب نير ثم اطلع في البحر فابصر ظله فذهب ليأخذه فطار فانتزع عينى ظله فخلق منهما الشمس والقمر وافنى باقى ظله وقال لا ينبغى ان يكون معى إله غيرى ثم خلق الخلق من البحرين فخلق الشيعة من البحر العذب النير فهم المؤمنون وخلق الكفرة وهم اعداء الشيعة من البحر المظلم المالح.

وزعم ايضا ان الله تعالى خلق الناس قبل اجسادهم فكان اول ما خلق فيها ظل محمد قال فذلك قوله {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين} قال ثم ارسل ظل محمد الى أظلال الناس ثم عرض على السماوات والجبال ان يمنعن على بن ابى طالب من ظالميه فأبين ذلك فعرض ذلك على الناس فامر عمر ابا بكر ان يتحمل نصره على ومنعه من اعدائه وان

يغدر به فى الدنيا وضمن له ان يعينه على القدرية على شرط ان يجعل له الخلافة بعده ففعل ابو بكر ذلك قال فذلك تأويل قوله {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا}. فزعم ان الظلوم الجهول ابو بكر وتأول فى عمر قول الله تعالى {كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك} والشيطان عنده عمر.

وكان المغيرة مع ضلالاته التى حكيناها عنه يأمر أصحابه بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على وسمع خالد بن عبد الله القشرى يخبره وضلالاته فطلبه.

[فلما قتل المغيرة بقى اتباعه على انتظار محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن فلما اظهر محمد هذا دعوته بالمدينة بعث اليها ابو جعفر المنصور بصاحب جيشه عيسى بن موسى مع جيش كثيف فقتلوا محمدا بعد غلبته على مكة والمدينة وكان اخوه ابراهيم بن عبد الله قد غلب على ارض المغرب فاما محمد بن عبد الله بن الحسن فقتل بالمدينة فى الحرب واما ابراهيم بن عبد الله يسير الرحال واتباعه من المعتزلة وضمنوا له النصرة على جند المنصور فلما التقى الجمعان بناحمرى وهي على ستة عشر فرسخا من الكوفة قتل ابراهيم وانهزمت المعتزلة عنه ولحقه شؤمهم وتولى قتالهم من اصحاب المنصور عيسى بن موسى وسلم ابن قتيبة واما أخوه الرئيس فانه مات بارض المغرب وقيل انه سم وذكر بعض اصحاب التواريخ ان سليمان بن جرير الزيدي سمه ثم هرب الى العراق فلما قتل محمد ابن عبد الله بن الحسين بن الحسن اختلف المغيرية فى المغيرة فهربت منه فرقة منهم ولعنوه وقالوا انه كذب فى دعواه ان محمد بن عبد الله بن الحسن هو المهدى الذى يملك الارض لانه قتل ولم يملك الارض ولا عشرها وفرقة ثبتت على موالاة المغيرة وقالت ان صدق فى ان محمد بن عبد الله بن الحسن هو المهدى المنتظر وانه لم يقتل بل هو فى جبل من جبال حاجز مقيم الى ان يؤمر

بالخروج فاذا خرج عقدت له البيعة بمكة بين الركن والمقام ويحيى له سبعة عشر رجلا يعطى كل رجل منهم حرفا واحدا من حروف الاسم الاعظم فيهزمون الجيوش ويملكون الارض وزعم هؤلاء ان الذى قتله جند] المنصور بالمدينة انما كان شيطانا تمثل للناس بصورة محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن وهؤلاء يقال لهم المحمدية من الرافضة لانتظارهم محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن.

وكان جابر الجعفي على هذا المذهب وادعى وصية المغيرة بن سعيد اليه بذلك فلما مات جابر ادعى بكر الاعور الهجرى القتات وصية جابر اليه وزعم انه لا يموت واكل بذلك اموال المغيرية على وجه السخرية منهم فلما مات بكر علموا انه كان كاذبا في دعواه فلعنوه.

قال عبد القاهر كيف يعد في فرق الاسلام قوم شبهوا معبودهم بحروف الهجاء وادعوا نبوة زعيمهم لو كان هؤلاء من الامة لصح قول من يزعم ان القائلين بنبوة مسيلمة وطلحة كانوا من الامة.

ويقال للمغيرية ان انكرتم قتل محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على وزعمتم ان المقتول كان شيطانا تصور فى صورته فبم تنفصلون ممن يزعم ان الحسين بن على واصحابه لم يقتلوا بكر بلاء بل غابوا وقتل شياطين تصوروا بصورتهم فانتظروا حسينا فانه اعلى رتبة من ابن اخيه محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن وانتظروا عليا ولا تصدقوا بقتله كما انتظرته السبابية فان عليا اجل من بنيه وهذا مالا انفصال لهم عنه.

{الفصل الرابع من هذا الباب}

فى ذكر الحربية وبيان خروجهم عن فرق الامة

هؤلاء اتباع عبد الله بن عمر بن حرب الكندى وكان على دين البيانية في دعواها ان روح الاله تناسخت فى الانبياء والائمة الى ان انتهت الى ابى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ثم

زعمت الحربية ان تلك الروح انتقلت من عبد الله بن محمد بـن الحنفية الى عبد الله بن عمرو بـن حـرب وادعـت الحربيـه فـي زعيمها عبد الله بن عمرو بن حرب مثل دعوى البيانية فى بيـان بـن سـمعان وكلتـا الفرقـتين كـافرة بربهـا وليسـت مـن فـرق الاسلام كما ان سائر الحلولية خارجة عن فرق الاسلام.

{الفصل الخامس من هذا الباب}

فى ذكر المنصورية وبيان خروجها عن جملة فرق الاسلام

هؤلاء اتباع أبى منصور العجلى الذى زعم ان الامامة دارت فى اولاد على حتى انتهت الى ابى جعفر بن محمد بن علـى بـن الحسين ابن علـى المعـروف بالبـاقر وادعـى هـذا العجلـى انـه خليفة الباقر ثم الحد فى دعواه فزعم انه عرج بـه الـى السـماء وان الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له يا بنى بلغ عنى ثم انزلـه الـى الارض وزعـم انـه الكسـف السـاقط مـن السـماء المذكور فى قوله {وإن يروا كسفا من السـماء سـاقطا يقولـوا سحاب مركوم}.

وكفرت هذه الطائفة بالقيامة والجنة والنار وتأولوا الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس فى الدنيا واستحلوا مـع هذه الضلالة خنق مخالفيهم.

واستمرت فتنتهم على عادتهم الى ان وقف يوسف ابن عمر الثقفى وأتى العراق فى زمانه على عورات المنصورية فاخذ ابا منصور العجلى وصلبه.

وهذه الفرقة ايضا غير معدودة في فرق الاسلام لكفرهـا بالقيامة والجنة والنار.

{الفصل السادس من هذا الباب}

فى ذكر الجناحية من الغلاة وبيان خروجها عن فرق الاسلام

هؤلاء اتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وكان سـبب اتبـاعهم لـه ان المغيريـة الـذين تـبرءوا مـن المغيرة بن سعيد بعد قتل محمد بن عبـد اللـه بـن الحسـين بـن

الحسن بن على خرجوا من الكوفة الى المدينـة يطلبـون امامـا فلقيهم عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر فـدعاهم الـى نفسه وزعم انه هو الامام بعد علـى واولاده مـن صـلبه فبـايعوه على امامته ورجعوا الى الكوفة وحكوا لاتباعهم ان عبد الله بـن معاوية بن عبد الله بن جعفر زعم انـه رب وان روح الالـه كـانت فى آدم ثم في شيث ثم دارت للناس بتلك الصورة وزعموا ايضا ان كل مؤمن يوحى اليه وتأولوا على ذلك قول الله تعالى {ومـا كان لنفس ان تموت الا باذن الله} اي بوحى منه اليه واسـتدلوا ايضا بقوله {وإذ أوحيت الى الحـواريين} وادعـوا فـي انفسـهم انهم هم الحواريون وذكروا قول الله تعالى وأوحى ربـك الـى النحل.

وقالوا اذا جاز الوحى الى النحل فالوحى الينا اولى بالجواز وزعمـوا ايضـا ان فيهـم مـن هـو افضـل مـن جبريـل وميكائيـل ومحمد وزعموا ايضا انهـم لا يموتـون وان الواحـد منهـم اذا بلـغ النهايـة فـي دينـه رفـع الـى الملكـوت وزعمـوا انهـم يـرون المرفوعين منهم غدوة وعشـية والفرقـة الثالثـة منهـم عجريـة اتباع عمير بن بيان العجلى قالوا بتكذيب الذين قالوا منهم انهـم لا يموتون وقالوا انا نموت ولكـن لا يـزال خلـف منـا فـي الارض ائمة انبياء وعبدوا جعفرا وسموه ربا

والفرقة الرابعة منهم مفضلية لانتسابهم الى رجل كان يقال له مفضل الصيرفى قالوا بالاهية جعفر دون نبـوته وتـبرءوا مـن ابى الخطاب لبراءة جعفر منه

والفرقة الخامسة منهم خطابية مطلقة ثبتت على موالاة أبى الخطاب في دعاويه كلها وانكرت امامة من بعده قـال عبـد القاهر ان الباضية والمنصورية والجناحية والخطابية قـد اكفـروا أبا بكر وعمر وعثمان واكثر الصحابة باخراجهم عليا من الامامـة في عصرهم وهم قد أخرجوا الامامة عن اولاد على فـي اعصـار زعمائهم فيقال لهم اذا كان على ف ي وقتـه اولـى بالامامـة مـن سـائر الصـحابة فهلا كـان اولاده اولـى بهـا مـن زعمـائهم فـي

اعصارهم وليس العجب من هؤلاء الضالين وانا العجب من علوية قتلوا هؤلاء مع استبدادهم دونهم بالامامة.

{الفصل السابع من هذا الباب}
في ذكر الغرابية والمفوضية والذمية وبيان خروجهم عن فرق الامة

الغرابية قوم زعموا ان الله عز وجل ارسل جبريل عليه السلام الى على فغلط فى طريقه فذهب الى محمد لانه كان يشبهه وقالوا كان اشبه به من الغراب بالغراب والذباب بالذباب وزعموا ان عليا كان الرسول واولاده بعده هم الرسل وهذه الفرقة تقول لاتباعها العنوا صاحب الريش يعنون جبريل عليه السلام وكفر هذه الفرقة اكثر من كفر اليهود الذين قالوا لرسول الله من يأتيك بالوحى من الله تعالى فقال جبريل فقالوا انا لا نحب جبريل لانه ينزل بالعذاب وقالوا لو اتاك بالوحى ميخائيل الذى لا ينزل الا بالرحمة لآمنا بك فاليهود مع كفرهم بالنبى ومع عداوتهم لجبريل عليه السلام لا يلعنون جبريل وانما يزعمون انه من ملائكة العذاب دون الرحمة والغرابية من الرافضة يلعنون جبريل ومحمدا عليهما السلام وقد قال الله تعالى {من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين}. فى هذا تحقيق اسم الكافر لمبغض بعض الملائكة ولا يجوز ادخال من سماهم الله كافرين فى جملة فرق المسلمين.

واما المفوضة من الرافضة فقوم زعموا ان الله تعالى خلق محمدا ثم فوض اليه تدبير العالم وتدبيره فهو الذى خلق العالم دون الله تعالى ثم فوض محمد تدبير العالم الى على بن ابى طالب فهو المدبر الثالث.

وهذه الفرقة شر من المجوس الذين زعموا ان الاله خلق الشيطان ثم ان الشيطان خلق الشرور وشر من النصارى الذين سموا عيسى عليه السلام مدبرا ثانيا فمن عد مفوضة

الفرق بين الفِرق

الرافضة من فرق الاسلام فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الاسلام.

واما الذمية منهم فقوم زعموا ان عليا هو الله وشتموا محمدا وزعموا ان عليا بعثه ليثنى عنه فادعى الامر لنفسه وهذه خارجة عن فرق الاسلام لكفرها بنبوة محمد من الله تعالى.

{الفصل الثامن من هذا الباب}

في ذكر الشريعية والنميرية من الرافضة

الشريعية اتباع رجل كان يعرف بالشريعي وهو الذى زعم ان الله تعالى حل في خمسة اشخاص وهم النبى وعلى وفاطمة والحسن والحسين وزعموا ان هؤلاء الخمسة آلهة ولها اضداد خمسة واختلفوا في اضدادها فمنهم من زعم انها محمودة لانه لا يعرف فضل الاشخاص التى فيها الاله الا باضدادها ومنهم من زعم ان الاضداد مذمومة وحكى عن الشريعى انه ادعى يوما ان الاله حل فيه.

وكان بعده من اتباعه رجل يعرف بالنميرى حكى عنه انه ادعى في نفسه ان الله تعالى حل فيه

فهذه ثمانى فرق من الروافض الغلاة خارجة عن جميع فرق الاسلام لاثباتهم الى غير الله

ومن اعجب الاشياء ان الخطابية زعمت ان جعفر الصادق قد اودعهم جلدا فيه علم كل ما يحتاجون اليه من الغيب وسموا ذلك الجلد جعفرا وزعموا انه لا يقرأ ما فيه الا من كان منهم وقد ذكر ذلك هارون بن سعد العجلي في شعره فقال:

ألم تر ان الرافضين تفرقوا فكلهم من جعفر قال منكرا

فطائفة قالوا إله ومنهم طوائف سمته النبى المطهرا

ومن عجب لم اقضه جلد جعفر برئت الى الرحمن ممن يجفعرا

برئت الى الرحمن من كل رافض يصير بباب الكفر في الدين اعورا

الفرق بين الفِرق

اذا كف اهل الحق عن بدعة مضـوا عليهـا وان يمضـوا الـى الحق قصرا
ولو قيـل ان الفيـل ضـب لصـدقوا ولـو قيـل زنجـى تحـول احمرا
واخلف من يوم البعير فانه اذا هو للاقبال وجه ادبرا
فقبح اقوام رموه بعزبـة كمـا قـال فـى عيسـى القـرا مـن تنصرا

{الفصل التاسع من هذا الباب}

في ذكر اصناف الحلولية وبيان خروجها عن فرق الاسلام

الحلولية في الجملة عشر فرق كلها كانت في دولة الاسلام وغرض جميعها القصد الى افساد القول بتوحيـد الصـانع وتفضيل فرقها فـي الاكـثر يرجـع الـى غلاة الروافـض وذلـك ان السبابية والبيانية والجناحية والخطابية والنميرية منهـم باجمعهـا حلولية وظهر بعدهم المقنعية بما وراء نهر جيحـون وظهـر قـوم بمرق يقال لهم رزامية وقوم يقال لهـم بركوكيـة وظهـر بعـدهم قوم من الحلولية يقـال لهـم حلمانيـة وقـوم يقـال لهـم حلاجيـه ينسبون الى الحسين بن منصور المعروف بـالحلاج وقـوم يقـال لهـم العـذاقرة ينسـبون الـى ابـن ابـى العـذاقرى وتبـع هـؤلاء الحلولية قوم من الخرمية شـاركوهم فـي اسـتباحة المحرمـات واسقاط المفروضات ونحن نذكر تفصيلهم على الاختصار.

اما السبابية فانما دخلت في جملة الحلولية لقولها بان عليا صار الها بحلول روح الاله فيه.

وكذلك البيانية زعمت ان روح الاله دارت فى الانبياء والائمة حتى انتهت الى على ثم دارت الى محمد بن الحنفية ثم صـارت الى ابنه أبى هاشم ثم حلت بعده فى بيـان بـن سـمعان وادعـوا بذلك إلاهية بيان بن سمعان.

وكذلك الجناحية منهم حلولية لدعواها ان روح الاله دارت فى على واولاده ثم صارت الى عبد الله بن معاوية بن عبد اللـه

بن جعفر فكفرت بدعواها حلول روح الاله فى زعيمهـا وكفـرت مع ذلك بالقيامة والجنة والنار.

والخطابية كلها حلولية لدعواها حلول روح الاله فى جعفر الصادق وبعده فى أبى الخطاب الاسدى فهـذه الطائفـة كـافرة من هذه الجهة ومن جهة دعواها ان الحسن والحسين واولادهما ابناء الله واحباؤه ومن ادعى منهم فى نفسه انه مـن ابنـاء اللـه فهو اكفر من سائر الخطابية.

والشريعية والنميرية منهم حلولية لـدعواها ان روح الالـه حلـت فـى خمـس اشـخاص النـبي وعلـى وفاطمـة والحسـن والحسين لدعواها ان هؤلاء الاشخاص الخمسة آلهة.

واما الرزامية فقوم بمرو افرطوا فى موالاة ابـى مسـلم صاحب دولة بنى العباس وساقوا الامامة من أبى هاشم اليه ثـم ساقوها من محمد ابن على الى أخيه عبد الله بن علـى السـفاح ثم زعموا ان الامامة بعد السفاح صارت الى أبى مسلم واقــروا مع ذلك بقتل ابـى مسـلم ومـوته الافرقـة منهـم يقـال لهـم ابـو مسلمية افرطوا فى ابى مسلم غاية الافراط وزعمـوا انـه صـار الها بحلول روح الاله فيه وزعموا ان ابا مسلم خيـر مـن جبريـل وميكائيل وسائر الملائكة وزعمـوا ايضـا ان أبـا مسـلم حـي لـم يمت وهم على انتظاره وهؤلاء بمرو وهرات يعرفون بالبركوكية فاذا سئل هؤلاء عن الذى قتله المنصور قالوا كان شيطانا تصور للناس فى صورة أبى مسلم.

واما المقنعية فهم المبيضة بماء وراء نهـر جيحـون وكـان زعيمهم المعروف بـالمقنع رجلا اعـور فصـاروا بمـرو مـن أهـل قريـة يقـال لهـم كـازه كيمـن دات وكـان قـد عـرف شـيئا مـن الهندسة والحيل والنيرنجات وكان على دين الرزاميـة بمـرو ثـم ادعى لنفسه الإلهية واحتجب عن الناس ببرقع من حريـر واغـتر بـه أهـل جبـل ابلاق وقـوم مـن الصـعد ودامـت فتنتـه علـى المسلمين مقدار اربع عشرة سنة وعاونه كفرة الاتراك الخلجية على المسلمين للغارة عليهم وهزموا عساكر كثيرة من عساكر المسلمين فى ايام المهدى بن المنصور وكـان المقنـع قـد ابـاح

لاتباعه المحرمات وحرم عليهم القول بـالتحريم واسـقط عنهـم الصلاة والصيام وسائر العبادات وزعم لاتباعه انه هو الالـه وانـه كان قد تصـور مـرة فـي صـورة آدم ثـم تصـور فـى وقـت آخـر بصورة نوح وفى وقت آخر بصورة ابراهيـم ثـم تـردد فـى صـور الانبياء الى محمد ثم تصور بعـده فـى صـورة علـى وانتقـل بعـد ذلك فى صور اولاده ثم تصور بعد ذلك فى صورة أبى مسلم ثم انه زعم أنه فى زمانه الذى كان فيه قد تصور بصورة هشام بـن حكيم وكان اسمه هاشم بـن حكيـم وقـال انـى انمـا انتقـل فـى الصور لان عبادى لا يطيقون رؤيتى فى صورتى الـتى انـا عليهـا ومن رآنى احترق بنورى وكان له حصن عظيم وثيق بناحية كـثير ويحشب فى جبل يقال له سيام وكان عرض جدار سـورها اكـثر من مائة آجرة دونها خندق 100 كثيرة وكـان معـه أهـل الصـعد والاتراك الخلجية وجهز المهدى اليهـم صـاحب جيشـه معـاذ بـن مسلم فى سبعين الف من المقاتلة واتبعهـم لسـعيد بـن عمـرو الحرش ثم افرد سـعيدا بالقتـال وبتـدبير الحـرب فقـاتله سـنين واتخذ سـعيد مـن الحديـد والخشـب مـائتى سـلم ليضـعها علـى عرض خندق المقنع ليعبر عليهـا رجـاله واسـتدعى مـن مولتـان الهند عشرة آلاف جلد جاموس وحشاها رملا وكبـس بهـا خنـدق المقنع وقاتل جند المقنع من وراء خنـدقه فاسـتأمن منهـم اليـه ثلاثون الفا وقتل الباقون منهم واحـرق المقنـع نفسـه فـى تنـور فى حصنه قد اذاب فيه النحاس مع السكر حتى ذاب فيه وافتتن به اصحابه بعد ذلك لما لم يجدوا له جثـة ولا رمـادا وزعمـوا انـه صعد الى السماء واتباعه اليوم فى جبال ابلاق اكره اهلها ولهـم فى كل قرية من قراهـم مسـجد لا يصـلون فيـه ولكـن يكـترون مؤذنا يؤذن فيه وهم يستحلون الميتة والخنزير وكل واحد منهـم يستمتع بامرأة غيره وان ظفروا بمسلم لـم يـره المـؤذن الـذى فـى مسـجدهم قتلـوه واخفـوه غيـر انهـم مقهـورون بعامـة المسلمين فى ناحيتهم والحمد لله على ذلك.

الفرق بين الفِرق

واما الحلمانية من الحلولية فهم المنسوبون الى ابى حلمان الدمشقى وكان اصله من فارس ومنشؤه حلب واظهر بدعته بدمشق فنسب لذلك اليها وكان كفره من وجهين:

احدهما انه كان يقول بحلول الاله فى الاشخاص الحسنة وكان مع اصحابه اذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها يوهمون ان الاله قد حل فيها.

والوجه الثانى من كفره قوله بالاباحة ودعواه ان من عرف الاله على الوصف الذى يعتقده هو زال عنه الخطر والتحريم واستباح كل ما يستلذه ويشتهيه.

قال عبد القاهر رأيت بعض هؤلاء الحلمانية يستدل على جواز حلول الاله فى الاجساد بقول الله تعالى للملائكة فى آدم {فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين} وكان يزعم ان الاله انما أمر الملائكة بالسجود لآدم لانه كان قد حل فى آدم وانما حله لانه خلقه فى احسن تقويم ولهذا قال {ولقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم} فقلت له اخبرنى عن الآية التى استدللت بها فى امر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام والآية الناطقة بان الانسان مخلوق فى احسن تقويم هل اريد بهما جميع الناس على العموم ام اريد بهما انسان بعينه فقال ما الذى يلزمنى على كل واحد من القولين ان قلت به فقلت ان قلت ان المراد بهما كل الناس على العموم لزمك ان تسجد لكل انسان وان كان قبيح الصورة لدعواك ان الاله حل فى جميع الناس وان قلت ان المراد به انسان بعينه وهو آدم عليه السلام دون غيره فلم تسجد لغيره من اصحاب الصور الحسنة ولم تسجد للفرس الرابع والشجرة المثمرة وذوات الصور الحسنة من الطيور والبهائم وربما كان لهب الناس فى صورة فان استجزت السجود له فقد جمعت بين ضلالة الحلولية وضلالة عابدى النار واذا لم تسجد للنار ولا للماء ولا للهواء ولا للسماء مع حسن صور هذه الاشياء فى بعض الاحوال فلا تسجد للاشخاص الحسنة الصور.

وقلت له ايضا ان الصور الحسنة في العالم كثيرة وليس بعضها بحلول الاله فيه اولى من بعض وان زعمت ان الاله حال فى جميع الصور الحسنة فهل ذلك الحلول على طريق قيام العرض بالجسم او على طريق كون الجسم فى الجسم به ويستحيل حلول عرض واحد فى محال كثيرة ويستحيل كون شىء واحد فى امكنة كثيرة واذا استحال هذا استحال ما يؤدى اليه.

واما الحلاجية فمنسوبون الى أبى المغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج وكان من ارض فارس من مدينة يقال لها البيضاء وكان فى بدء امره مشغولا بكلام الصوفية وكانت عباراته حينئذ من الجنس الذى تسميه الصوفية الشطح وهو الذى يحتمل معنيين احدهما حسن محمود والآخر قبح مذموم وكان يدعى انواع العلوم على الخصوص والعموم وافتتن به قوم من اهل بغداد وقوم من اهل طالقان خراسان.

وقد اختلف فيه المتكلمون والفقهاء والصوفية فاما المتكلمون فاكثرهم على تكفيره وعلى انه كان على مذاهب الحلولية وقبله قوم من متكلمى السالمية بالبصرة ولسبوه الى حقائق معانى الصوفية وكان القاضى ابو بكر محمد بن الطيب الاشعرى رحمه الله نسبه الى معاطاة الحيل والمخاريق وذكر فى كتابه الذى أبان فيه عجز المعتزلة عن تصحيح دلائل النبوة على اصولهم مخاريق الحلاج ووجوه حيله.

واختلف الفقهاء أيضا فى شأن الحلاج فتوقف فيه ابو العباس بن سريج لما استفتى فى دمه وافتى ابو بكر بن داود بجواز قتله.

واختلف فيه مشايخ الصوفية فبرىء منه عمرو بن عثمان المكى وأبو يعقوب الاقطع وجماعة منهم وقال عمرو بن عثمان كنت اماشيه يوما فقرأت شيئا من القرآن فقال يمكننى ان اقول مثل هذا وروى ان الحلاج مر يوما على الجنيد فقال له انا الحق فقال الجنيد أنت بالحق اية خشبة تقسد فتحقق فيه ما قال الجنيد لانه صلب بعد ذلك وقبله جماعة من الصوفية منهم

الفرق بين الفِرق

أبوالعباس بن عطا ببغداد وأبو عبد الله بن خفيف بفارس وأبو القاسم النصرابادى بنيسابور وفارس الدينورى بناحيته.

والذين نسبوه الى الكفر والى دين الحلولية حكوا عليه انه قال من هذب نفسه فى الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى الى مقام المقربين ثم لا يزال يصفو ويرتقى فى درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية فاذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الاله الذى حل فى عيسى بن مريم ولم يرد حينئذ شيئا الا كان كما اراد وكان جميع فعله فعل الله تعالى.

وزعموا ان الحلاج ادعى لنفسه هذه الرتبة.

وذكر انه ظفروا بكتب له الى اتباع عنوانها من الهو هورب الارباب المتصور فى كل صورة الى عبده فلان فظفروا بكتب اتباعه اليه وفيها {يا ذات اللذات ومنتهى غاية الشهوات تشهد انك المتصور فى كل زمان بصورة وفى زماننا هذا بصورة الحسين بن منصور ونحن نستجير لك ونرجو رحمتك يا علام الغيوب}.

وذكروا انه استمال ببغداد جماعة من حاشية الخليفة ومن حرمه حتى خاف الخليفة وهو جعفر المقتدر بالله معرة فتنته فحبسه واستفتى الفقهاء فى دمه واستروح الى فتوى أبى بكر ابن داود بآباحة دمه فقدم الى حامد بن العباس بضربه الف صوت وبقطع يديه ورجليه وصلبه بعد ذلك عند جسر بغداد ففعل به ذلك يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلثمائة ثم انزل من جذعه الذى صلب عليه بعد ثلاث واحرق وطرح رماده فى الدجلة.

وزعم بعض المنسوبين اليه انه حي لم يقتل وانما قتل من ألقى عليه شبهه.

والذين تولوه من الصوفية وزعموا انه كشف له احوال من الكرامة فاظهرها للناس فعوقب بتسليط منكرى الكرامات عليه لتبقى حاله على التلبيس.

وزعم هؤلاء ان حقيقة التصوف حال ظاهرها تلبيس وباطنها تقديس واستدلوا على تقديس باطن الحلاج بما روى انه قال

عند قطع يديه ورجليه حسب الواحد افراد الواحد وبأنه سئل يوما عن ذنبه فانشأ يقول:

ثلاثة احرف لا عجم فيها ومعجومان وانقطع الكلام

وأشار بذلك الى التوحيد.

واما العذاقرة فقوم ببغداد اتباع رجل ظهر ببغداد فى ايام الراضى بن المقتدر فى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وكان معروفا بابن أبى العذاقر واسمه محمد بن على السلمقانى وادعى حلول روح الاله فيه وسمى نفسه روح القدس ووضع لاتباعه كتابا سماه بالحاسة السادسة وصرح فيه برفع الشريعة واباح اللواط وزعم انه ايلاج الفاضل نوره فى المفضول واباح اتباعه له حرمهم طمعا فى ايلاجه نوره فيهن وظفر الراضي بالله به وبجماعة من اتباعه منهم الحسين بن القسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب وابو عمران ابراهيم بن محمد بن احمد بن المنجم ووجد كتبهما اليه يخاطبانه فيها بالرب والمولى ويصفانه بالقدرة على ما يشاء واقروا بذلك بحضرة الفقهاء ومنهم ابو العباس احمد بن عمر بن سريج وابو الفرح المالكى وجماعة من الائمة فاعترفوا بذلك وامر المعروف منهم بالحسين بن القسم بن عبيد الله بالبراءة من ابن أبى العذاقر بأن يصفعه ففعل ذلك واظهر التوبة وافتى ابن سريج بجواز قبول توبته على مذهب الشافعي رحمه الله وافتى المالكيون برد توبة الزنديق بعد العثور عليه فامر الراضى بحبسه الى ان ينظر فى امره وأمر بقتل ابن ابى العذاقر وصاحبه ابى عون فقال له ابن ابي العذاقر امهلنى ثلاثة ايام لينزل فيها براءتى من السماء او نقمة على اعدائى وأشار الفقهاء على الراضى بتعجيل قتلهما فصلبهما ثم احرقهما بعد ذلك وطرح رمادهما فى الدجلة.

{الفصل الحادي عشر}

من فصول هذا الباب

الفرق بين الفِرق

فى ذكر اصحاب الاباحة من الخرمية وبيان خروجهم عن جملة فرق الاسلام

فهـؤلاء صـنفان، صـنف منهـم كـانوا قبـل دولـة الاسـلام كالمزدكية الذين استباحوا المحرمات وزعموا ان الناس شـركاء فى الاموال والنساء ودامت فتنة هؤلاء الى ان قتلهم انوشروان فى زمانه.

والصنف الثانى خرمدينية ظهروا في دولة الاسـلام وهـم فريقان بابكية وما زيارية وكلتاهما معروفة بالمحمرة.

فالبابكية منهم اتباع بابك الخزى الذى ظهر في جبل اليدين بناحية اذربيجان وكثر بهـا اتبـاعه واسـتباحوا المحرمـات وقتلـوا الكثير من المسلمين وجهز اليه خلفاء بنى العباس جيوشا كثيرة مـع الفشـين الحـاجب ومحمـد بـن يوسـف التعـرى وابـى دلـف العجلى واقرانهم وبقيت العساكر في وجهه مقدار عشرين سنة الى ان أخذ بابك واخوه اسحق بن ابرهيم وصلبا بعيـن مـن راى في ايام المعتصم واتهم الفشين الحاجب بممالأة بابك في حربه وقتل لأجل ذلك.

واما المازبارية منهم فهم اتباعما زيـار الـذى اظهـر ديـن المحمرة بجرجان.

وللبابكيه في جبلهم ليلة عيد لهم يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيهـا رجـالهم ونسـاؤهم فـاذا أطفئـت سـرجهم ونيرانهم افتض فيها الرجال والنساء على تقدير من عزبز.

والبابكية ينسبون أصل دينهم الى أمير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ويزعمون ان اباه كان من الزنج وامه بعض بنـات ملوك الفرس ويزعمون ان شروين كان افضل من محمد ومـن سائر الانبياء وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسـلمين يـؤذن فيهـا المسلمون وهم يعلمون أولادهم القـرآن لكنهـم لا يصـلون فـي السر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة.

وكانت فتنة مازيار قد عظمت في ناحيته الى ان اخذ في ايام المعتصم ايضا وصلب بسر من رأى بحذاء بابك الخزى.

واتباع مازيار اليوم في جبلهم اكرة من يليهم من سواد جرجان يظهرون الاسلام ويضمرون خلافه والله المستعان على اهل الزيغ والطغيان.

{الفصل الثانى عشر}
من فصول هذا الباب
فى ذكر اصحاب التناسخ من اهل الاهواء وبيان خروجهم عن فرق الاسلام

القائلون بالتناسخ اصناف: صنف من الفلاسفة وصنف من السمنية وهذان الصنفان كانا قبل دولة الاسلام.

وصنفان اخران ظهرا في دولة الاسلام أحدهما من جملة القدرية والآخر من جملة الرافضة الغالية.

فاصحاب التناسخ من السمنية قالوا بقدم العالم وقالوا ايضا بابطال النظر والاستدلال وزعموا انه لا معلوم الا من جهة الحواس الخمس وانكر اكثرهم المعاد والبعث بعد الموت وقال فريق منهم بتناسخ الارواح في الصور المختلفة واجازوا ان ينقل روح الانسان الى كلب وروح الكلب الى انسان وقد حكى اقلوطرخس مثل هذا القول عن بعض الفلاسفة وزعموا ان من أذنب في قالب ناله العقاب على ذلك الذنب في قالب آخر وكذلك القول في الثواب عندهم ومن اعجب الاشياء دعوى السمنية في التناسخ الذى لا يعلم بالحواس مع قولهم انه لا معلوم الا من جهة الحواس.

وقد ذهبت المانوية ايضا الى التناسخ وذلك ان مانيا قال في بعض كتبه إن الارواح التى تفارق الاجسام نوعان أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلالة فأرواح الصديقين اذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح الى النور الذى فوق الفلك فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم وأرواح أهل الضلال اذا فارقت الاجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى ردت منعكسة إلى السفل فتتناسخ في أجسام الحيوانات الى ان تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور العالى.

وذكر أصحاب المقالات عن سقراط وافلاطن واتباعهما من الفلاسفة انهم قالوا بتناسخ الأرواح على تفصيل قد حكيناه عنهم فى كتاب الملل والنحل.

وقال بعض اليهود بالتناسخ وزعم انه وجد في كتاب دانيال ان الله تعالى مسخ بختنصر في سبع صور من صور البهائم والسباع وعذبه فيها كلها ثم بعثه في آخرها موحدا.

وأما أهل التناسخ في دولة الاسلام فان البيانية والجناحية والخطابية والروندية من الروافض الحلولية كلها قالت بتناسخ روح الاله في الائمة بزعمهم.

وأول من قال بهذه الضلالة السبابية من الرافضة لدعواهم أن عليا صار الها حين حل روح الاله فيه

وزعمت البيانية منهم ان روح الاله دارت في الانبياء ثم في الائمة الى ان صارت في بيان بن سمعان.

وادعت الجناحية منهم مثل ذلك في عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر.

وكذلك دعوى الخطابية في ابن الخطاب وكذلك دعوى قوم من الروندية في ابى مسلم صاحب دولة بنى العباس.

فهؤلاء يقولون بتناسخ روح الاله دون أرواح الناس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

واما أهل التناسخ من القدرية فجماعة منهم أحمد بن حايط وكان معتزليا منتسبا الى النظام وكان على بدعته في الفطرة وفي نفى الجزء الذى يتجزأ وفي نفى قدرة الله تعالى على الزيادة في نعيم أهل الجنة أو في عذاب أهل النار وزاد على النظام في ضلالته في التناسخ.

ومنهم احمد بن ايوب بن يانوش وكان تلميذ احمد بن حايط في التناسخ لكنهما اختلفا بعد في كيفية التناسخ.

ومنهم محمد بن احمد القطحي وافتخر بأنه كان منهم في التناسخ والاعتزال.

ومنهم عبد الكريم بن ابى العوجاء وكان خال معن بن زائدة وجمع بين أربعة أنواع من الضلالة أحدها انه كان يرى في

السردين المانوية من الثنوية والثانى قوله بالتناسخ والثلث ميله الى الرافضة في الامامة والرابع قوله بالقدر في ابواب التعديل والتحوير وكان وضع أحاديث كثيرة باسانيد يغتر بها من لا معرفة له بالجرح والتعديل وتلك الاحاديث التى وضعها كلها ضلالات في التشبيه والتعطيل وفي بعضها تغيير أحكام الشريعة وهو الذى أفسد على الرافضة صوم رمضان بالهلال وردهم عن اعتبار الاهلة بحساب وضعه لهم ونسب ذلك الحساب الى جعفر الصادق ورفع خبر هذا الضال الى أبى جعفر بن محمد بن سليمان عامل المنصور على الكوفة فامر بقتله فقال لن يقتلونى لقد وضعت أربعة ألف حديث أحللت بها الحرام وحرمت بها الحلال وفطرت الرافضة في يوم من أيام صومهم وصومتهم في يوم من أيام فطرهم.

وتفصيل قول هؤلاء في التناسخ ان احمد بن حايط زعم ان الله تعالى ابدع خلقة أصحابه س المين عقلاء بالغين ف ي دار سوى الدنيا التي هم فيها اليوم واكمل عقولهم وخلق فيهم معرفته والعلم به واسبغ عليهم نعمه.

وزعم ان الانسان المأمور المنهى المنعم عليه هو الروح التي في الجسم وان الاجسام قوالب للأرواح.

وزعم ان الروح هي الحي القادر العالم وان الحيوان كله جنس واحد.

وزعم ايضا ان جميع انواع الحيوان محتمل للتكليف وكان قد توجه الامر والنهي عليهم على اختلاف صورهم ولغاتهم وقال ان الله تعالى لما كلفهم في الدار التي خلقهم فيها شكره على ما انعم به عليهم أطاعه بعضهم في جميع ما امرهم به وعصاه بعضهم في جميع ما أمرهم به فمن اطاعه في جميع ما امره به أقره في دار النعيم التي ابتدأه فيها ومن عصاه في جميع ما أمره به أخرجه من دار النعيم الى دار العذاب الدائم وهى النار ومن أطاعه في بعض ما أمره به وعصاه في بعض ما أمره به أخرجه الى الدنيا وألبسه بعض هذه الاجسام التي هي القوالب الكثيفة وابتلاه بالبأساء والضراء والشدة والرجاء واللذات

والآلام في صور مختلفة من صور الناس والطيور والبهائم والسباع والحشرات وغيرها على مقادير ذنوبهم ومعاصيهم في الدار الاولى التى خلقهم فيها فمن كانت معاصيه في تلك الدار أقل وطاعاته اكثر كانت صورته في الدنيا احسن ومن كانت طاعاته في تلك الدار أقل ومعاصيه اكثر صار قالبه في الدنيا أقبح.

ثم زعم ان الروح لا يزال في هذه الدنيا يتكرر في قوالب وصور مختلفة ما دامت طاعاته مشوبة بذنوبه وعلى قدر طاعاته وذنوبه يكون منازل قوالبه فى الانسانية والبيهمية ثم لا يزال من الله تعالى رسول الى كل نوع من الحيوان وتكليف للحيوان ابدا الى ان يتمحض عمل الحيوان طاعات فيرد الى دار النعيم الدائم وهى الدار التى خلق فيها او يمحض عمله معاصى فينقل الى النار الدائم عذابها

فهذا قول ابن حايط فى تناسخ الارواح.

وقال احمد بن ايوب بن بانوش ان الله تعالى خلق الخلق كله دفعه واحدة وحكى عنه بعض اصحابه أن الله تعالى خلق أولا الاجزاء المقدرة التي كل واحد منها جزء لا يتجزأ وزعم ان تلك الاجزاء كانت أحياء عاقلة وان الله تعالى كان قد سوى بينهم فى جميع امورهم اذ لم يستحق واحد منهم تفضيلا على غيره ولا كان من احد منهم جناية يؤخر لاجلها عن غيره قال ثم انه خيرهم بين ان يمتحنهم بعد اسباغ النعمة عليهم بالطاعات ليستحقوا بها الثواب عليها لان منزلة الاستحقاق أشرف من منزلة التفضيل وبين ان يتركهم في تلك الدار تفضلا عليه بها فاختار بعضهم المحبة واباها بعضهم فمن اباها تركه فى الدار الاولى على حاله فيها ومن اختار الامتحان امتحنه فى الدنيا ولما امتحن الذين اختاروا الامتحان عصاه بعضهم وأطاعه بعضهم فمن عصاه حطه الى رتبة هى دون المنزلة التى خلقوا فيها ومن اطاعه رفعه الى رتبة اعلى من المنزلة التى خلق عليها ثم كررهم فى الاشخاص والقوالب إلى ان صار قوم منهم اناسا وآخرون صاروا بهائم أو سباعا بذنوبهم ومن صار منهم

الى البهيمية ارتفع عنه التكليف وكان يخالف ابن حايط فى تكليف البهائم ثم قال فى البهائم انها لا تزال تتردد فى الصور القبيحة وتلقى المكاره من الذبح والتسخير الى ان تستوفى ما تستحق من العقاب بذنوبها ثم تعاد الى الحالة الاولى ثم يخبرهم الله تعالى تخييرا ثانيا فى الامتحان فان اختاروه اعاد تكليفهم على الحال التى وصنفاها وان امتنعوا منه تركوا على حالهم غير مكلفين وزعم ان من المكلفين من يعمل الطاعات حتى يستحق ان يكون نبيا او ملكا فيفعل الله تعالى ذلك به.

وزعم القحطى منهم ان الله تعالى لم يعرض عليهم فى اول امرهم التكليف بل هم سألوه الرفع عن درجاتهم والتفاضل بينهم فاخبرهم بانهم لا يصفون بذلك الا بعد التكليف والامتحان وانهم وان كلفوا فعصوا استحقوا العقاب فابوا الامتحان قال فذلك قوله {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا}.

وزعم ابو مسلم الحرانى ان الله تعالى خلق الارواح وكلف منها من علم انه يطيعه دون من يعصيه وان العصاة إنما عصوه ابتداء فعوقبوا بالنسخ والمسخ فى الاجساد المختلفة على مقادير ذنوبهم.

فهذا تفصيل قول اصحاب التناسخ وقد نقضنا عللهم فى كتاب الملل والنحل بما فيه

{الفصل الثالث عشر}
من فصول هذا الباب
فى بيان ضلالات الحايطية من القدرية وبيان خروجهم عن فرق الامة

هؤلاء اتباع احمد بن حايط القدرى وكان من اصحاب النظام فى الاعتزال وقد ذكرنا قوله فى التناسخ قبل هذا ونذكر فى هذا الفصل ضلالاته فى توحيد الصانع.

وذلك ان ابن حايط وفضلا الحدثى زعما ان للخلـق ربيـن وخالقين احدهما قديم وهـو اللـه سـبحانه والآخـر مخلـوق وهـو عيسى بن مريم وزعما ان المسيح ابن اللـه علـى معنـى النـبى دون الولادة وزعما ايضا ان المسيح هو الذى يحاسب الخلق فى الآخرة وهو الذى عناه الله بقوله {وجاء ربك والملك صفا صفا} وهو الذى يأتى {في ظلل مـن الغمـام والملائكـة وقضـي الأمـر وإلى الله ترجع الأمور} وهو الذى خلق آدم علـى صـورة نفسـه وذلك تأويل ما روى ان الله تعالى خلق الها على صـورته وزعـم انه هو الذى عناه النبى بقوله ترون ربكم كما تـرون القمـر ليلـة البدر وهو الذى عناه بقول ان الله تعالى خلـق العقـل فقـال لـه أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر فقال ما خلقت خلقا اكـرم منـك وبك اعطى وبك آخذ وقالا ان المسـيح تـذرع جسـدا وكـان قبـل التذرع عقلا.

قال عبد القاهر قد شارك هذان الكافران الثنوية والمجوس فى دعوى خالقين وقولهم شر من قولهم لان الثنوية والمجوس اضافوا اختراع جميع الخيرات الى الله تعالى وانما اضافوا فعـل الشرور الى الظلمة والى الشيطان واضاف ابـن حـايط وفضـل الحدثى فعل الخيرات كلها الـى عيسـى بـن مريـم واضـافا اليـه محاسبة الخلق فى الآخرة والعجب فى قولهما ان عيسى خلــق جده آدم عليه السلام فيا عجبا من فـرع يخلـق اصـله ومـن عـد هذين الضالين من فرق الاسـلام كمـن عـد النصـارى مـن فـرق الاسلام

{الفصل الرابع عشر}

من فصول هذا الباب

في ذكر الحمارية من القدرية وبيان خروجهم عن فرق الأمة

هؤلاء قوم من معتزلة عسكر مكرم اختاروا من بدع اصناف القدرية ضلالات مخصوصة.

فاخذوا من ابن حايط قوله بتناسـخ الأرواح فـي الاجسـاد والقوالب.

واخذوا من عباد بن سليمان الضميري قوله بان الذين مسخهم الله قردة وخنازير كانوا بعد المسخ ناسا وكانوا معتقدين للكفر بعد المسخ.

واخذوا من جعد بن درهم الذى ضحى به خالد بن عبد الله القسري قوله بان النظر الذى يوجب المعرفة تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعل لها.

ثم زعموا بعد ذلك ان الخمر ليست من فعل الله تعالى وإنما هي من فعل الخمار لأن الله تعالى لا يفعل ما يكون سبب المعصية.

وزعموا ان الانسان قد يخلق أنواعا من الحيوانات كاللحم اذا دفنه الانسان او يضعه في الشمس فيدود زعموا ان تلك الديدان من خلق الانسان وكذلك العقارب التي تظهر من التبن تحت الآجر زعموا انها من اختراع من جمع بين الآجر والتبن.

وهؤلاء شر من المجوس الذين اضافوا اختراع الحيات والحشرات والسموم الى الشيطان ومن عدهم من فرق الامة كمن عد المجوس من فرق الامة

{الفصل الخامس عشر}

من فصول هذا الباب

في ذكر اليزيدية من الخوارج وبيان خروجهم عن فرق الاسلام

هؤلاء اتباع يزيد بن ابى أنيسة الخارجي وكان من البصرة ثم انتقل الى نون من ارض فارس وكان على رأي الاباضية من الخوارج ثم انه خرج عن قول جميع الامة لدعواه ان الله عز وجل يبعث رسولا من العجم وينزل عليه كتابا من السماء وينسخ بشرعه شريعة محمد وزعم ان اتباع ذلك النبى المنتظر هم الصابئون المذكورون فى القرآن فاما المسمون بالصابئة من اهل واسط وحران فما هم الصابئون المذكورون في القرآن وكان مع هذه الضلالة يتولى من شهد لمحمد بالنبوة من اهل الكتاب وان لم يدخل في دينه وسماهم بذلك مؤمنين وعلى هذا القول يجب ان يكون العيسوية والرعيانية من اليهود

مؤمنين لانهم أقروا بنبوة محمد عليه السلام ولم يدخلوا في دينه.

وليس بجائز ان يعد في فرق الاسلام من يعد اليهود من المسلمين وكيف يعد من فرق الاسلام من يقول بنسخ شريعة الاسلام.

{الفصل السادس عشر}

من فصول هذا الباب

فى ذكر الميمونية من الخوارج وبيان خروجهم عن فرق الاسلام

هؤلاء اتباع رجل من الخوارج الشخرية كان اسمه ميمونا وكان على مذهب العجاردة من الخوارج ثم انه خالف العجاردة فى الارادة والقدر والاستطاعة وقال في هذه الابواب الثلاثة بقول القدرية المعتزلة عن الحق وزعم مع ذلك أن أطفال المشركين فى الجنة.

ولو بقى ميمون هذا على البدع التى حكيناها عنه ولم يزد عليها ضلالة سواها لنسبناه الى الخوارج لقوله بتكفير على وطلحة والزبير وعائشة وعثمان وقوله بتكفير أصحاب الذنوب والى القدرية لقوله فى باب الارادة والقدر والاستطاعة بأقوال القدرية فيها.

ولكنه زاد على القدرية وعلى الخوارج بضلالة اشتقها من دين المجوس وذلك أنه أباح نكاح بنات الاولاد من الاجداد وبنات أولاد الاخوة والاخوات وقال انما ذكر الله تعالى فى تحريم النساء بالنسب الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخوات ولم يذكر بنات البنات ولا بنات البنين ولا بنات أولاد الاخوة ولا بنات أولاد الاخوات فان طرد قياسه فى امهات الامهات وامهات الآباء والأجداد المخض فى المجوسية وان لم يجر نكاح الجدات وقاس الجدات على الامهات لزمه قياس بنات الاولاد على بنات الصلب وان لم يطرد قياسه فى هذا الباب نقض اعتلاله.

وحكى الكرابيسى عن الميمونية من الخوارج انهم انكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن ومنكر بعض القرآن كمنكر كله.
ومن استحل بعض ذوات المحارم فى حكم المجـوس ولا يكون المجوسى معدودا فى فرق الاسلام.

{الفصل السابع عشر}
من فصول هذا الباب
فى ذكر الباطنية وبيان خروجهم عن جميع فرق الاسلام

اعلموا اسعدكم الله ضرر الباطنية على فرق المسـلمين اعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوز عليهم بل اعظم مـن مضرة الدهرية وسائر أصناف الكفرة عليهم بل اعظم من ضرر الدجال الذى يظهر في آخر الزمان لأن الذين ضـلوا عـن الـدين بدعوة الباطنية من وقـت ظهـور دعـوتهم الـى يومنـا اكـثر مـن الذين يضلون بالدجال فى وقت ظهوره لان فتنة الدجال لا تزيـد مدتها على اربعين يوما وفضائح الباطنية اكـثر مـن عـدد الرمـل والقطر.
وقد حكى أصحاب المقالات أن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقـداح وكـان مـولى لجعفر بن محمد الصادق وكـان مـن الاهـواز ومنهـم محمـد بـن الحسين الملقب بذيذان وميمون بـن ديصـان فـى سـجن والـى العراق اسسوا فى ذلـك السـجن مـذاهب الباطنيـة ثـم ظهـرت دعوتهم بعد خلاصهم مـن السـجن مـن جهـة المعـروف بذيـذان وابتدأ بالدعوة من ناحية فدخل فى دينه جماعة من اكراد الجيل مع اهل الجبل المعروف بالبدين ثم رحل ميمون بن ديصان الـى ناحية المغرب وانتسب فى تلك الناحية الى عقيل بن ابى طالب وزعم انه من نسله فلما دخل فى دعوته قوم مـن غلاة الرفـض والحلولية منهم ادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفــر الصادق فقيل الاغبيـاء ذلـك منـه علـى أصـحاب الانتسـاب بـان محمـد بـن اسـماعيل بـن جعفـر مـات ولـم يعقـب عنـد علمـاء الأنساب.

الفرق بين الفِرق

ثم ظهر فى دعوته الى دين الباطنية رجل يقال له حمدان قرمط لقب بذلك لقرمطه فى خطه او فى خطوه وكان فى ابتداء أمره اكارا من اكرة سواد الكوفة واليه تنسب القرامطة.

ثم ظهر بعده فى الدعوة الى البدعة ابو سعيد الجنابى وكان من مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين ودخل فى دعوته بنو سنير.

ثم لما تمادت الايام بهم ظهر المعروف منهم بسعيد بن الحسين ابن احمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح فغير اسم نفسه ونسبه وقال لاتباعه أنا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق ثم ظهرت فتنته بالمغرب واولاده اليوم مستولون على أعمال مصر.

وظهر منهم المعروف بابن كرويه بن مهرويه الدندانى وكان من تلامذة حمدان قرمط وظهر مأمون اخو حمدان قرمط بارض فارس وقرامطة فارس يقال لهم المأمونية لاجل ذلك.

ودخل أرض الديلم رجل من الباطنية يعرف بابى حاتم فاستجاب له جماعة من الديلم منهم أسفار بن شرويه.

وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعرانى فقتل بها فى ولاية أبى بكر بن محتاج عليها وكان الشعرانى قد دعا الحسين بن على المروردى قام بدعوته بعده محمد بن احمد النسفى داعية أهل ما وراء النهر وابو يعقوب السجزلى المعروف ببندانه وصنف النسفى لهم كتاب المحصول وصنف لهم ابو يعقوب كتاب اساس الدعوة وكتاب تأويل الشرائع وكتاب كشف الاسرار وقتل النسفى والمعروف ببندانه على ضلالتهما.

وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولا فى زمان المأمون وانتشرت فى زمان المعتصم وذكروا انه دخل فى دعوتهم الافشين صاحب جيش المعتصم وكان مراهنا لبابك الخرمى وكان الخرمى مستعصيا بناحية البدين وكان أهل جبله خرمية على طريقة المزدكية فصارت الخرمية مع الباطنية يدا واحدة واجتمع مع بابك من أهل البدين وممن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلثمائة الف رجل وأخرج الخليفة لقتالهم الافشين

فظنه ناصحا للمسلمين وكان فى سره مع بابك وتوانى فى القتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين وقتل الكثير منهم ثم لحقت الأمداد بالافشين ولحق به محمد بن يوسف الثغرى وابو دلف القسم بن عيسى العجلى ولحق به بعد ذلك قواد عبد الله ابن طاهر واشتدت شوكة البابكية والقرامطة على عسكر المسلمين حتى بنوا لانفسهم البلدة المعروفة ببيرزند خوفا من بيان البابكية ودامت الحرب بين الفريقين سنين كثيرة الى ان أظفر الله المسلمين بالبابكية فأسر بابك وصلب بسر من رأى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثم اخذ أخوه اسحاق وصلب ببغداد مع المازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الافشين وخيانته للمسلمين فى حروبه مع بابك فامر بقتله وصلبه فصلب لذلك.

وذكر اصحاب التواريخ ان الذين وضعوا اساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين الى دين اسلافهم ولم يجسروا على إظهاره خوفا من سيوف المسلمين فوضع الأغمال منهم اساسا من قبلها منهم صار فى الباطن الى تفصيل اديان المجوس وتأولوا آيات القرآن وسنن النبى عليه السلام على موافقة اساسهم وبيان ذلك ان الثنوية زعمت ان النور والظلمة صانعان قديمان والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع والظلام فاعل الشرور والمضار وان الاجسام ممتزجة من النور والظلمة وكل واحد منهما مشتمل على اربع طبائع وهى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والاصلان الاولان مع الطبائع الاربع مدبرات هذا العالم وشاركهم المجوس في اعتقاد صانعين غير أنهم زعموا ان أحد الصانعين قديم وهو الاله الفاعل للخيرات والآخر شيطان محدث فاعل للشرور وذكر زعماء الباطنية فى كتبهم ان الاله خلق النفس فالاله هو الاول والنفس هو الثانى وهما مدبرا هذا العالم وسموهما الاول والثانى وربما سموهما العقل والنفس ثم قالوا انهما يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الاول وقولهم ان الاول والثانى يدبران العالم هو بعينه قول المجوس باضافة الحوادث

الفرق بين الفِرق

صانعين احدهما قديم والآخر محدث الا أن الباطنية عـبرت عـن الصانعين بالاول والثانى وعبر المجوس عنهما بيزدان وأهر مــن فهذا هو الذى يدور في قلـوب الباطنيـة ووضـعوا اساسـا يـؤدى اليه.

ولـم يمكنهـم إظهـار عبـادة الـثيران فاحتـالوا بـأن قـالوا للمسلمين ينبغى ان تجمـر المسـاجد كلهـا وأن تكـون فـى كـل مسجد مجمرة يوضع عليهـا النـد والعـود فـى كـل حـال وكـانت البرامكة قد زينوا للرشـيد أن يتخـذ فـى جـوف الكعبـة مجمـرة يتبخر عليها العود أبدا فعلم الرشيد أنهم أرادوا مـن ذلـك عبـادة النار فى الكعبة وأن تصير الكعبة بيت نار فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد على البرامكة.

ثم ان الباطنية لما تأولت اصول الدين على الشرك احتالت ايضا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدى الى رفع الشـريعة أو الى مثل أحكام المجوس والـذى يـدل علـى ان هـذا مرادهـم بتأويل الشريعة أنهم قد اباحوا لاتباعهم نكـاح البنـات والاخـوات وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات.

ويؤكد ذلك ان الغلام الذى ظهر منهم بالبحر بن والاحساء بعد سليمان بن الحسين القرمطى سن لأتباعه اللـواط وأوجـب قتل الغلام الذى يمتنع على من يريد الفجور بـه وأمـر بقطـع يـد من اطفأ نارا بيده وبقطع لسان من اطفأها بنفخـة وهـذا الغلام هو المعروف بابن أبى زكريـا الطـامى وكـان ظهـوره فـى سـنة تسع عشرة وثلثمائة وطالت فتنته الى أن سلط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه.

ويؤكد ما قلناه من ميل الباطنية الى دين المجوس أنا لا نجد على ظهر الارض مجوسيا إلا وهو مـواد لهـم منتظـر لظهـورهم على الديار يظنـون أن الملـك يعـود اليهـم بـذلك وربمـا اسـتدل أغمارهم على ذلك بما يرويه المجـوس عـن زرادشـت أنـه ق ال لكتتاسب ان الملك يزول عن الفرس الى الـروم واليونانيـة ثـم يعود الى الفرس ثم يزول عن الفرس الى العرب ثم يعـود الـى الفرس وساعده جاماسب المنجم علـى ذلـك وزعـم ان الملـك

يعود الى العجم لتمام الـف وخمسـمائة سـنة مـن وقـت ظهـور زرادشت.

وكان فى الباطنية رجل يعرف بأبى عبد الله العردى يدعى علم النحوم ويتعصب للمجوس وصنف كتابا وذكر فيه ان القرن الثامن عشر من مولد محمـد يوافـق الالـف العاشـر وهـو نوبـة المشترى والقوس وقـال عنـد ذلـك يخـرج انسـان يعيـد الدولـة المجوسية ويستولى على الارض كلها وزعم انه يملك مدة سـبع قرانات وقالوا قد تحقـق حكـم زرادشـت وجاماسـب فـى زوال ملك العجم الى الروم واليونانية فى ايام الاسكندر ثـم عـاد الـى العجم بعد ثلثمائة سنة ثم زال بعد ذلك ملك العجم الـى العـرب وسيعود الى العجم لتمـام المـدة الـتى ذكرهـا جامـا سـب وقـد وافـق الـوقت الـذى ذكـروه ايـام المكتفـى والمقتـدر وأخلـف موعدهم وما رجع الملك فيـه الـى المجـوس وكـانت القرامطـة قبل هـذا الميقـات يتواعـدون فيمـا بينهـم ظهـور المنتظـر فـى القران السابع فى المثلثة النارية.

وخرج منهم سليمان بن الحسين مـن الاحيـاء علـى هـذه الدعوى وتعرض للحجيج وأسرف فى القتل منهم ثم دخـل مكـة وقتل من كان فـى الطـواف وأغـار علـى اسـتار الكعبـة وطـرح القتلـى فـى بئـر زمـزم وكسـر عسـاكر كـثيرة مـن عسـاكر المسلمين وانهزم فى بعض حروبه الى هجر فكتـب للمسـلمين قصيدته يقول فيها:

أغركم منى رجـوعى الـى هجـر عمـا قليـل سـوف يـأتيكم الخبر

اذا طلع المريـخ فـى ارض بابـل وقـارنه النجمـات فالحـذر الحذر

ألست أنا المذكور فى الكتب كلها ألست أنا المبعـوث فـى سورة الزمر

سـأملك أهـل الأرض شـرقا ومغربـا الـى قيـروان الـروم والترك والخزر

واراد بالنجمين زحل والمشترى وقد وجد هذا القران فى سنى ظهوره ولم يملك من الارض شيئا غير بلدته التى خرج منها وطمع فى ان يملك سبع قرانات وما ملك سبع سنين بل قتل بهيت رمته امرأة من سطحها بلبنة على رأسه فدمغته وقتيل النساء أخس قتيل واهون فقيد.

وفى آخر سنة ألف ومائتين واربعين للاسكندر تم من تاريخ زرادشت ألف وخمسائة سنة وما عاد فيها ملك الارض الى المجوس بل اتسع بعدها نطاق الاسلام فى الأرض وفتح الله تعالى للمسلمين بعدها بلاد بلا ساعون وارض التيب واكثر نواحى الصين ثم فتح لهم بعدها جميع ارض الهند من لمفات الى قنوح وصارت أرض الهند الى سيتر سيقا بحرها من رقعة الاسلام فى أيام أمين الدولة أمين الملة محمود بن سبكتين رحمه الله وفى هذا زعم انوف الباطنية والمجوس الجاماسبية الذين حكموا بعود الملك اليهم فذاقوا وبال أمرهم وكان عاقبة امانيهم بوارا لهم بحمد الله ومنه.

ثم ان الباطنية خرج منهم عبيد الله بن الحسن بناحية القيروان وخدع قوما من كتامه وقوما من المصامدة وشرذمة من أغنام بربر بحبل ونيرنجات آظهرها لهم كروية الخيالات بالليل من خلف الرداء والازار وظن الاغمار أنها معجزة له فتبعوه لاجلها على بدعته فاستولى بهم على بلاد المغرب ثم خرج المعروف منهم بابى سعيد الحسين بن بهرام على أهل الاحساء والقطيف والبحرين فأتى باتباعه على اعدائه وسبى نساءهم وذراريهم واحرق المصاحف والمساجد ثم استولى على هجر وقتل رجالها واستعبد ذراريهم ونساءهم ثم ظهر المعروف منهم بالصناديقى باليمن وقتل الكثير من اهلها حتى قتل الاطفال والنساء وانضم اليه المعروف منهم بابن الفضل فى اتباعه ثم ان الله تعالى سلط عليهما وعلى اتباعهما الاكلة والطاعون فماتوا بهما.

ثم خرج بالشام حفيد لميمون بن ديصان يقال له ابو القاسم بن مهرويه وقالا لمن تبعهما هذا وقت ملكنا وكان ذلك سنة

تسع وثمانين ومائتين فقصدهم سبك صاحب المعتضد فقتلوا سبكا فى الحرب ودخلوا مدينة الرصافة واحرقوا مسجدها الجامع وقصدوا بعد ذلك دمشق فاستقبلهم الحمامى غلام بن طيون وهزمهم الى الرقة فخرج اليهم محمد بن سليمان كاتب المكتفى فى جند من اجناد المكتفى فهزمهم وقتل منهم الالوف فانهزم الحسن بن زكريا بن مهرويه الى الرملة فقبض عليه والى الرملة فبعث به وبجماعة من اتباعه الى المكتفى فقتلهم ببغداد فى الشارع باشد عذاب.

ثم انقطعت بقتلهم شوكة القرامطة الى سنة عشر وثلثمائة.

وظهر بعدها فتنة سليمان بن الحسن فى سنة احدى عشرة وثلثمائة فانه كبس فيها البصرة وقتل اميرها سبكا المقلجى ونقل اموال البصرة الى البحرين.

وفى سنة اثنتى عشرة وثلثمائة وقع على الحجيج فى المتهيبر لعشر بقين من المحرم وقتل اكثر الحجيج وسبى الحرم والذرارى ثم دخل الكوفة فى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة فقتل الناس وانتهب الاموال.

وفى سنة خمس عشرة وثلثمائة حارب ابن أبى الساج وأسره وهزم أصحابه.

وفى سنة سبع عشرة وثلثمائة دخل مكة وقتل من وجده فى الطواف وقيل انه قتل بها ثلاثة آلاف وأخرج منها سبعمائة بكر واقتلع الحجر الاسود وحمله الى البحرين ثم ردفها الى الكوفة ورد بعد ذلك من الكوفة الى مكة على يد ابى إسحاق إبراهيم بن محمد ابن يحيى مزكي نيسابور فى سنة تسع وعشرين وثلثمائة.

وقصد سليمان ابن الحسن بغداد فى سنة ثمانى عشرة وثلثمائة فلما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته وانقطعت بعد ذلك شوكة القرامطة وصاروا بعد قتل سليمان بن الحسن مبدرقين للحجيج من الكوفة والبصرة الى مكة

فحضاة ومال مضمون لهم إلى ان غلبهم الأصغر العقيلى على بعض ديارهم.

وكانت ولاية مصر واعمالها للاخشادية وانضم بعضهم الى ابن عبيد الله الباطنى الذى كان قد استولى على قيروان ودخلوا مصر فى سنة ثلاث وستين وثلثمائة وابتنوا بها مدينة سموها القاهرة يسكنها اهل بدعته واهل مصر ثابتون على السنة الى يومنا وان اطاعوا صاحب القاهرة فى اداء خراجهم اليه.

وكان ابو شجاع فناخسرو بن بويه قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من ايدي الباطنية وكتب على اعلامه بالسواد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين الطائع لله أمير المؤمنين ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال قصيدة أولها:

أما ترى الاقدار لى طوائعا قواضيا لى بالعيان كالخبر
ويشهد الانام لى بأنى ذاك الذى يرجى وذاك المنتظر
لنصرة الاسلام والداعي الى خليفة الله الإمام المفتخر

فلما خرج مضاربه للخروج الى مصر غامضه الاجل فمضى لسبيله فلما قضى فناخسرو نحبه طمع زعيم مصر فى ملوك نواحى الشرق فكاتبهم يدعوهم الى البيعة له فاجاب قابوس بن وشمكين عن كتابه بقوله انى لا اذكرك الا على المستراح وأجابه ناصر الدولة ابو الحسن محمد بن ابراهيم بن سيمجور بان كتب على ظهر كتابه اليه {قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون} الى آخر السورة وأجابه نوح بن منصور والى خراسان بقتل دعاته الى بدعته ودخل فى دعوته بعض ولاة الجرجانية من ارض خوارزم فكان دخوله فى دينه شؤما عليه فى ذهاب ملكه وقتله اصحابه ثم استولى يمين الدولة وامين الملة محمود بن سبكتكين على ارضهم وقتل من كان بها من دعاة الباطنية وكان ابو على بن سيمجور قد وافقهم فى السر فذاق وبال

امره في ذلك وقبض عليه والى خراسان نوح بن منصور وبعث به الى سبكتكين فقتل بناحية غزنه.

وكان ابو القسم الحسن بن على الملقب بد الشمند داعية ابى على بن سيمجور الى مذهب الباطنية وظفر به بكفوزن صاحاحب جيش السامانية بنيسابور فقتله ودفن فى مكان لا يعرف.

وكان اميرك الطوسى والى ناحية ثارويه قد دخل فى دعوة الباطنية فأسر وحمل الى غزته وقتل بها فى الليلة التى قتل فيها ابو على بن سيمجور.

وكان اهل مولتان من ارض الهند داخلين فى دعوة الباطنية فقصدهم محمود رحمه الله فى عسكره وقتل منهم الالوف وقطع ايدى ألف منهم وباد بذلك نصراء الباطنية من تلك الباطنية ومن هذا بيان شؤم الباطنية على منتحليها فليعتبر بذلك المعتبرون.

وقد اختلف المتكلمون فى بيان اغراض الباطنية فى دعوتها الى بدعتها.

فذهب اكثرهم الى ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التى يتأولون عليها القرآن والسنة واستدلوا على ذلك بان زعيمهم الاول ميمون بن ديصان كان مجوسيا من سبى الاهواز ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس الى دين ابيه واستدلوا ايضا بان داعيهم المعروف بالبزدي قال فى كتابه المعروف بالمحصول ان المبدع الأول أبدع النفس ثم إن الأول والثانى مدبر العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع وهذا فى التحقيق معنى قول المجوس ان أليزدان خلق اهرمن وانه مع اهرمن مدبران للعالم غير ان أليزدان فاعل الخيرات واهرمن فاعل الشرور.

ومنهم من نسب الباطنية الى الصابئين الذين هم بحران واستدل على ذلك بان حمدان قرمط داعية الباطنية بعد ميمون بن ديصان كان من الصابئة الحرانية واستدل ايضا بان صابئة حران يكتمون اديانهم ولا يظهرونها إلا لمن كان منهم والباطنية

ايضا لا يظهرون دينهم الا لمن كان منهم بعد احلافهم اياه على ان لا يذكر اسرارهم لغيرهم.

قال عبد القاهر الذى يصح عندي من دين الباطنية انهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع.

والدليل على انهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجم بالسياسة والبلاغ الاكيد والناموس الاعظم وهي رسالة عبيد الله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجناني اوصاه فيها بان قال له ادع الناس بان تتقرب اليهم بما يميلون اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن انست منه رشدا فاكشف له الغطاء واذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وانا وإياهم مجمعون على ان نواميس الانبياء وعلى القول بقدم العالم لو ماما يخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبرا لا يعرفه.

وذكر فى هذا الكتاب إبطال القول بالمعاد والعقاب وذكر فيها ان الجنة نعيم الدنيا وان العذاب انما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة والحج والجهاد.

وقال ايضا فى هذه الرسالة إن اهل الشرائع يعبدون إلها لا يعرفونه ولا يحصلون منه إلا على اسم بلا جسم.

وقال فيها ايضا اكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم وفى هذا تحقيق نسبة الباطنية الى الدهرية والذى يؤكد هذا ان المجوس يدعون نبوة زرادشت ونزول الوحي عليه من الله تعالى والصائبين يدعون نبوة هرمس ووواليس ودوروتيوس وافلاطن وجماعة من الفلاسفة وسائر اصحاب الشرائع كل صنف منهم مقرون بنزول الوحي من السماء على الذين اقروا بنبوتهم ويقولون ان ذلك الوحى شامل للامر والنهى والخبر عن عاقبة بعد الموت وعن ثواب وعقاب وجنه ونار يكون فيها الجزاء عن الاعمال السالفة والباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحى والامر والنهى بل ينكرون ان يكون فى السماء ملك وانما يتأولون الملائكة على دعائهم الى

بـدعتهم ويتـأولون الشـياطين علـى مخـالفيهم والابالسـة علـى مخالفيهم.

ويزعمون ان الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامـة بالنواميس والحيل طلبا للزعامة بـدعوى النبـوة والامامـة وكـل واحد منهم صاحب دور مسبع اذا انقضى دوره سبعة تبعهـم فـى دور آخر واذا ذكروا النـبى والـوحى قـالوا ان النـبى هـو النـاطق والوحى اساسه الفاتق والى الفاتق تأويل نطق الناطق على مـا تراه يميل اليـه هـواه فمـن صـار الـى تـأويله البـاطن فهـو مـن الملائكة البرره ومن عمل بالظاهر فهو من الشياطين الكفرة.

ثم تأولوا لكل ركن من اركان الشريعة تأويلا يورث تضليلا فزعموا ان معنى الصلاة موالاة امـامهم والحـج زيـارته وادمـان خدمته والمراد بالصـوم الامسـاك عـن افشـاء سـر الامـام دون الامساك عن الطعام والزنى عنـدهم افشـاء سـرهم بغيـر عهـد وميثاق.

وزعموا ان من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا فى ذلك قوله {واعبد ربك حتى يأتيك اليقيـن} وحملـوا اليقيـن على معرفة التأويل.

وقد قال القيروانى في رسالته الى سليمان بن الحسن انى اوصيك بتشكيك الناس فى القـرآن والتـوراة والزبـور والانجيـل وبدعوتهم الى ابطال الشرائع والى ابطال المعاد والنشـور مـن القبور وابطال الملائكة فى السـماء وابطـال الجـن فى الارض واوصيك بان تدعوهم الى القول بانه قد كان قبل آدم بشر كـثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم.

وفى هذا تحقيق دعوانا على الباطنية انهم دهرية يقولون بقدم العالم ويجحدون الصانع ويدل علـى دعوانـا عليهـم القـول بابطال الشرائع ان القيروانى قال أيضا فى رسالته الى سليمان بن الحسن وينبغى ان تحيط علما بمخاريق الانبياء ومناقضـاتهم فى اقوالهم كعيسى بن مريم قال لليهود لا ارفع شريعة موسى ثم رفعها بتحريم الاحد بدلا من السبت واباح العمل فى السـبت

وابدل قبلة موسى بخلاف جهتها ولهذا قتلتـه البلاد لمـا اختلفـت كلمته.

ثم قال له ولا تكن كصاحب الامة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال الروح من امر ربى لما لم يحضره جـواب المسـألة ولا تكن كموسى فى دعواه التى لم يكن له عليها برهـان سـوى المخرقة بحسن الحيلة والشعبذة ولما لم يجد المحق فى زمانه عنده برهانا قال له لئن اتخذت إلها غيرى وقال لقومه انـا ربكـم الاعلى لانه كان صاحب الزمان فى وقته.

ثم قال فى آخر رسالته وما العجب من شىء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له اخت او بنت حسـناء وليسـت لـه زوجة فى حسنها فيحرمها على نفسه وينكحهـا مـن اجنـبى ولـو عقل الجاهل لعلم انه أحق باخته وبنته من الاجنبى ما وجه ذلـك الا ان صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الاله الذى يزعمونه واخبرهم بكون مـالا يرونـه ابـدا مـن البعـث من القبور والحساب والجنة والنار حتى استعبدهم بـذلك عـاجلا وجعلهم له فى حيـاته ولـذريته بعـد وفـاته خـولا واسـتباح بـذلك بقوله {لا اسألكم عليه أجرا إلا المـودة فـى القربـى} فكـان امره معهم نقدا وأمرهم معه نسـيئة وقـد اسـتعجل منهـم بـدل ارواحهم واموالهم على انتظار موعد لا يكون وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها وهل النار وعذابها إلا ما فيه اصحاب الشرائع مـن التعب والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج.

ثم قال لسليمان بن الحسن فى هذه الرسالة وانت واخوانك هم الوارثون الـذين يرثـون الفـردوس وفـى هـذه الـدنيا ورثتـم نعيمهـا ولـذاتها المحرمـة علـى الجـاهلين المتمسـكين بشـرائع اصحاب النواميس فهنيئا لكم ما نلتم من الراحة عن امرهم.

وفى هذا الذى ذكرناه دلالة على ان غرض الباطنية القول بمذاهب الدهرية واستباحة المحرمات وترك العبادات.

ثم ان الباطنية لهم فى اصطياد الاغنام ودعوتهم الى بدعتهم حيل على مراتب سموها التفرس والتأنيس والتشكيك والتعليق

والربـط والتـدليس والتأسـيس والمواثيـق بالايمـان والعهـود وآخرها الخلع والسلخ.

فاما التفرس فانهم قالوا من شرط الداعى الى بدعتهم ان يكون قويا على التلبيس وعارفا بوجـوه تأويـل الظـواهر ليردهـا الى الباطن ويكون مع ذلك مخبرا بين من يجوز مـن يطمـع فيـه وفى اغوائه وبين من لا مطمـع فيـه ولهـذا قـالوا فـى وصـاياهم للـدعاة الـى بـدعتهم لا تتكلمـوا فـى بيـت فيـه سـراج بعنـون بالسراج من يعرف علم الكلام ووجوه النظر والمقاييس وقـالوا ايضا لدعاتهم لا تطرحوا بـذركم فـى ارض سـبخة وارادوا بـذلك منع دعاتهم عن اظهار بدعتهم عند من لا يؤثر فيهم بدعتهم كمـا لا يؤثر البذر فـى الارض السـبخة شـيئا وسـموا قلـوب اتبـاعهم الاغنام ارضا زاكية لانها تقبل بدعتهم وهذا المثل بالعكس اولـى وذلك ان القلوب الزاكية هـى القابلـة للـدين القـويم والصـراط المستقيم وهى التى لا تصدأ بشبه اهل الضلال كالـذهب الابريـز الذى لا يصدأ فى الماء ولا يبلى فى التراب ولا ينقـص فـى النـار والارض السـبخة كقلـوب الباطنيـة وسـائر الزنادقـة الـذين لا يزجرهم عقل ولا يردعهم شـرع منهـم ارجـاس أنجـاس أمـوات غير أحياء {ان هم إلا كالانعام بل هم أضـل سـبيلا} قـد قسـم لهم الحظ من الرزق من قسم رزق الخنازير فى مراعيها وأبـاح طعمه العنب فى براريها {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}.

وقالوا ايضا من شرط الداعى الى مذهبهم ان يكون عارفا بالوجوه التي تدعى بها الاصـناف فليسـت دعـوة الاصـناف مـن وجه واحد بل لكل صنف من الناس وجهه يدعى منه الى مذهب الباطن.

فمن رآه الداعى مائلا الـى العبـادات حملـه علـى الزهـد والعبادة ثم سأله عن معانى العبادات وعلـل الفرائـض وشـككه فيها.

ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له العبادة باله وحماقته وانما الفطنة فى نيل اللذات وتمثل له بقول الشاعر:

من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور

ومن رآه شكا فى دينه او فى المعاد والثواب والعقاب صـرح لـه بنفى ذلك وحمله على استباحة المحرمات واسـتروح معـه الـى قول الشاعر الماجن:

أأترك لذة الصهباء صرفا لما وعدوه من لحم وخمر
حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا ام عمرو

ومن رآه من غلاة الرافضة كالسبابية والبيانية والمغيريـة والمنصورية والخطابية لم يحتج معه الى تأويل الآيـات والاخبـار لانهم يتأولونها معهم على وفق ضلالتهم.

ومن رآه من الرافضة زيديا او اماميا مائلا الى الطعن فى اخبار الصحابة دخل عليه من جهة شتم الصحابة وزين لـه بغـض بنى تيم لأن ابا بكر منهم وبغض بني عدى لان عمر بن الخطـاب كان منهم وحثه علـى بغـض بنـى أميـة لانـه كـان منهـم عثمـان ومعاويـة وربمـا اسـتروح البـاطنى فـى عصـرنا هـذا الـى قـول اسماعيل بن عباد:

دخول النار فى حب الوصى وفى تفضيل أولاد النبى
أحب الى من جنات عدن اخلدها بتيم أو عدى

قال عبد القاهر قد أجبنا هذا القائل بقولنا فيه:

أتطمع فى دخول جنات عدن وأنت عدو تيم أو عدى
وهم تركوك أشقى من ثمود وهم تركوك أفضح من دعى
وفى نار الجحيم غدا ستصلى اذا عاداك صديق النبي

ومن رآه الداعى مائلا الى أبى بكر وعمر مدحهما عنده وقال لهما حظ فى تأويل الشرعية ولهذا استصحب النبى أبا بكر الـى الغار ثم الى المدينة وأفضى اليه فى الغار تأويـل شـريعته فـاذا سأله الموالى لأبى بكر وعمـر عـن التأويـل المـذكور لأبـى بكـر وعمر اخذ عليه العهود والمواثيق فى كتمـان مـا يظهـره لـه ثـم ذكر له على التدريج بعـض التـأويلات فـان قبلهـا منـه اظهـر لـه الباقى وان لم يقبل منه التأويل الاول ربطه فـى البـاقى وكتمـه عنه وشك الغر من أجل ذلك فى اركان الشريعة.

الفرق بين الفِرق

والذين يروج عليهم مذهب الباطنية أصناف احدها العامة الذين قتلت بصائرهم بأصول العلم والنظر كالنبط والاكراد وأولاد المجوس.

والصنف الثانى الشعوبية الذين يرون تفضيل العجم على العرب ويتمنون عود الملك الى العجم.

والصنف الثالث اغنام بنى ربيعة من اجل غيظهم على مضر لخروج النبى منهم ولهذا قال عبد الله بن خازم السلمى فى خطبته بخراسان ان ربيعة لم تزل غضابا على الله مذ بعث نبيه من مضر ومن أجل حسد ربيعة لمضر بايعت بنو حنيفة مسيلمة الكذاب طمعا فى ان يكون فى بنى ربيعة نبى كما كان من بنى مضر نبى فاذا استأنس الاعجمى الغر او الربعى الحاسد المطز يقول الباطنى له قومك أحق بالملك من مضر سأله عن السبب فى عود الملك الى قومه فاذا سأله عن ذلك قال له ان الشريعة المضرية لها نهاية وقد دنا انقضاؤها وبعد انقضائها يعود الملك اليكم ثم ذكر له تأويل إنكار شريعة الاسلام على التدريج فاذا قبل ذلك منه صار ملحدا خرسا واستثقل العبادات واستطاب استحلال المحرمات فهذا بيان درجة التفرس منهم.

ودرجة التأنيس قربية من درجة التفرس عندهم وهى تزيين ما عليه الانسان من مذهبه فى عينه ثم سؤاله بعد ذلك عن تأويل ما هو عليه وتشكيكه اياه فى اصول دينه فاذا سأله المدعو عن ذلك قال علم ذلك عند الامام ووصل بذلك منه الى درجة التشكيك حتى صار المدعو الى اعتقاد ان المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها فى اللغة وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات وترك العبادات.

والربط عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل اركان الشريعة فإما ان يقبل منهم تأويلها على وجه يؤول الى رفعها وإما ان يبقى على الشك والحيرة فيها.

ودرجة التدليس منهم قولهم للغر الجاهل بأصول النظر والاستدلال ان الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة وذكر له قوله فى القرآن {فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة

وظاهره من قبله العذاب} فاذا سألهم الغر عن تأويل باطن الباب قالوا جرت سنة الله تعالى فى أخذ العهد والميثاق على رسله ولذلك قال {واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا} وذكروا له قوله {ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون} فاذا حلف الغر لهم بالايمان المغلظة وبالطلاق والعتق وبسبيل الاموال فقد ربطوه بها وذكروا له من تأويل الظواهر ما يؤدى الى رفعها بزعمهم فان قبل الاحمق ذلك منهم دخل فى دين الزنادقة باطلا واستتر بالاسلام ظاهرا وان نفر الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتمها عليهم لانه قد حلف لهم على كتمان ما اظهروه لهم من اسرارهم واذا قبلها منهم فقد حلفوه وسلخوه عن دين الاسلام وقالوا له حينئذ ان الظاهر كالقشر والباطن كاللب واللب خير من القشر.

قال عبد القاهر حكى له بعض من كان دخل فى دعوة الباطنية ثم وفقه الله تعالى لرشده وهداه الى حل ايمانهم أنهم لما وثقوا منه بايمانه قالوا له ان المسمين بالانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة كانوا أصحاب نواميس ومخاريق احبوا الزعامة على العامة فخدعوهم بنيرنجات واستعبدوهم بشرائعهم.

قال هذا الحاكى لي ثم ناقض الذى كشف لى هذا السر بان قال له ينبغى أن تعلم أن محمد بن اسماعيل بن جعفر هو الذى نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له {إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى} قال فقلت سخنت عينك تدعونى الى الكفر برب قديم الخالق للعالم ثم تدعونى مع ذلك الى الاقرار بربوبية انسان مخلوق وتزعم انه كان قبل ولادته الها مرسلا لموسى فان كان موسى عندك رازقا فالذى زعمت انه ارسله اكذب فقال لى انك لا تفلح أبدا وندم على افشاء اسراره الى وتبت من بدعتهم.

فهذا بيان وجه حيلهم على اتباعهم وأما ايمانهم فان داعيهم يقول للحالف جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ الله تعالى من النبيين من عهد وميثاق انك تستر ما تسمعه منى وما تعلمه من امرى ومن أمر الامام الذى هو صاحب زمانك وأمر أشياعه واتباعه فى هذا البلد وفى سائر البلدان وامر المطيعين له من الذكور والاناث فلا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا ولا تظهر شيئا يدل عليه من كتابة او اشارة إلا ما أذن لك فيه الامام صاحب الزمان او أذن لك فى اظهاره المأذون له فى دعوته فتعمل فى ذلك حينئذ بمقدار ما يؤذن لك فيه وقد جعلت على نفسك الوفاء بذلك وألزمته نفسك فى حالتى الرضاء والغضب والرغبة والرهبة قال نعم فاذا قال نعم قال له وجعلت على نفسك أن تمنعنى وجميع من اسميه لك مما تمنع منه نفسك بعهد الله تعالى وميثاقه عليك وذمته وذمة رسله وتنصحهم نصحا ظاهرا وباطنا وألا تخون الامام وأولياءه واهل دعوته فى أنفسهم ولا فى أموالهم وأنك لا تتأول فى هذه الايمان تأويلا ولا تعتقد ما يحلها وإنك إن فعلت شيئا من ذلك فانت برىء من الله ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل الله تعالى من كتبه وانك ان خالفت فى شىء مما ذكرناه لك فلله عليك ان تحج الى بيته مائة حجة ماشيا نذرا واجبا وكل ما تملكه فى الوقت الذى أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين وكل مملوك يكون فى ملكك يوم تخالف فيه او بعده يكون حرا وكل امرأة لك الآن او يوم مخالفتك او تتزوجها بعد ذلك تكون طالقا منك ثلاث طلقات والله تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به فاذا قال نعم قال له كفى بالله شهيدا بيننا وبينك فاذا حلف الغر بهذه الايمان ظن انه لا يمكن حلها ولن يعلم الغر انه ليس لايمانهم عندهم مقدار ولا حرمة وانهم لا يرون فيها ولا فى حلها إثما ولا كفارة ولا عارا ولا عقابا فى الآخرة وكيف يكون لليمين بالله وبكتبه ورسله عندهم حرمة وهم لا يقرون بإله قديم بل يقرون بحدوث العالم ولا يثبتون كتابا منزلا من السماء ولا رسولا ينزل عليه الوحي من السماء وكيف يكون

الفرق بين الفِرق

لايمان المسلمين عندهم حرمة ومن دينهم أن الله الرحمن الرحيم انما هو زعيمهم الذي يدعو اليه ومن مال منهم الى دين المجوس زعم أن الإله نور بازائه شيطان قد غلبه ونازعه فى ملكه وكيف يكون لنذر الحج والعمرة عندهم مقدار وهم لا يرون للكعبة مقدارا ويسخرون بمن يحج ويعتمر وكيف يكون للطلاق عندهم حرمة وهم يستحلون كل امرأة من غير عقد فهذا بيان حكم الايمان عندهم

فأما حكم الايمان عند المسلمين فإنا نقول كل يمين يحلف بها الحالف ابتداء بطوع نفسه فهو على نيته وكل يمين يحلف بها عند قاض او سلطان يحلفه ينظر فيها فان كانت يمينا فى دعوى لمدع شيئا على الحالف المنكر وكان المدعى ظالما للمدعى عليه فيمن الحالف على نيته وان كان المدعى محقا والمنكر ظالما للمدعى فيمين المنكر على نية القاضى او السلطان الذي أحلفه ويكون الحالف خائنا فى يمينه.

واذا صحت هذه المقدمة فالباحث عن دين الباطنية اذا قصد اظهار بدعتهم للناس او اراد النقض عليهم معذور فى يمينه وتكون يمينه على نيته فاذا استثنى بقلبه مشيئة الله تعالى فيها لم ينعقد عليه ايمانه ولم يحنث فيها باظهاره أسرار الباطنية للناس ولم تطلق نساؤه ولا تعتق مماليكه ولا تلزمه صدقة بذلك وليس زعيم الباطنية عند المسلمين إماما ومن اظهر سره لم يظهر سر امام وانما اظهر سر كافر زنديق وقد جاء فى ذكر الحديث المأثور اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس فهذا بيان حيلتهم على الاغمار بالايمان.

فاما احتيالهم على الأغمار بالتشكيك فمن جهة أنهم يسألونهم عن مسائل من احكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة وربما سألوهم عن مسائل فى المحسوسات يوهمون ان فيها علوما لا يحيط بها إلا زعيمهم فمن مسائلهم قول الداعى منهم للغر لم صار للانسان أذنان ولسان واحد ولم صار للرجل ذكر واحد وخصيتان ولم صارت الأعصاب متصلة لدماغ والأوراد متصلة بالكبد والشرايين متصلة بالقلب ولم صار

الفرق بين الفِرق

الانسان مخصوصا بنبات الشعر على جفنيه الأعلى والاسفل وسائر الحيوان ينبت الشعر على جفنه الأعلى دون الاسفل ولم صار ثدى الانسان على صدره وثدى البهائم على بطونها ولماذا لم يكن للفرس غدد ولا كرش ولا كعب وما الفرق بين الحيوان الذى يبيض ولا يلد ولا يبيض وبماذا يميز بين السمكة النهرية والسمكة البحرية ونحو هذا كثير يوهمون ان العلم بذلك عند زعيمهم.

ومن مسائلهم فى القرآن سؤالهم عن معاني حروف الهجاء فى أوائل السور كقوله الم وحم وطس وبس وطه وكهيعص وربما قالو ما معنى كل حرف من حروف الهجاء ولم صارت حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفا ولم عجم بعضها بالنقط وخلا بعض من النقط ولم جاز وصل بعضها بما بعدها بحرف وربما للغر ما معنى قوله {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية} ولم جعل الله تعالى أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ وما معنى قوله {عليها تسعة عشر} ومافائدة هذا العدد ؟ وربما سألوا عن آيات أوهموا فيها التناقض، وزعموا انه لا يعرف تأويلها الا زعيمهم، كقوله {فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان} مع قوله فى موضع آخر {فوربك لنسألنهم أجمعين}.

ومنها مسائلهم فى أحكام الفقه كقولهم لم صارت صلاة الصبح ركعتين والظهر اربعا والمغرب ثلاثا ولم صار فى كل ركعة ركوع واحد وسجدتان ولم كان الوضوء على اربعة اعضاء والتيمم على عضوين ولم وجب الغسل من المنى وهو عند اكثر المسلمين طاهر ولم يجب الغسل من البول مع نجاسته عند الجميع ولم أعادت الحائض ما تركت من الصيام ولم تعد ما تركت من الصلاة ولم كانت العقوبة فى السرقة بقطع اليد وفى الزنى بالجلد وهلا قطع الفرج الذى به زنى فى الزنى كما قطعت اليد التى بها سرق فى السرقة فاذا سمع الغر منهم هذه الاسئلة ورجع اليهم فى تأويلها قالوا له علمها عند امامنا وعند المأذون له فى كشف أسرارنا فاذا تقرر عند الغر ان

امامهم او ما دونه هو العالم بتأويله اعتقد ان المراد بظواهر القرآن والسنة غير ظاهرها فاخرجوه بهذه الحيلة عن العمل باحكام الشريعة فاذا اعتاد ترك العبادة واستحل المحرمات كشفوا له القناع وقالوا له لو كان لنا اله قديم غنى عن كل شىء لم يكن له فائدة فى ركوع العباد وسجودهم ولا فى طوافهم حول بيت من حجر ولا فى سعى بين جبلين فاذا قبل منهم ذلك فقد انسلخ عن توحيد ربه وصار جاحدا له زنديقا.

قال عبد القاهر والكلام عليهم فى مسائلهم التي يسألون عنها عند قصدهم الى تشكيك الاغمار فى اصول الدين من وجهين:

أحدهما أن يقال لهم انكم لا تخلون من أحد أمرين اما أن تقروا بحدوث العالم وتثبتوا له صانعا قديما عالما حكيما يكون له تكليف عباده ما شاء كيف شاء وإما ان تنكروا ذلك وتقولوا بقدم العالم ونفى الصانع فان اعتقدتم قدم العالم ونفى الصانع فلا معنى لقولكم لم فرض الله كذا ولم حرم كذا ولم خلق كذا ولم جعل كذا على مقدار كذا اذا لم تقروا باله فرض شيئا أو حرمه او خلق شيئا او قدره ويصير الكلام بيننا وبينكم كالكلام بيننا وبين الدهرية فى حدوث العالم وإن أقررتم بحدوث العالم وتوحيد صانعه وأجزتم له تكليف عباده ما شاء من الاعمال كان جواز ذلك جوابا لكم عن قولكم لم فرض ولم حرم كذا لاقراركم بجواز ذلك منه إن أقررتم به وبجواز تكليفه وكذلك سؤالهم عن خاصية المحسوسات يبطل إن أقروا بصانع احدثها وان أنكرواالصانع فلا معنى لقولهم لم خلق الله ذلك مع انكارهم أن يكون لذلك صانع قديم.

والوجه الثانى من الكلام عليهم فيما سألوا عنه من عجائب خلق الحيوان ان يقال لهم كيف يكون زعماء الباطنية مخصوصين بمعرفة علل ذلك وقد ذكرته الاطباء والفلاسفة فى كتبهم وصنف ارسطا طاليس فى طبائع الحيوان كتابا وما ذكرت الفلاسفة من هذا النوع شيئا إلا مسروقا من حكماء العرب الذين كانوا قبل زمان الفلاسفة من العرب القحطانية

الفرق بين الفِرق

والجرهمية والطسمية وسائر الاصناف الحميرية وقد ذكرت العرب فى اشعارها وأمثالها جميع طبائع الحيوان ولم يكن فى زمانها باطنى ولا زعيم للباطنية وإنما أخذ ارسطاطاليس الفرق بين ما يلد وما يبيض من قول العرب فى أمثالها كل شرقاء ولود وكل صكاء بيوض ولهذا كان الخفاش من الطير ولودا لا يبوضا لان لها أذنا شرقاء وكل ذات أذن صكاء بيوض كالحية والضب والطيور البائضة.

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى وعبد الملك بن قريب الأصمعى أن العرب قالت بتحريمها فى الجاهلية أن كل حيوان لعينيه أهداب على الجفن الأعلى دون الاسفل لا الانسان فان اهدابه على الجفن الأعلى والاسفل وقالوا كل حيوان ألقى فى الماء يسبح فيه إلا الإنسان والقرد والفرس الاعسر فانه يغرق فيه إلا أن يتعلم الانسان السباحة.

وقالوا في الانسان انه اذا قطع رأسه وألقى فى الماء انتصب قائما فى وسط الماء وقالوا كل طائر كفه فى رجليه وكف الانسان والقرد فى اليد وكل ذى أربع ركبته فى يده وركبتا الانسان فى رجليه وقالوا ليس للفرس غدد ولا كرش ولا طحال ولا كعب وليس للبعير مرارة وليس للظليم مخ وكذلك طير الماء وحيتان البحر ليس لها ألسن ولا أدمغة وقد يكون حوت النهر ذا لسان ودماغ وقالوا ان السموك كلها لا رئة لها كذلك ولا تتنفس وقالت العرب من تجاربها ان الضأن تضع فى السنة مرة وتفرد ولا تتيم والماعز تضع فى السنة مرتين وتضع الواحدة والاثنتين والثلاثة والعدد والنماء والبركة فى الضأن اكثر منها فى الماعز وقالوا ايضا اذا رعت الضان نبتا وفصيلا نبت ولا ينبت ما يأكله الماعز لأن الضأن تقرضه بأسنانها والماعز تقلعه من أصله وقالوا ان الماعز اذا حملت انزلت اللبن اول الحمل الى الضرع والضائنية لا تنزل اللبن الا عند الولادة وقالوا إن اصوات الذكور من كل جنس أجهر من اصوات الاناث الا المعزى فان اصوات اناثها اجهر من اصوات ذكورها.

الفرق بين الفِرق

ومن امثال العرب فى الحيوان فهو لهم كل ثور افطس وكل بعير اعلم وكل ذى ناب افرج وقالوا بالتجربة ان الاسد لا يأكل شيئا حامضا ولا يدنو من النار ولا يدنو من الحامض وقالوا ان حمل الكلب ستون يوما فان وضعت حملها لأقل من ذلك لم تكد اولادها تعيش وقالوا ان اناث الكلاب يحضن لسبعة اشهر ثم ان الكلبة تحيض فى كل سبعة ايام وعلامة حيضها ورم اثغارها وقالوا فى الكلب انه لا يلقى من اسنانه شيئا الا الثامن وقالوا فى الذئب انه ينام باجدى عينيه ويحترس بالاخرى ولذلك قال فيه حميد بن ثور:

ينام باحدى مقلتيه ويتقى باخرى المنايا فهو يقظان نائم

والارنب تنام مفتوحة العينين وقالوا ليس في الحيوان ما لسانه مقلوب الا الفيل وليس في ذوات الاربع ماثديه على صدره الا الفيل وقالوا ان الفيل تضع لسبع سنين والحمار لسنة والبقرة في ذلك كالمرأة وقالوا في قضيب الارنب والثعلب انه عظم وقالوا كل ذى رجلين اذا انكسرت احداهما قام على الاخرى وعرج الا الظليم فانه اذا انكسرت احدى رجليه جثم في مكانه ولهذا قال الشاعر فى نفسه واخيه:

فانى واياه كرجلى نعامة على ما بنامن ذى غنى وذى فقر

يريد لا غنى لأحدهما عن صاحبه وقالوا في النعامة أنها تبيض من ثلاثين بيضة الى اربعين لكنها تخرج ثلاثين منها تحضن عليها كخيط ممدود على الاستواء وربما تركت بيضها وحضنت بيض غيرها ولهذا قال فيها ابن هرمة:

كتاركة بيضها بالعرا وملبسة بيض اخرى جناحا

وقالوا فى الفرج والفروج انهما يخلقان من البياض والصفرة غذاؤهما وقالوا فى القطا انها لا تضع الا فردا وفى العقاب انها تضع ثلاث بيضات فتخرج بيضتين وتطرح واحدة فيخرجها الطير المعروف بكاسى العظام ولهذا قيل فى المثل أبر من كاسى العظام وقالوا فى الضب انها تضع سبعين بيضة ولكنها ولكنها تأكل ما خرج من الحسولة عن البيض إلا الحسل الذى يعدو ويهرب منها ولهذا قالوا فى المثل أعق من ضب والضب لا يرد

الماء ولهذا قالوا فى المثل اروى من ضب وقالوا في الضب إنه ذو ذكرين وللأنثى من الضباب فرجان من قبل وقالوا في الحيـة لها لسانان ولسانها اسود على اختلاف الـوان قشـرها والحيـات كلها تكره ريح السذاب والبنفسج وتعجب بريح التفـاح والبطيـخ والجرو والخرذل واللبن والخمر وقالوا في الضفادع انها لا تصيح الا وفي افواهها الماء ولا تصيح في دجلة بحال وان صـاحت فـي الفرات وسائر الانهار وقال الشاعر فى الضفدع:

يدخل في الاشداق ما ينضفه حتى ينق والنقيق يتلفه

يعنى ان نقيقها يدل عليها الحية فتصيدها فتأكلها وقالوا ان الضفادع لا عظام لها وقالوا في الجعل انـه اذا دفـن فـي الـورد سكن كالميت فاذا اعيد الى الروث تحرك.

فهذا وما جرى مجراه من خواص الحيوانـات وغيرهـا قـد عرفته العرب في جاهليتها بالتجارب مـن غيـر رجـوع منهـا الـى زعمـاء الباطنيـة بـل عرفوهـا قبـل وجـود الباطنيـة فـي الـدنيا باحقاب كـثيرة وفـي هـذا بيـان كـذب الباطنيـة فـي دعواهـا أن زعماءها مخصصون بمعرفة أسرار الاشـياء وخواصـها وقـد بينـا خروجهم عن جميع فرق الاسلام بما فيه كفاية والحمد لله علـى ذلك.

{الباب الخامس}
من ابواب هذا الكتاب
في بيان اوصاف الفرقة الناجية وتحقيق النجاة لها وبيان محاسنها

هذا باب يشتمل على فصول هذه ترجمتها

1) فصل في بيان أصناف فرق السنة والجماعه
2) فصـل فـى بيـان تحقيـق النجـاة لاهـل السـنة والجماعة
3) فصل فى بيـان الاصـول الـتي اجتمـع عليهـا اهـل السنة والجماعه

4) فصل فى بيان قول اهل السنة فى السلف الصالح من الأمة
5) فصل في بيان عصمة أهل السنة عن تكفير بعضهم بعضا
6) فصل في بيان فضائل أهل السنة وأنواع علومهم وذكر أئمتهم
7) فصل في بيان آثار أهل السنة في الدين والدنيا وذكر مفاخرهم فيهما.

فهذه فصول هذا الباب، وسنذكر فى كل منها مقتضاه بعون الله وتوفيقه.

{الفصل الأول}
من فصول هذا الباب
في بيان أصناف أهل السنة والجماعة

اعلموا أسعدكم الله أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف من الناس:

صنف منهم أحاطوا علما بأبواب التوحيد والنبوة وأحكام الوعد والوعيد، والثواب والعقاب، وشروط الإجتهاد، والإمامة، والزعامة، وسلكوا في هذا النوع من العلم طرق الصفاتية من المتكلمين الذين تبرءوا من التشبيه والتعطيل، ومن بدع الرافضة والخوارج والجهية والنجارية وسائر أهل الأهواء الضالة.

والصنف الثاني منهم: أئمة الفقه من فريقي الرأي والحديث، من الذين اعتقدوا في أصول الدين مذاهب الصفاتية في الله وفي صفاته الأزلية، وتبرءوا من القدر والإعتزال، وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل، وأثبتوا الحشر من القبور، مع إثبات السؤال في القبر، زمع إثبات الحزض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب التى دون الشرك.

وقالوا: بدوام نعيم الجنة على أهلها، ودوام عذاب النار على الكفرة،

وقالوا: بإمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأحسنوا الثناء على السلف الصالح من الأمة، ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرءوا من أهل الأهواء الضالة، وروأوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ومن إجماع الصحابة، ورأوا جواز المسح على الخفين، ووقوع الطلاق الثلاث، ورأوا تحريم المتعة، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية.

ويدخل في هذه الجماعة أصحاب مالك والشافعي والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة وابن أبي ليلى وأصحاب أبي ثور وأصحاب أحمد بن حنبل وأهل الظاهر وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية، ولم يخلطوا فقهه بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة.

والصنف الثالث منهم: هم الذين أحاطوا علما بطرق الأخبار والسنن المأثورة عن النبي عليه السلام، وميزوا بين الصحيح والسقيم منها، وعرفوا أسباب الجرح والتعديل، ولم يخلطوا علمهم بذلك بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة.

والصنف الرابع منهم قوم احاطوا علما باكثر ابواب الادب والنحو والتصريف وجروا على سمت أئمة اللغة كالخليل وابى عمرو بن العلاء وسيبويه والفراء والاخفش والأصمعى والمازنى وأبى عبيد وسائر ائمة النحو من الكوفيين والبصريين الذين لم يخلطوا علمهم بذلك بشىء من بدع القدرية او الرافضة او الخوارج ومن مال منهم الى شىء من الاهواء الضالة لم يكن من اهل السنة ولا كان قوله حجة فى اللغة والنحو.

والصنف الخامس منهم هم الذين أحاطوا علما بوجوه قراءات القرآن وبوجوه تفسير آيات القرآن وتأويلها على وفق مذاهب اهل السنة دون تأويلات اهل الاهواء الضالة

والصنف السادس منهم الزهاد الصوفية الذين ابصروا فاقصروا واختبروا فاعتبروا ورضوا بالمقدور وقنعوا بالميسور وعلموا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك مسئول عن الخير والشر ومحاسب على مثاقيل الذر فاعدوا خير الاعتداد ليوم

المعاد وجرى كلامهم فى طريقى العبارة والاشارة على سمت اهل الحديث دون من يشترى لهو الحديث لا يعملون الخير رياء ولا يتركونه حياء دينهم التوحيد ونفى التشبيه ومذهبهم التفويض الى الله تعالى والتوكل عليه والتسليم لامره والقناعة بما رزقوا والإعراض عن الاعتراض عليه {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}.

السابع منهم قوم مرابطون فى ثغور المسلمين فى وجوه الكفرة يجاهدون اعداء المسلمين ويحمون حمى المسلمين ويذبون عن حريمهم وديارهم ويظهرون فى ثغورهم مذاهب اهل السنة والجماعة وهم الذين انزل الله تعالى فيهم قوله {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} زادهم الله تعالى توفيقا بفضله ومنه.

والصنف الثامن منهم عامة البلدان التى غلب فيها شعائر اهل السنة دون عامة البقاع التى ظهر فيها شعار اهل الاهواء الضالة.

وانما اردنا بهذه الصنف من العامة عامة اعتقدوا تصويب علماء السنة والجماعة فى ابواب العدل والتوحيد والوعد والوعيد ورجعوا اليهم فى معالم دينهم وقلدوهم في فروع الحلال والحرام ولم يعتقدوا شيئا من بدع اهل الاهواء الضالة وهؤلاء هم الذين سمتهم الصوفية حشو الجنة.

فهؤلاء اصناف اهل السنة والجماعة ومجموعهم اصحاب الدين القويم والصراط المستقيم ثبتهم الله تعالى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة انه بالإجابة جدير وعليها قدير.

{الفصل الثانى}
من فصول هذا الباب
فى بيان تحقيق النجاة لاهل السنة والجماعة

قد ذكرنا فى الباب الاول من هذا الكتاب ان النبى عليه السلام لما ذكر افتراق امته بعده ثلاثا وسبعين فرقة وأخبر ان

الفرق بين الفِرق

فرقة واحدة منها ناجية سئل عن الفرقة الناجية وعن صفتها فأشار الى الذين هم على ما عليه هو واصحابه ولسنا نجد اليوم من فرق الامة من هم على موافقة الصحابة رضى الله عنهم غير اهل السنة والجماعة من فقهاء الامة ومتكلميهم الصفاتية دون الرافضة والقدرية والخوارج والجهمية والنجارية والمشبهة والغلاة والحلولية.

اما القدرية فكيف يكونون موافقيه للصحابة وقد طعن زعيمهم النظام فى اكثر الصحابة وأسقط عدالة ابن مسعود ونسبه الى الضلال من اجل روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم {ان السعيد من سعد فى بطن امه والشقى من شقى فى بطن امه} وروايته انشقاق القمر وما ذاك منه الا لانكاره معجزات النبى عليه السلام وطعن فى فتاوى عمر رضى الله عنه من اجل انه حد فى الخمر ثمانين ونفى نصر بن الحجاج الى البصرة حين خاف فتنته نساء المدينة به وما هذا منه الا لقلة غيرته على الحرم وطعن فى فتاوى على رضى الله عنه لقوله فى امهات الاولاد ثم رأيت أنهن يبعن وقال من هو حتى يحكم برأيه وثلب عثمان رضى الله عنه لقوله فى الخرقا بقسم المال بين الجد والام والاخت ثلاثا بالسوية ونسب ابا هريرة الى الكذب من اجل ان الكثير من رواياته على خلاف مذاهب القدرية وطعن فى فتاوى كل من افتى من الصحابة بالاجتهاد وقال ان ذلك منهم انما كان لأجل امرين إما لجهلهم بان ذلك لا يحل لهم وإما لانهم ارادوا ان يكونوا زعماء وارباب مذاهب تنسب اليهم فنسب اخيار الصحابة الى الجهل او النفاق والجاهل باحكام الدين عنده كافر والمتعمد للخلاف بلا حجة عنده منافق كافر او فاسق فاجر وكلاهما من أهل النار على الخلود فاوجب بزعمه على أعلام الصحابة الخلود فى النار التى هو بها أولى ثم انه أبطل اجماع الصحابة ولم ير حجة وأجاز اجتماع الامة على الضلالة فكيف يكون على سمت الصحابة مقتديا بهم من يرى مخالفة جميعهم واجبا اذا كان رأيه خلاف رأيهم.

وكان زعيمهم واصل بن عطا الغزال يشك فى عدالة على وابنيه وابن عباس وطلحة والزبير وعائشة وكل من شهد حـرب الجمل من الفريقين ولذلك ق ال لـو شـهد عنـدي علـى وطلحـة على باقة بقل لم احكم بشهادتهما لعلمى بان احدهما فاسق ولا أعرفه بعينه فجائز على اصله أن يكـون علـى واتبـاعه فاسـقين مخلدين فى النـار وجـائز ان يكـون الفريـق الآخـر الـذين كـانوا أصحاب الجمل فى النار خالدين فشك فى عدالة علـى وطلحـة والزبير مع شهادة النبى عليه السلام لهؤلاء الثلاثـة بالجنـة ومـع دخولهم فى بيعة الرضوان وفـى جملـة الـذين قـال اللـه تعـالى فيهم {لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونـك تحـت الشـجرة فعلم ما فى بطونهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا}.

وكان عمرو بن عبيد يقول بقول واصل فى فريقي الجمل وزاد عليه القول بالقطع علـى فسـق كـل فرقـة مـن الفرقـتين وذلـك ان واصـلا إنمـا قطـع بفسـق أحـد الفريقيـن ولـم يحكـم بشهادة رجلين أحدهما من أصـحاب علـى والآخـر مـن أصـحاب الجمل وقبل شهادة رجلين من أصـحاب علـى وشـهادة رجليـن من أصحاب الجمل وقال عمرو بن عبيد لا أقبل شهادة الجماعة منهم سواء كانوا من أحد الفريقين وكان بعضهم من حزب على وبعضهم من حزب الجمل فاعتقد فسق الفريقين جميعا.

وواجب على أصله ان يكون على وابناه وابن عباس وعمار وأبو أيـوب الانصـارى وخزيمـة بـن ث ابت الانصـارى الـذى جعـل رسول الله شهادته بمنزلة شهادة رجلين عدلين وسائر أصـحاب على مع طلحة والزبير وعائشة وسائر اصحاب الجمل فاسـقين مخلدين فى النار وفيهم من الصحابة الوف وقـد كـان مـع علـى خمسة وعشرون بدريا واكثر اصحاب أحد وستمائة من الانصـار وجماعة من المهاجرين الاولين.

وقد كان أبو الهذيل والجاحظ واكثر القدرية فى هذا الباب على رأى واصل بن عطا فيهم فكيف يكون مقتديا بالصحابة من يفسق اكـثرهم ويراهـم مـن أهـل النـار ومـن لا يـرى شـهادتهم مقبولة كيف يقبل روايتهم ومن رد رواياتهم ورد شهاداتهم خـرج

عن سمتهم ومتابعتهم وانما يقتدى بهم من يعمل برواياتهم ويقبل شهاداتهم كدأب أهل السنة والجماعة فى ذلك.

واما الخوارج فقد اكفروا عليا وابنيه وابن عباس وابا أيوب الانصارى واكفروا ايضا عثمان وعائشة وطلحة والزبير واكفروا كل من لم يفارق عليا ومعاوية بعد التحكيم واكفروا كل ذى ذنب من الامة ولا يكون على سمت الصحابة من يقول بتكفير اكثرها.

واما الغلاة من الروافض كالسبابية والبيانية والمغيرية والمنصورية والجناحية والخطابية وسائر الحلولية فقد بينا خروجهم عن فرق الاسلام وبينا أنهم فى عداد عبدة الاصنام أو فى عداد الحلولية من النصارى وليس لعبدة الاصنام ولا للنصارى وسائر الكفرة بالصحابة اسوة ولا قدوة.

واما الزيدية منهم فالجارودية منهم يكفرون أبا بكر وعمر وعثمان واكثر الصحابة ولا يقتدى بهم من يكفر اكثرهم.

والسليمانية والبترية من الزيدية يكفرون عثمان او يوقفون فيه ويفسقون ناصريه ويكفرون اكثر اصحاب الجمل.

واما الامامية منهم فقد زعم اكثرهم أن الصحابة ارتدت بعد النبى سوى على وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم.

وزعمت الكاملية منهم أن عليا ايضا ارتد وكفر بتركه قتالهم فكيف يكون على سمت الصحابة من يقول بتكفيرهم.

ثم نقول كيف يكون الرافضة والخوارج والقدرية والجهمية والنجارية والبكرية والضرارية موافقين للصحابة وهم بأجمعهم لا يقبلون شيئا مما روى عن الصحابة فى أحكام الشريعة لامتناعهم من قبول روايات الحديث والسير والمغازى من اجل تكفيرهم لأصحاب الحديث الذين هم نقلة الاخبار والآثار ورواه التواريخ والسير ومن اجل تكفيرهم فقهاء الامة الذين ضبطوا آثار الصحابة وقاسوا فروعهم على فتاوى الصحابة.

ولم يكن بحمد الله ومنه فى الخوارج ولا فى الروافض ولا فى الجهمية ولا فى القدرية ولا فى المجسمة ولا فى سائر اهل الاهواء الضالة قط إمام فى الفقه ولا إمام فى رواية الحديث

ولا إمام فى اللغة والنحو ولا موثوق به فى نقل المغازى والسير والتواريخ ولا إمـام فـي الـوعظ والتـذكير ولا إمـام فـى التأويـل والتفسير وانما كان أئمة هذه العلوم علـى الخصـوص والعمـوم من اهل السنة والجماعة واهل الاهواء الضالة اذا ردوا الروايات الواردة عن الصحابة فى احكامهم وسيرهم لـم يصـح اقتـداؤهم بهم متى لم يشاهدوهم ولم يقبلوا رواية اهل الرواية عنهم.

وبان من هذا أن المقتدين بالصحابة من يعمل بما قد صح بالرواية الصحيحة في احكامهم وسيرهم وذلك سنة اهل السـنة دون ذوى السنة وصح بصحة مـا ذكرنـاه تحقيـق نجـاتهم كحكـم النبى بنجاة المقتدين باصحابه والحمد لله على ذلك.

{الفصل الثالث}

من فصول هذا الباب

في بيان الاصول التى اجتمعت عليها اهل السنة

قد اتفق جمهور اهل السنة والجماعة على اصول من اركان الدين

كل ركن منها يجب على كـل عاقـل بـالغ معرفـة حقيقتـه ولكـل ركن منها شعب وفي شعبها مسائل اتفق اهل السنة فيهـا علـى قول واحد وضللوا من خالفهم فيها.

1) واول الاركان التى رأوها من اصـول الـدين اثبـات الحقائق والعلوم على الخصوص والعموم
2) والركـن الثـانى هـو العلـم بحـدوث العـالم فـي اقسامه من اعراضه واجسامه
3) والركن الثالث فى معرفة صـانع العـالم وصـفات ذاته
4) والركن الرابع في معرفة صفاته الازلية
5) والركن الخامس في معرفة اسمائه واوصافه
6) والركن السادس في معرفة عدله وحكمته
7) والركن السابع في معرفة رسله وانبيائه

8) والركـن الثـامن فـي معرفـة معجـزات الانبيـاء وكرامات الاولياء
9) والركن التاسع في معرفة ما أجمعت الامـة عليـه من اركان شريعة الاسلام
10) والركن العاشر في معرفـة احكـام الامـر والنهـى والتكليف
11) والركـن الحـادى عشـر فـي معرفـة فنـاء العبـاد وأحكامهم فى المعاد
12) والركن الثانى عشر في معرفة الخلافـة والامامـة وشروط الزعامة
13) والركـن الثـالث عشـر كـذا فـي احكـام الايمـان والاسلام في الجملة
14) والركن الرابع عشـر فـي معرفـة احكـام الاوليـاء ومراتب الأئمة الاتقياء
15) والركن الخامس عشر في معرفة احكام الاعــداء من الكفرة واهل الاهواء.

فهذه اصول اتفق أهل السنة على قواعدها وضـللوا مـن خالفهم فيها وفى كل ركن منها مسـائل اصـول ومسـائل فـروع وهم يجمعون علـى اصـولها وربمـا اختلفـوا فـى بعـض فروعهـا اختلافا لا يوجب تضليلا ولا تفسيقا.

فأما الركن الاول فى اثبات الحقائق والعلوم،

فقد اجمعوا على اثبات العلوم معانى قائمة بالعلماء وقالوا بتضليل نفـاة العلـم وسـائر الاعـراض وبتجهيـل السوفسـطائية الذين ينفون العلم وينفون حقائق الاشياء كلها وعدوهم معاندين لما قد علموه بالضرورة وكذلك السوفسطائية الذين شكوا فـى وجود الحقائق وكذلك الذين قالوا منهم بان حقائق الاشياء تابعة للاعتقاد وصححوا جميع الاعتقـادات مـع تضـادها وتنافيهـا وهـذه الفرق الثلاث كلها كفرة معاندة لموجبات العقول الضرورية.

وقال أهل السنة ان علوم الناس وعلوم سائر الحيوانـات ثلاثة انواع علم بديهى وعلم حسى وعلم اسـتدلالى وقـالوا مـن

الفرق بين الفِرق

جحـد العلـوم البديهيـة او العلـوم الحسـية الواقعـة مـن جهـة الحواس الخمس فهو معاند ومن انكر العلـوم النظريـة الواقعـة عن النظر والاستدلال نظر فيه فان كان مـن السـمنية المنكـرة للنظر في العلوم العقلية فهو كافر ملحد وحكمه حكـم الدهريـة لقوله معهم بقدم العالم وانكار الصانع مع زيـادته عليهـم القـول بابطال الاديان كلها وان كان ممن يقـول بـالنظر فـي العقليـات وينكر القياس في فـروع الاحكـام الشـرعية كأهـل الظـاهر لـم يكفر بانكار القياس الشرعى.

وقالوا بان الحواس التى يدرك بها المحسوسات خمس وهى حاســة البصــر لادراك المرئيــات وحاســة الســمع لادراك المسـموعات وحاسـة الـذوق لادراك الطعـوم وحاسـة الشـم لادراك الروائــح وحاســة اللمــس لادراك الحــرارة والــبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة بها.

وقالوا ان الاوراكات الواقعة من جهة هذه الحواس معانى قائمة بالآلات التى تسمى حواس وضللوا ابا هاشـم بـن الجبـاى فـى قـوله ان الادراك ليـس بمعنـى ولا عـرض ولا شـىء سـوى المدرك.

وقالوا ان الخبر المتواتر طريق العلم الضرورى بصحة ما تواتر عنه الخبر اذا كان المخبر عنه مما يشاهد ويـدرك بـالحس والضرورة كالعلم بصحة وجود ما تواتر الخـبر فيـه مـن البلـدان التى لم يدخلها السـامع المخـبر عنهـا او كعلمنـا بوجـود الانبيـاء والملوك الذين كانوا قبلنا فاما صحة دعاوى الانبيـاء فـي النبـوة فمعلوم لنا بالحجج النظرية.

واكفروا من انكر من السمنية وقوع العلم من جهة التواتر.

وقالوا ان الاخبار التى يلزمنا العمل بها ثلاثة انـواع تـواتر وآحاد ومتوسط بينهما مستفيض.

فالخبر المتواتر الذى يستحيل التواطؤ على وضعه يوجب العلم الضروري بصـحة مخـبره وبهـذا النـوع مـن الاخبـار علمنـا البلدان التى لم نـدخلها وبهـا عرفنـا الملـوك والانبيـاء والقـرون

الذين كانوا قبلنا وبه يعرف الانسان والديه اللـذين هـو منسـوب اليهما.

وأما اخبار الآحاد فمتى صح اسـنادها وكـانت متونهـا غيـر مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بهـا دون العلـم وكـانت بمنزلة شهادة العدول عند الحاكم فى انه يلزمه الحكم بهـا فـى الظاهر وان لم يعلم صدقهم فى الشهادة.

وبهذا النوع من الخبر اثبت الفقهـاء اكـثر فـروع الاحكـام الشــرعية فــى العبــادات والمعــاملات وســائر ابــواب الحلال والحرام وضللوا مـن اسـقط وجـوب العمـل باخبـار الآحـاد فـي الجملة من الرافضة والخوارج وسائر اهل الاهواء.

واما الخبر المستفيض المتوسط بين التواتر والآحاد فانه يشارك التواتر فى ايجابه للعلم والعمـل ويفـارقه مـن حيـث ان العلم الواقع عنه يكون علما مكتسبا نظريـا والعلـم الواقـع عـن التواتر يكون ضروريا غير مكتسب.

وهذا النوع من الخبر على اقسام:

منها اخبار الانبياء فى انفسهم وكذلك خبر من أخبر النبى عن صدقه يكون العلم لصدقه مكتسبا

ومنها الخبر المنتشر من بعض الناس اذا اخبر به بحضرة قوم لا يصح منهم التواطؤ على الكذب وادعى عليهـم وقـوع مـا اخبر عنه بحضرتهم فاذا لم ينكر عليـه احـد منهـم علمنـا صـدقة فيه.

وبهذا النوع من الاخبار علمنا معجزة نبينا فى انشقاق القمر وتسبيح الحصا فى يده وحنين الجـذع اليـه لمـا فـارقه واشـباعه الخلق الكثير من الطعام اليسير ونحـو ذلـك مـن معجزاتـه غيـر القرآن المعجز نظمه فان ثبـوت القـرآن وظهـوره عليـه وعجـز العرب والعجم عـن المعارضـة بمثلـه معلـوم بـالتواتر المـوجب للعلم الضروري.

ومنها أخبار مستفيضـة بيـن ائمـة الحـديث والفقـه وهـم مجمعون على صحتها كالاخبار في الشفاعة والحساب والحوض والصراط والميزان وعذاب القبر وسؤال الملكين فى القبر.

وكذلك الأخبار المستفيضة فى كثير من احكام الفقه كنصب الزكاة واخبار الهوا وحد الخمر فى الجملة والاخبار فـى المسـح على الخفين وفى الرجم وما أشبه ذلك مما اجمع الفقهـاء علـى قبول الاخبار فيها وعلى العمل بمضمونها.

وضللوا من خالف فيها من أهل الاهواء كتضليل الخوارج في انكارها الرجم وتضليل من انكر من النجدات حد الخمر وتضليل من انكر المسح على الخفين وتكفير من أنكر الرؤيـة والحـوض والشفاعة وعذاب القبر.

وكذلك ضللوا الخوارج الذين قطعوا يد السارق في القليل والكثير من الحرز وغير الحرز كردهم الاخبار الصحاح في اعتبار النصاب والحرز في القطع.

وكما ضللوا من رد الخبر المستفيض ضللوا من ثبت على حكم خبر اتفق الفقهاء من فريقي الرأى والحديث علـى نسـخه كتضليل الرافضة في المتعة التى قد نسخت إباحتها.

واتفق أهل السنة على أن الله تعالى كلف العباد معرفته وأمرهم بها وأنه أمرهم بمعرفة رسوله وكتابه والعمل بمـا يـدل عليه الكتاب والسنة وأكفروا من زعم من القدرية والرافضة أن الله تعالى ما كلف أحدا معرفته كما ذهب اليه ثمامـة والجـاحظ وطائفة من الرافضة.

واتفقوا على أن كل علم كسبى نظرى يجوز أن يجعلنا الله تعالى مضـطرين الـى العلـم بمعلـومه واكفـروا مـن زعـم مـن المعتزلة أن المعرفة بالله عز وجل فى الآخرة مكتسبة من غير اضطرار الى معرفتة.

واتفقوا على أن اصول احكام الشـريعة القـرآن والسـنة وإجماع السلف واكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليـوم في القرآن والسنة لدعواه فيها أن الصحابة غيروا بعض القـرآن وحرفوا بعضه واكفروا الخوارج الـذين ردوا جميـع السـنن الـتى رواها نقلة الاخبار لقولهم بتكفيـر ناقليهـا واكفـروا النظـام فـي انكاره حجة الاجماع وحجة التـواتر وقـوله بجـواز اجتمـاع الامـة على الضلالة وجواز تواطؤ أهل التواتر على وضع الكذب.

فهذا بيان ما اتفق عليه أهل السنة من مسائل الركن الأول.

واما الركن الثانى وهو الكلام فى حدوث العالم،

فقد أجمعوا على ان العالم كل شىء هو غير الله عز وجل وعلى ان كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته الازلية مخلوق مصنوع وعلى ان صانعه ليس بمخلوق ولا مصنوع ولا هو من جنس العالم ولا من جنس شىء من اجزاء العالم واجمعوا على ان اجزاء العالم قسمان جواهر واعراض خلاف قول نفاة الاعراض فى نفيها الاعراض واجمعوا على ان كل جوهر جزء لا يتجزأ واكفروا النظام والفلاسفة الذين قالوا بانقسام كل جزء الى أجزاء بلا نهاية لان هذا يقتضى الا تكون اجزاؤها محصورة عند الله تعالى وفي هذا رد قوله {وأحصى كل شىء عددا} وقالوا باثبات الملائكة والجن والشياطين في اجناس حيوانات العالم واكفروا من انكرهم من الفلاسفة والباطنية وقالوا بتجانس الجواهر والاجسام وقالوا إن اختلافها في الصور والالوان والطعوم والروائح انما هو لاختلاف الاعراض القائمة بها.

وضللوا من قال باختلاف الاجسام لاختلاف الطبائع وضللوا ايضا من قال من الفلاسفة بخمس طبائع وزعم ان الفلك طبيعة خامسة لا تقبل الكون والفساد كما ذهب اليه ارسطاطاليس.

وضللوا من قال من الثنوية إن الاجسام نوعان نور وظلمة وان الخير من النور والشر من الظلمة وان فاعل الخير والصدق لا يفعل الشر والكذب وفاعل الشر والكذب لا يفعل الخير والصدق.

وسألناهم عن رجل قال أنا شرير وظلمة من القائل لهذا القول فان قالوا هو النور فقد كذب وان قالوا هو الظلمة فقد صدق وفي هذا بطلان قولهم ان النور لا يكذب والظلام لا يصدق

وهذا الزم لهم على اصولهم فاما نحن فانا لا نثبت النور والظلمة فاعلين قديمين بل نقول انهما مخلوقان لا فعل لهما.

الفرق بين الفِرق

واتفق أهل السنة على اختلاف اجناس الاعراض واكفروا النظام في قوله إن الاعراض كلها جنس واحد وانها كلها حركات لان هذا يوجب عليه ان يكون الايمان من جنس الكفر والعلم من جنس الجهل والقول من جنس السكوت وان يكون فعل النبى من جنس فعل الشيطان الرجيم وينبغى له على هذا الاصل الا يغضب على من لعنه وشتمه لان قول القائل لعن الله النظام عنده من جنس قوله رحمه الله.

واتفقوا على حدوث الاعراض فى الاجسام واكفروا من زعم من الدهرية انها كامنة في الاجسام وانما يظهر بعضها عند كمون ضده في محله.

واتفقوا على ان كل عرض حادث في محل وان العرض لا يقوم بنفسه واكفروا من قال من المعتزلة البصرية بحدوث ارادة الله سبحانه لا في محل وبحدوث فناء الاجسام لا فى محل واكفروا ابا الهذيل في قوله ان قول الله عز وجل للشىء كن عرض حادث لا في محل.

واتفقوا على أن الاجسام لا تخلوا ولم تخل قط من الاعراض المتعاقبة عليها واكفروا من قال من أصحاب الهيولي ان الهيولي كانت في الازل خالية من الاعراض ثم حدثت فيها الاعراض حتى صارت على صورة العالم وهذا القول غاية في الاستحالة لان حلول العرض فى الجوهر يغير صفته ولا يزيد فى عدده فلو كان هيولى العالم جوهرا واحدا لم يصر جواهر كثيرة بحلول الاعراض فيها.

وأجمعوا على وقوف الارض وسكونها وان حركتها انما تكون بعارض يعرض لها من زلزلة ونحوها خلاف قول من زعم من الدهرية أن الارض تهوى أبدا ولو كانت كذلك لوجب الا يلحق الحجر الذى نلقيه من ايدينا الارض أبدا لان الخفيف لا يلحق ما هو أثقل منه فى انحداره.

وأجمعوا على أن الارض متناهية الأطراف من الجهات كلها وكذلك السماء متناهية الاقطار من الجهات الست خلاف قول من زعم من الدهرية انه لا نهاية للارض من اسفل ولا عن

اليمين واليسار ولا من خلف ولا من امام وانما نهايتها من الجهة التي تلاقى الهواء من فوقها وزعموا ان السماء ايضا متناهية من تحتها ولا نهاية لها من خمس جهات سوى جهة السفل وبطلان قولهم ظاهر من جهة عود الشمس الى مشرقها كل يوم وقطعها جرم السماء وما فوق الارض فى يوم وليلة ولا يصح قطع ما لا نهاية لها من المساقة فى الامكنة فى زمان متناه.

وأجمعوا على ان السماوات سبع سماوات طباق خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين انها تسع واجمعوا انها ليست بكرية تدور حول الارض خلاف قول من زعم انها كرات بعضها فى جوف بعض وان الارض فى وسطها كمركز الكرة فى جوفها ومن قال بهذا لم يثبت فوق السماوات عرشا ولا ملائكة ولا شيئا مما يثبته الموجودون فوق السماوات عرشا ولا ملائكة ولا شيئا مما يثبته الموجودون فوق السماوات.

وأجمعوا ايضا على جواز الفنا على العالم كله من طريق القدر والامكان وانما قالوا بتأييد الجنة ونعيمها وتأييد جهنم وعذابها من طريق الشرع واجازوا ايضا فناء بعض الاجسام دون بعض واكفروا ابا الهذيل بقوله بانقطاع نعيم الجنة وعذاب النار واكفروا من قال من الجهمية بفناء الجنة والنار واكفروا الجباي وابنه ابى هاشم في قولهما ان الله لا يقدر على افناء بعض الاجسام مع ابقاء بعضها وانما يقدر على افناء جميعها بفناء يخلقه لا في محل.

وقالوا في الركن الثالث وهو الكلام فى صانع العالم وصفاته الذاتية التى استحقها لذاته ان الحوادث كلها لا بد لها من محدث صانع واكفروا ثمامة واتباعه من القدرية في قولهم ان الافعال المتولدة لا فاعل لها.

وقالوا ان صانع العالم خالق الاجسام والاعراض واكفروا معمرا واتباعه من القدرية في قولهم ان الله تعالى لم يخلق شيئا من الاعراض وانما خلق الاجسام وان الاجسام هى الخالقة للاعراض في انفسها.

وقالوا ان الحوادث قبل حدوثها لم تكن أشياء ولا اعيانا ولا جـــواهر ولا اعراضـــا خلاف قـــول القدريـــة فـــي دعواهـــا ان المعدومات في حال عدمها اشياء وقد زعم البصريون منهـم ان الجواهر والاعراض كانت قبـل حـدوثها جـواهر واعراضـا وقـول هؤلاء يؤدى الى القـول بقـدم العـالم والقـول الـذى يـؤدى الـى الكفر كفر في نفسه.

وقالوا ان صانع العالم قديم لم يزل موجـودا خلاف قـول المجوس في قولهم بصـانعين احـدهما شـيطان محـدث وخلاف قول الغلاة من الروافض الذين قـالوا فـي علـى جـوهر مخلـوق محدث بانه صار الها صانعا بحلول روح الإله فيه تعالى اللـه عـن قولهم علوا كبيرا.

وقالوا بنفى النهاية والحد عن صانع العالم خلاف قول هشام بن الحكم الرافضى في دعـواه ان معبـوده سـبعة اشـبار بشـبر نفسه وخلاف قول من زعم من الكرامية انه ذو نهاية من الجهة التى تلاقى منها العرش ولا نهاية له من خمس جهات سواها.

واجمعوا على احالة وصفه بالصورة والاعضاء خلاف قول من زعم من غلاة الروافض ومن اتباع داوود الحـوالى انـه علـى صورة الانسان وقد زعم هشام بن سالم الجواليقى واتباعه مـن الرافضة ان معبودهم على صورة الانسـان وعلـى راسـه وفـرة سوداء وهو نور اسود وان نصفه الاعلى مجوف ونصفه الاسـفل مصـمت وخلاف قـول المغيريـة مـن الرافضـة فـي دعـواهم أن اعضاء معبودهم على صورة حروف الهجاء تعالى الله عـن ذلـك علوا كبيرا.

واجمعوا على انه لا يحويه مكان ولا يجرى عليه زمان خلاف قول من زعم من الشهامية والكرامية انه ممـاس لعرشـه وقـد قال امير المؤمنين علـى رضـي اللـه عنـه ان اللـه تعـالى خلـق العرش اظهارا لقدرته لا مكانا لذاته وقال ايضا قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان.

واجمعوا على نفى الآفات والغموم والآلام واللـذات عنـه وعلى نفى الحركـة والسـكون عنـه خلاف قـول الهشـامية مـن

الرافضة في قولها بجواز الحركة عليه وفـي دعـواهم ان مكـانه حدوث من حركته وخلاف قول مـن اجـاز عليـه التعـب والراحـة والغم والسـرور والملالـة كمـا حكـى عـن ابـى شـعيب الناسـك تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

واجمعوا على ان الله تعالى غنى عن خلقه لا يجتلب بخلقه الى نفسه نفعا ولا يدفع بهم عن نفسه ضـررا وهـذا خلاف قـول المجوس في دعواهم ان الله انما خلق الملائكة ليدفع بهـم عـن نفسه أذى الشيطان وأذى اعوانه.

واجمعوا على ان صانع العـالم واحـد خلاف قـول الثنويـة بصـانعين قـديمين أحـدهما نـور والآخـر ظلمـة وخلاف قـول المجوس بصانعين احدهما اله قديم اسمه عندهم يزدان والآخـر شيطان رجيـم اسـمه أهرمـن وخلاف قـول المفوضـة مـن غلاة الروافض فى ان الله تعالى فوض تـدبير العـالم الـى علـى فهـو الخالق الثانى وخلاف قول الحايطية من القدرية اتباع احمـد بـن حايط فى قولهم إن الله تعالى فوض تدبير العالم علـى عيسـى بن مريم وانـه هـو الخـالق الثـانى وقـد استقصـينا وجـوه دلائـل الموحدين على توحيد الصانع فى كتاب الملل والنحل.

وقالوا في الركن الرابع وهو الكلام في الصفات القائمة بالله عز وجل أن علـم اللـه تعـالى وقـدرته وحيـاته وارادتـه وسـمعه وبصره وكلامه صفات له أزلية ونعوت له أبدية.

وقد نفت المعتزلة عنه جميع الصفات الازلية وقالوا ليس له قدرة ولا علم ولا حياة ولا رؤية ولا ادراك للمسموعات واثبتوا له كلاما محدثا ونفى البغداديون عنه الارادة وأثبت البصريون منهم له ارادة حادثة لا في محل.

وقلنا لهم في نفى الصفة نفى الموصون كما أن فى نفى الفعل نفى الفاعل وفي نفى الكلام نفى المتكلم.

واجمع اهل السنة على ان قدرة الله تعالى على المقدورات كلها قدرة واحدة يقدر بهـا علـى جميـع القـدورات علـى طريـق الاختراع دون الاكتساب خلاف قول الكرامية فى دعواها أن الله تعالى انما يقدر بقدرته على الحوادث التى تحدث فى ذاته فامـا

الفرق بين الفِرق

الحوادث الموجودة فى العالم فانما خلقها الله تعالى بـاقواله لا بقدرته وخلاف قول البصريين من القدرية فـى دعواهـا ان اللـه سبحانه لا يقدر على مقدورات عباده ولا علـى مقـدورات سـائر الحيوانات.

وأجمع اهل السنة على ان مقدورات الله تعـالى لا تفنـى خلاف قول أبى الهذيل واتباعه من القـدر فـى دعـواه ان قـدرة الله تعالى تنتهى الى حال تفنى بمقدوراته فيهـا ولا يقـدر بعـدها على شىء ولا يملك حينئذ لاحد على ضر ولا نفع وزعـم ان أهـل الجنة وأهل النار فى تلك الحال يبقون جمودا فى سكون ذاتهــم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

وقد زعم الاسوارى واتباعه من المعتزلة أن الله تعالى إنما يقدر على أن يفعل ما قد علم انه يفعل فاما ما علم أنه لا يفعله أو اخبر عن نفسه بانه لا يفعله فانه لا يقدر على فعله تعالى الله عن قوله علوا كبيرا.

واجمع اهل السنة على أن علم الله تعالى واحد يعلـم بـه جميـع المعلومـات علـى تفصـيلها مـن غيـر حـس ولا بديهـة ولا استدلال عليه وزعم معمر واتباعه من القدرية أن اللـه تعـالى لا يقال انه عالم بنفسه ومن العجائب عالم بغيره ولا يكـون عالمـا بنفسه.

وزعم قوم من الرافضة ان الله تعالى لا يعلم الشىء قبل كونه.

وزعم زرارة بن أعين واتباعه من الرافضـة أن علـم اللـه تعالى وقدرته وحياته وسائر صفاته حوادث وانه لم يكـن حيـا ولا قادرا ولا عالمـا حـتى خلـق لنفسـه حيـاة وقـدرة وعلمـا وارادة وسمعا وبصرا.

وأجمعـوا علـى ان سـمعه وبصـره محيطـان بجميـع المسموعات والمرئيات وان اللـه تعـالى لـم يـزل رائيـا لنفسـه وسـامعا لكلام نفسـه وهـذا خلاف قـول القدريـة البغداديـة فـى دعواهم ان الله تعالى ليس براء ولا سامع علـى الحقيقـة وانمـا يقـال يـرى ويسـمع علـى معنـى انـه يعلـم المرئـى والمسـموع

وخلاف قول المعتزلة فى دعواها ان اللـه تعـالى يـرى غيـره ولا يرى نفسه وخلاف قول الجباى فى فرقه بين السـميع والسـامع وبين البصير والمبصر حتى قال انه كان فى الأزل سميعا بصـيرا ولم يكن فى الازل سامعا ولا مبصرا وهذا الفرق يمكـن عكسـه عليه فلا يجد من لزوم عكسه انفصالا.

وأجمع اهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئيا للمؤمنين في الآخرة وقـالوا بجـواز رؤيتـه فـي كـل حـال ولكـل حـى مـن طريق العقل ووجوب رؤيته للمـؤمنين خاصـة فـي الآخـرة مـن طريـق الخـبر وهـذا خلاف قـول مـن أحـ ال رؤيتـه مـن القدريـة والجهمية وخلاف قول مـن زعـم أنـه يـرى فـي الآخـرة بحاسـة سادسة كما ذهب اليه ضرار بن عمرو وخلاف قول من زعـم ان الكفرة ايضا يرونه كما قاله ابن سـالم البصـرى وقـد استقصـينا مسائل الرؤية فى كتاب مفرد

واجمع اهل السنة على ان ارادة الله تعالى مشيئته واختياره وعلـى ان ارادتـه للشـىء كراهـة لعـدمه كمـا قـالوا ان امـره بالشىء نهى عن تركه وقالوا ايضـا ان ارادتـه نافـذة فـي جميـع مراداته على حسب علمه بها فما علم كونه منها اراد كـونه فـي الوقت الذى علم انـه يكـون فيـه ومـا علـم انـه لا يكـون اراد ألا يكون وقالوا إنه لا يحدث في العالم شىء الا بارادته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وزعمت القدرية البصرية ان الله تعـالى قـد شاء مالم يكن وزعمت القدرية البصرية ان الله تعالى قـد شـاء ما لم يكن وقد كان ما لم يشأ وهذا القول يـؤدى الـى ان يكـون مقهورا مكرها على حدوث ما كره حدوثه تعـالى اللـه عـن ذلـك علوا كبيرا.

واجمع أهل السنة على ان حياة الإله سـبحانه بلا روح ولا اغتـذاء وأن الأرواح كلهـا مخلوقـة خلاف قـول النصـارى فـي دعواها قدم أب وابن وروح.

وأجمعوا على أن الحياة شرط في العلم والقدرة والإرادة والرؤية والسمع وان من ليس بحى لا يصح ان يكون عالما قادرا مريدا سامعا مبصرا خلاف قول الصالحي واتبـاعه مـن القدريـة

في دعواهم جـواز وجـود العلـم والقـدرة والرؤيـة والارادة فـي الميت.

وأجمعوا على أن كلام الله عز وجل صفة له أزلية وانه غير مخلوق ولا محدث ولا حادث خلاف قول القدرية في دعواهم ان الله تعـالى خلـق كلامـه فـي جسـم مـن الاجسـام وخلاف قـول الكرامية في دعواهم ان أقواله حادثة في ذاته خلاف قـول أبـى الهذيل ان قوله للشىء كن لا في محل وسائر كلامه محدث في اجسام.

وقلنا لا يجوز حدوث كلامه فيه لانه ليس بمحل للحوادث ولا في غيره لانه يوجب ان يكون غيره به متكلما آمرا ناهيـا ولا فـي غير محل لان الصفة لا تقوم بنفسها فبطل حدوث كلامـه وصـح ان صفته له ازلية.

وقالوا في الركن الخامس وهو الكلام في اسماء الله تعالى وأوصافه ان مأخذ اسماء الله تعالى التوقيف عليها إمـا بـالقرآن واما بالسنة الصحيحة واما باجمـاع الامـة عليـه ولا يجـوز اطلاق اسم عليه من طريق القياس وهذا خلاف قول المعتزلة البصرية في اجازتها اطلاق الاسماء عليه بالقياس وقد افرط الجباى فـي هذا الباب حتى سمى الله مطيعا لعبده اذا اعطاه مراده وسماه محبلا للنسـاء اذا خلـق فيهـن الحبـل وضـللته الامـة فـي هـذه الجسارة التى تورثه الخسارة.

فقال اهل السنة قد جاءت السنة الصحيحة بان لله تعالى تسـعة وتسـعين اسـما وان مـن احصـاها دخـل الجنـة ولـم يـرد باحصائها ذكر عددها والعبارة عنها فان الكافر قد يـذكرها حاكيـا لها ولا يكون من اهل الجنة وانما اراد باحصائها العلم بها واعتقاد معانيها من قـولهم فلان ذو حصـاة واطـإة كـذا اذا كـان ذا علـم وعقل.

وقالوا ان اسماء الله تعالى على ثلاثة اقسام قسم منها يدل علـى ذاتـه كالواحـد والغنـى والاول والآخـر والجليـل والجميـل وسائر ما استحقه من الاوصاف لنفسه.

وقسم منها يفيد صفاته الأزلية القائمة بذاته كالحى والقادر والعالم والمريد والسميع والبصير وسائر الاوصاف المشتقة من صفاته القائمة بذاته وهذا القسم من اسمائه مع القسم الذى قبله لم يزل الله تعالى بهما موصوفا وكلاهما من اوصافه الأزلية.

وقسم منها مشتق من افعاله كالخالق والرازق والعادل ونحو ذلك وكل اسم اشتق من فعله لم يكن موصوفا به قبل وجود افعاله وقد يكون من اسمائه ما يحتمل معنيين أحدهما صفة ازلية والآخر فعل له كالحكيم إن أخذناه من الحكمة التى هى العلم كان من اسمائه الازلية وان أخذناه من احكام افعاله واتقانها كان مشتقا من فعله ولم يكن من أوصافه الازلية.

وقالوا في الركن السادس وهو الكلام في عدل الاله سبحانه وحكمته ان الله سبحانه خالق الاجسام والاعراض خيرها وشرها وانه خالق اكساب العباد ولا خالق غير الله.

وهذا خلاف قول من زعم من القدرية أن الله تعالى لم يخلق شيئا من اكساب العباد وخلاف قول الجهمية ان العباد غير مكتسبين ولا قادرين على اكسابهم فمن زعم ان العباد خالقون لاكسابهم فهو قدرى مشرك بربه لدعواه ان العباد يخلقون مثل خلق الله من الاعراض التى هى الحركات والسكون فى العلوم والارادات ولاقوال والاصوات وقد قال الله عز وجل فى ذم اصحاب هذا القول {أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار} ومن زعم أن العبد لا استطاعة له على الكسب وليس هو معامل ولا مكتسب فهو جبرى والعدل خارج عن الخبر والقدر ومن قال أن العبد مكتسب لعمله والله سبحانه خالق لكسبه فهو سنى عدلى منزه عن الجبر والقدر.

وأجمع اهل السنة على ابطال قول أصحاب التولد فى دعواهم ان الانسان قد يفعل فى نفسه شيئا يتولد منه فعل فى غيره خلاف قول اكثر القدرية بان الانسان قد يفعل فى غيره افعالا تتولد عن اسباب يفعلها فى نفسه وخلاف قول من زعم

من القدرية ان المتولـدات افعـال لا فاعـل لهـا كمـا ذهـب اليـه ثمامة.

وأجمعوا علـى ان الانسـان يصـح منـه اكتسـاب الحركـة والسكون والارادة والقول والعلم والفكر وما يجرى مجرى هذه الاعراض التى ذكرناها وعلى انه لا يصـح منـه اكتسـاب الالـوان والطعـوم والروائـح والادراكـات خلاف قـول بشـر بـن المعتمـر واتباعه من المعتزلة في دعواهم ان الانسان قـد يفعـل الالـوان والطعوم والروائح على سبيل التولد وزعموا ايضا انه يصح منــه فعل الرؤية في العين وفعل ادرك المسموع فـى محـل السـمع وأفحش من هذا قول معمر القدري بـان اللـه تعـالى لـم يخلـق شيئا من الاعراض وان الاعراض كلها من افعال الاجسام وكفاه بهذه الضلالة خزيا.

وقال اهل السنة ان الهداية من الله تعالى على وجهين:

احدهما من جهة ابانة الحق والدعاء اليه ونصب الادلة عليه وعلى هذا الوجه يصح اضافة الهداية الى الرسـل والـى كـل داع الى دين الله عز وجل لانهـم يرشـدون اهـل التكليـف الـى اللـه تعالى وهذا تأويل قول الله عز وجل في رسـوله {وإنـك لتهـدى إلى صراط مستقيم} اى تدعو اليه.

والوجه الثانى من هداية الله سبحانه لعباده خلق الاهتداء في قلوبهم كما ذكـره فـي قـوله {فمـن يـرد اللـه أن يهـديه يشـرح صدره للإسلام ومن يـرد أن يضـله يجعـل صـدره ضـيقا حرجـا} وهذا النوع من الهداية لا يقدر عليه الا الله تعالى.

والهداية الاولى من الله تعـالى شـاملة لجميـع المكلفيـن والهداية الثانية من خاصته للمهتدين وفى تحقيق ذلك نزل قـول الله تعالى {والله يدعو إلى دار السـلام ويهـدى مـن يشـاء إلـى صراط مستقيم}.

والاضلال من الله تعالى عند اهل السنة على معنى خلـق الضلال في قلوب اهل الضلال كقوله {ومن يرد أن يضله يجعـل صدره ضيقا حرجا}.

وقالوا من أضله الله فبعدله ومن هداه فبفضله وهذا خلاف قول القدرية في دعواها ان الهداية من الله تعالى على معنى الارشاد والدعاء الى الحق وليس اليه من هداية القلوب شىء وزعموا ان الاضلال منه على وجهين احدهما التسمية بان يسمى الضلال ضلالا والثانى على معنى جزاء اهل الضلال على ضلالتهم ولو صح ما قالوا لوجب أن يقال انه اضل الكافرين لانه سماهم ضالين ولوجب ان يقال ان ابليس أضل الانبياء المؤمنين لانه سماهم ضالين ولزمهم ان يكون من أقام الحدود على الزناة والسارقين والمرتدين مضلا لهم لانه قد جازاهم على ضلالتهم وهذا فاسد فما يؤدى اليه مثله.

وقال أهل السنة في الآجال ان كل من مات حتف انفه أو قتل فانما مات باجله الذى جعله الله أجلا لعمره والله تعالى قادر على ابقائه والزيادة في عمره لكنه متى لم يبقه الى مدة لم تكن المدة التى لم يبقه اليها أجلاله وهذا كما ان المراة التى يتزوجها من قبل موته وهذا كما أن المرأة التي يتزوجها قبل موته لم تكن امرأة له وان كان الله سبحانه قادرا على أن يزوجها من قبل موته وهذا خلاف قول من زعم من القدرية ان المقتول مقطوع عليه اجله وخلاف قول من زعم منهم أن المقتول ليس بميت وجحد فائدة قول الله تعالى {كل نفس ذائقة الموت} وهذه بدعة ذهب اليها الكعبى وكفى بها خزيا.

وقال اهل السنة في الارزاق بما هى عليه الآن وان كل من أكل شيئا او شربه فانما تناول رزقه حلالا كان أو حراما خلاف قول من زعم من القدرية ان الانسان قد يأكل رزق غيره.

وقالوا في ابتداء التكليف ان الله تعالى لو لم يكلف عباده شيئا كان عدلا منه خلاف قول من زعم من القدرية أنه لو لم يكلفهم لم يكن حكيما.

وقالوا لو زاد في تكليف العباد على ما كلفهم او نقص بعض ما كلفهم كان جائزا خلاف قول من ابى ذلك من القدرية.

وكذلك لو لم يخلق الخلق لم يلزمه بذلك خروج عن الحكمة وكان السابق حينئذ في علمه انه لا يخلق.

وقالوا لو خلق الله تعالى الجمادات دون الاحياء جاز ذلك منه خلاف قول من قال من القدرية أنه لو لم يخلق الاحياء لـم يكـن حكيما.

وقالوا لو خلق الله تعالى عباده كلهم في الجنة لكان ذلك فضلا منه خلاف قول من زعم من القدرية انه لو فعـل ذلـك لـم يكن حكيما وهذا حجـر منهـم علـى اللـه سـبحانه ونحـن لا نـرى الحجر عليه بل نقول له الامر والنهى وله القضاء يفعل ما يشـاء ويحكم ما يريد.

وقال في الركن السابع المفروض في النبوة والرسالة اثبات الرسل من الله تعالى الى خلقه خلاف قول البراهمة المنكريـن لهم مع قولهم بتوحيد الصانع

وقالوا في الفرق بين الرسول والنبى ان كل من نزل عليه الوحى من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيـدا بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نـبى ومـن حصـلت لـه هـذه الصـفة وخـص ايضـا بشـرع جديـد او بفسـخ بعـض احكـام شريعة كانت قبله فهو رسول.

وقالوا ان الانبياء كثير والرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشـر واول الرسل ابو جميـع البشـر وهـو آدم عليـه السـلام وآخرهـم محمد صلى الله عليه وسلم خلاف قول المجوس فـي دعـواهم ابو جميع البشر كيكومرت الملقب بكل شـاة وخلاف قـولهم ان اجزاء الرسل زراذست وخلاف قول من زعـم مـن الخرميـة ان الرسل تترى لا آخر لهم.

وقالوا بنبوة موسى فـي زمـانه خلاف قـول منكريـه مـن البراهمة والمانوية الذين انكروه مع اقرار المانوية بعيسى عليه السلام.

وقالوا بنبوة عيسى عليه السلام خلاف قول منكريـه مـن اليهود والبراهمة.

وانكروا قتل عيسى واثبتوا رفعه الى السماء وقالوا انه ينزل الى الارض بعـد خـروج الـدجال فيقتـل الـدجال ويقتـل الخنزيـر

ويريق الخمور ويستقبل في صلاته الكعبة ويؤيد شريعة محمد ويحيى ما احياه القرآن ويميت ما أماته القرآن.

وقالوا بتكفير كل متنبئ سواء كان قبل الاسلام كزراذشت ويود اسف ومانى وديصان ومزفيورومزدك أو بعده كمسيلمة وستجارح والاسود ثم يزيد العنسى وسائر من كان بعدهم من المتنبين.

وقالوا بتكفير من ادعى للانبياء الاهية او ادعى الائمة الخلافة نبوة او الاهية كالسبابية والبيانية والمغيرية والمنصورية والخطابية ومن جرى مجراهم.

وقالوا بتفضيل الانبياء على الملائكة خلاف قول الحسين بن الفضل مع اكثر القدرية بتفضيل الملائكة على الانبياء.

وقالوا بتفضيل الانبياء على الاولياء من امم الانبياء خلاف قول من زعم ان في الاولياء من هو افضل من الانبياء.

وقالوا بعصمة الانبياء عن الذنوب وتأولوا ما روى عنهم من زلاتهم على انها كانت قبل النبوة خلاف قول من أجاز عليهم الصغائر وخلاف قول الهشامية من الروافض الذين أجازوا عليهم الذنوب مع قولهم بعصمة الامام من الذنوب.

وقالوا في الركن الثامن المضاف الى المعجزات والكرامات ان المعجزة أمر يظهر بخلاف العادة على يدى مدعى النبوة مع تحديه قومه بها ومع عجز قومه عن معارضته بمثلها على وجه يدل على صدقة فى زمان التكليف.

وقالوا لا بد للنبى من معجزة واحدة تدل على صدقه قاذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه وعجزوا عن معارضته بمثلها فقد لزمتهم الحجة فى وجوب تصديقه ووجوب طاعته فان طالبوه بمعجزة سواها فالأمر الى الله عز وجل إن شاء أيده بها وان شاء عاقب المطالبين له بها لتركهم الايمان بمن قد ظهرت دلالة صدقه وهذا خلاف قول من زعم من القدرية ان النبى عليه السلام لا يحتاج الى معجزة اكثر من استقامة شريعته كما ذهب اليه ثمامة.

الفرق بين الفِرق

وقالوا الصادق فى دعوى النبوة يجوز ظهور معجزة التصديق عليه ولا يجوز ظهور معجزة التصديق على المتنبى فى دعوى النبوة ويجوز أن يظهر عليه معجزة تدل على كذبه كنطق شجرة او عضو من أعضائه بتكذيبه وقالوا يجوز ظهور الكرامات على الاولياء وجعلوها دلالة على الصدق فى احوالهم كما كانت معجزات الانبياء دلالة على صدقهم فى دعاويهم.

وقالوا على صاحب المعجزة إظهارها والتحدى بها وصاحب الكرامات لا يتحدى بها غيره وربما كتمها وصاحب المعجزة مأمون العاقبة وصاحب الكرامة لا يأمن تغيير عاقبته كما تغيرت عاقبة بلعم بن باعورا بعد ظهور كراماته وأنكرت القدرية كرامات الاولياء لانهم لم يجدوا من فرقهم ذا كرامة.

وقالوا باعجاز القرآن في نظمه خلاف قول من زعم من القدرية ان لا إعجاز فى نظم القرآن كما ذهب اليه النظام وقالوا في معجزات محمد بانشقاق القمر وتسبيح الحصا في يده ونبوع الماء من بين اصابعه واشباعه الخلق الكثير من الطعام اليسير ونحو ذلك وقد خالف النظام واتباعه من القدرية ذلك.

وقالوا في الركن التاسع المضاف الى أركان شريعة الاسلام إن الاسلام مبنى على خمسة اركان شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام.

وقالوا من اسقط وجوب ركن من هذه الأركان الخمسة أو تأولها على معنى موالاة قوم كما تأولوا عليها المنصورية والجناحية من غلاة الرافضة فهو كافر.

وقالوا في الصلوات المفروصة انها خمس وأكفروا من اسقط وجوب بعضها وكان مسيلمة الكذاب قد أسقط وجوب صلاتى الصبح والمغرب وجعل سقوطها مهرا لامرأته سجاح المتنبية فكفر وألحد.

وقالوا بوجوب عقد صلاة الجمعة واكفـروا مـن الخـوارج والروافض من قـال لا جمعـة اليـوم حـتى يظهـر إمـامهم الـذى ينتظرونه.

وقالوا بوجوب زكاة الاعيان فى الذهب والورق والإبل والبقر والغنم اذا كانت هذه الاصناف الثلاثة من النعم سائمة وأوجبوهـا فـي الحبـوب المقتاتـة الـتي يزرعهـا النـاس ويتخـذونها قوتـا وأوجبوها في ثمار النخيل والأعناب فمن قال لا زكـاة فـي هـذه الاشياء التى ذكرناها كفر ومن أثبـت زكاتهـا فـي الجملـة وكـان خلافه في نصبها على ما اختلف فيه فقهاء الامة لم يكفر.

وقالوا بوجوب صوم رمضان وحرموا الفطر فيه إلا بعـذر صغر أو جنون أو مرض او سفر أو نحو ذلك من الأعذار.

وقالوا باعتبار شهر الصيام من رؤية هلال رمضان أو بكمال شعبان ثلاثين يوما ولم يفطروا في آخـره الا برؤيـة هلال شـوال او بكمال ايام رمضان ثلاثين يوما وضللوا من صام من الروافض قبل الهلال بيوم وافطر قبل الفطر بيوم.

وقالوا بوجوب الحج ف ي العمـرة مـرة واحـدة علـى مـن استطاع اليه سبيلا واكفروا من أسقط وجوبها من الباطنية ولـم يكفروا من أسقط وجوب العمرة لاختلاف الأمة في وجوبها.

وقالوا من شرط صحة الصلوات الطهارة وسـتر العـورة ودخول الوقت الـوقت واسـتقبال القبلـة علـى حسـب الامكـان ومـن اسـقط اعتبـار هـذه الشـروط أو اعتبـار شـىء منهـا مـع الامكان كفر وقـالوا بوجـوب الجهـاد مـع الاعـداء للاسـلام حـتى يسلموا أو يؤدى الجزية منهم من يجوز قبول الجزية منه.

وقالوا بجواز البيع وتحريم الربا وضللوا من اباح الربا فى الجملة.

وقالوا بان الفروج لا تستباح إلا بنكاح صحيح او ملك يمين واكفـروا المعبضـية والمحمـرة والخرميـة الـذين ابـاحوا الزنـى واكفروا ايضا من تأول المحرمات على قـوم زعـم ان مـوالاتهم حرام.

وقالوا بوجوب اقامة حد الزنى والسرقة والخمر والقذف واكفروا من اسقط حد الخمر والرجم من الخوارج.

وقالوا اصول احكام الشريعة الكتاب والسنة واجماع السلف واكفروا من لم ير اجماع الصحابة حجة واكفروا الخوارج فى ردهم حجج الاجماع والسنن واكفروا من قال من الروافض لا حجة فى شىء من ذلك وانما الحجة فى قول الامام الذى ينتظرونه وهؤلاء اليوم حيارى فى التيه وكفاهم بذلك خزيا.

وقالوا في الركن العاشر المضاف الى الامر والنهى أن افعال المكلفين خمسة اقسام واجب ومحظور ومسنون ومكروه ومباح.

فالواجب ما أمر الله تعالى به على وجه اللزوم وتاركه مستحق للعقاب على تركه.

والمحظور ما نهى الله عنه وفاعله يستحق العقاب على فعله.

والمسنون ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

والمكروه ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله.

والمباح ما ليس فى فعله ثواب ولا عقاب وليس فى تركه ثواب ولا عقاب.

وهذا كله في افعال المكلفين فاما افعال البهائم والمجانين والاطفال فانها لا توصف بالاباحة والوجوب والخطر بحال.

وقالوا ان كل ما وجب على المكلف من معرفة او قول او فعل فانما وجب عليه بامر الله تعالى اياه به وكل ما حرم عليه فعله فبنهى الله تعالى اياه عنه ولو لم يرد الامر والنهى من الله تعالى على عباده لم يجب عليهم شىء ولم يحرم عليهم شىء.

وهذا خلاف قول من زعم من البراهمة والقدرية أن التكليف يتوجه على العاقل بخاطرين بقلبه.

احدهما من قبل الله سبحانه يدعوه به الى النظر والاستدلال.

والآخر من قبل الشيطان يدعوه به الى العصيان وينهاه به عن طاعة الخاطر الاول.

وهذا يوجب عليهم ان يكون ذلك الشيطان مكلفا بخاطرين احدهما من قبل الله تعالى والآخر من قبل شيطان آخر ثم يكون القول فى الشيطان الآخر كالقول فى الاول حتى يتسلل ذلك بشياطين لا الى نهاية وهذا محال وما يؤدى الى المحال محال.

وقالوا فى الركن الحادى عشر المضاف الى فناء العباد واحكامهم فى المعاد

ان الله سبحانه قادر على افناء جميع العالم جملة وعلى افناء بعض الاجسام مع بقاء بعضها خلاف قول من زعم من القدرية البصرية انه يقدر على افناء كل الاجسام بفناء يخلقه لا فى محل ولا يقدر على افناء بعض الاجسام مع بقاء بعضها.

وقالوا ان الله عز وجل يعيد فى الآخرة الناس وسائر الحيوانات التى ماتت فى الدنيا خلاف قول من زعم انه انما يعيد الناس دون الاحياء الباقين.

وقالوا بخلق الجنة والنار، خلاف قول من زعم انهما غير مخلوقتين.

وقالوا بدوام نعيم الجنة على اهلها ودوام عذاب النار على المشركين والمنافقين خلاف قول من زعم انهما يفنيان كما زعم جهم وخلاف قول ابى الهذيل القدري بفناء مقدورات الله تعالى فيهما وفى غيرهما.

وقالوا بان الخلود فى النار لا يكون الا للكفرة خلاف قول القدرية والخوارج بتخليد كل من دخل النار فيها.

وقالوا بان القدرية والخوارج يخلدون في النار ولا يخرجون منها وكيف يغفر الله تعالى لمن يقول ليس لله ان يغفر ويخرج من النار من دخلها.

وقالوا باثبات السؤال فى القبر وبعذاب القبر لأهل العذاب وقطعوا بان المنكرين لعذاب القبر يعذبون فى القبر.

وقالوا بالحوض والصراط والميزان ومن انكر ذلك حرم الشرب من الحوض ودحضت قدمه من الصراط الى نار جهنم.

وقالوا باثبات الشفاعة من النبى ومن صلحاء امته للمذنبين من المسلمين ولمن كان فى قلبه ذرة من الايمـان والمنكـرون للشفاعة يحرمون الشفاعة.

وقالوا في الركن الثانى عشر المضاف الى الخلافة والامامة ان الامامة فرض واجب على الامـة لاجـل إقامـة الامـام ينصـب لهم القضاة والامناء ويضبط ثغـورهم ويغـزى جيوشـهم ويقسـم الفىء بينهم وينتصف لمظلومهم من ظالمهم.

وقالوا بأن طريق عقد الامامة للامام فى هذه الامة الاختيار بالاجتهاد وقالوا ليـس مـن النـبى نـص علـى امامـة واحـد بعينـه خلاف قول من زعم مـن الرافضـة انـه نـص علـى امامـة علـى رضى الله عنه نصا مقطوعا بصحته ولـو كـان كمـا قـالوه لنقـل ذلك نقل مثله ولا ينفصـل مـن ادعـى ذلـك فـى علـى مـع عـدم التواتر فى نقله ممن ادعى مثله فى أبى بكر او غيـره مـع دعـم النقل فيه.

وقالوا من شرط الامامة النسب من قريش وهم بنو النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضـر بـن نـزار بـن معد بن عدنان خلاف قول مـن زعـم مـن الضـرارية أن الامامـة تصلح فى جميع أصـناف العـرب وفـى المـوالى والعجـم وخلاف قول الخوارج بامامة زعمائهم الـذين كـانوا مـن ربيعـة وغيرهـم كنافع بن الازرق الحنفى ونجدة بن عامر الحنفى وعبـد اللـه بـن وهب الراسـى وحرفـوص بـن زهيـر النجلـى وشـبيب بـن يزيـد الشيبانى وأمثالهم عنادا منهم لقول النبى صلى الله عليه وسلم {الائمة من قريش}.

وقالوا من شرط الامام العلم والعدالة والسياسة وأوجبوا من العلم له مقدار ما يصير به مـن اهـل الاجتهـاد فـى الاحكـام الشرعية وأوجبوا من عدالته أن يكون ممن يجوز حكـم الحـاكم بشهادته وذلك بأن يكون عدلا في دينه مصلحا لماله وحـاله غيـر مرتكب لكبيرة ولا مصر على صغيرة ولا تارك للمروءة في جـل اسبابه وليس من شرطه العصمة من الذنوب كلهـا خلاف قـول من زعم من الامامية أن الامام يكون معصوما من الذنوب كلهـا

وقد اجازوا له في حال التقية أن يقـول لسـت بامـام وهـو إمـام وقد اباحوا له الكذب في هذا مع قولهم بعصمته من الكذب.

وقالوا ان الامامة تنعقد بمن يعقدها لمن يصلح للامامة اذا كان العاقد من أهل الاجتهاد والعدالة.

وقالوا لا تصح الامامة الا لواحد فى جميع ارض الاسلام الا أن يكون بين الصقعين حاجز من بحر أو عدو لا يطاق ولم يقدر أهل كل واحد من الصقعين علـى نصـرة اهـل الصـقع الآخـر فحينئـذ يجوز لأهل صقع عقد الامامة لواحد يصلح لها منهم.

وقالوا بامامة أبى بكر الصديق بعد النبى خلاف قول مـن اثبتها لعلى وحده من الرافضة وخلاف قول الروندية الذين أثبتوا إمامة العباس بعده

وقالوا بتفضيل أبى بكر وعمـر وعلـى مـن بعـدهما وإنمـا اختلفوا في التفاضل بين على وعثمان رضى الله عنهما.

وقالوا بموالاة عثمان وتبرءوا ممن اكفره.

وقالوا بامامة على في وقته وقالوا بتصويب على في حروبه بالبصرة وبصفين وبنهروان.

وقالوا بان طلحة والزبير تابا ورجعا عن قتـال علـى لكـن الزبير قتله عمرو بن حرمون بـوادى السـباع بعـد منصـرفه مـن الحرب وطلحة لما هم بالانصراف رماه مروان بن الحكم وكـان مع أصحاب الجمل بسهم فقتله.

وقالوا إن عائشة رضي اللـه عنهـا قصـدت الاصـلاح بعـد الفريقين فغلبها بنو ضبة والأزد على رايها وقاتلوا عليا دون اذنها حتى كان من الأمر ما كان.

وقالوا في صفين إن الصواب كان مع على رضى الله عنه وأن معاوية وأصحابه بغوا عليه بتأويل أخطئوا فيـه ولـم يكفـروا بخطئهم.

وقالوا إن عليا أصاب في التحكيم غير أن الحكمين أخطأ في خلع على من غير سبب أوجب خلعه وخدع أحد الحكمين الآخر.

وقالوا بمروق أهل النهروان عن الدين لان النبى صلى الله عليه وسلم سماهم مارقين لانهم اكفروا عليا وعثمـان وعائشـة

وابن عباس وطلحة والزبير وسائر من تبع عليا بعد التحكيم واكفروا كل ذنب من المسلمين ومن اكفر المسلمين واكفر أخيار الصحابة فهو الكافر منهم.

وقالوا في الركن الثالث عشر المضاف الى الايمان والاسلام إن اصل الايمان المعرفة والتصديق بالقلب وانما اختلفوا في تسمية الاقرار وطاعات الاعضاء الظاهرة ايمانا مع اتفاقهم على وجوب جميع الطاعات المفروضة وعلى استحباب النوافل المشروعة خلاف قول الكرامية الذين زعموا أن الايمان هو الاقرار الفرد سواء كان معه اخلاص او نفاق وخلاف قول من زعم من القدرية والخوراج ان اسم المؤمن يزول عن مرتكبى الذنوب.

وقالوا ان اسم الايمان لا يزول بذنب دون الكفر ومن كان ذنبه دون الكفر فهو مؤمن وان فسق بمعصيته.

وقالوا لا يحل قتل امرىء مسلم الا باحدى ثلاث من ردة او زنى بعد احصان او قصاص بمقتول هو كفره وهذا خلاف قول الخوارج فى اباحة قتل كل عاص لله تعالى.

ولو كان المذنبون كلهم كفرة لكانوا مرتدين عن الاسلام ولو كانوا كذلك لكان الواجب قتلهم دون اقامة الحدود عليهم ولم يكن لوجوب قطع يد السارق وجلد القاذف ورجم الزانى المحصن فائدة لان المرتد ليس له حد الا القتل.

وقالوا في الركن الرابع عشر المضاف الى الاولياء والأئمة أن الملائكة معصومون عن الذنوب لقول الله تعالى فيهم {لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون}.

وقال اكثرهم بفضل الانبياء على الملائكة خلاف قول من فضل الملائكة على الانبياء والتزم من اجل ذلك فضل الزبانية على اولى العزم من الرسل.

وقالوا بفضل الانبياء على الاولياء من الامم خلاف قول من فضل بعض الاولياء على بعض الانبياء من الكرامية.

واختلف اهل السنة فى امامة المفضول فأباها شيخنا ابو الحسن الاشعرى وأجازها القلانسى.

وقالوا بموالاة العشرة من اصحاب النبى عليه السلام وقطعوا بأنهم من اهل الجنة وهم الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن ثقيل وعبد الرحمن وأبو عبيدة ابن الجراح.

وقالوا بموالاة كل من شهد بدرا مع النبى عليه السلام وقطعوا بانهم من اهل الجنة وكذلك القول فيمن شهد معه احدا إلا رجلا اسمه قزمان فانه قتل باحد جماعة من المشركين وقتل نفسه وكان ينسب الى النفاق وكذلك كل من شهد بيعة الرضوان بالحديبية من اهل الجنة.

وقالوا قد صح الخبر بان سبعين الفا من هذه الامة يدخلون الجنة بلا حساب وان كل واحد منهم يشفع فى سبعين الفا وقد دخل في هذه الجملة عكاشة بن محصن.

وقالوا بموالاة كل من مات على دين الاسلام ولم يكن قبل موته على بدعة من ضلالات اهل الاهواء الضالة.

وقالوا فى الركن الخامس عشر المضاف الى احكام أعداء الدين أن اعداء دين الاسلام صنفان صنف كانوا قبل ظهور دولة الاسلام وصنف ظهروا فى دولة الاسلام وتستروا بالاسلام فى الظاهر وكادوا المسلمين وابتغوا غوائلهم.

فالذين كانوا قبل الاسلام اصناف تختلف فيهم الاوصاف.

منهم عبدة الاصنام والاوثان.

ومنهم عبدة انسان مخصوص كالذين عبدوا جمشيذ والذين عبدوا نمروذ بن كنعان والذين عبدوا فرعون ومن جرى مجراهم.

ومنهم الذين عبدوا كل ما استحسنوا من الصور على مذاهب الحلولية فى دعواها حلول روح الإله بزعمهم فى الصور الحسنة.

ومنهم الذين عبدوا الشمس أو القمر أو الكواكب جملة او بعض الكواكب خصوصا ومنهم الذين عبدوا الملائكة وسموها بنات الله وفيهم نزل قول الله تعالى {إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى}.

ومنهم من عبد شيطانا مريدا ومنهم قوم عبدوا البقر ومنهم الذين عبدوا النيران.

وحكم جميع عبدة الاصنام والناس والملائكة والنجوم والنيران تحريم ذبائحهم ونكاح نسائهم على المسلمين.

واختلفوا في قبول الجزية منهم فقال الشافعى لا تقبل منهم الجزية وانما يجوز قبولها من اهل الكتاب أو ممن له شبهة كتاب وقال مالك وابو حنيفة بجواز قبولها منهم غير أن مالكا استثنى القرشى منهم واستثنى أبو حنيفة العربى منهم.

ومن أصناف الكفرة قبل الاسلام السوفسطائية المنكرة للحقائق ومنهم السمنية القائلون بقدم العالم مع انكارهم للنظر والاستدلال ودعواهم انه لا يعلم شىء الا من طرق الحواس الخمس ومنهم الدهرية القائلون بقدم العالم ومنهم القائلون بقدم هيولى العالم مع اقرارهم بحدوث الأعراض منها ومنهم الفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم وأنكروا الصانع وبه قال منهم بيثاغورس وقاوذروس ومنهم الفلاسفة الذين أقروا بصانع قديم ولكنهم زعموا ان صنعه قديم معه وقالوا بقدم الصانع والمصنوع كما ذهب اليه ابن قلس ومنهم الفلاسفة الذين قالوا بقدم الطبائع الاربع والعناصر الاربعة التى هى الارض والماء والنار والهواء ومنهم الذين قالوا بقدم هذه الاربعة وقدم الافلاك والكواكب معها وزعم ان الفلك طبيعة خامسة وانها لا تقبل الكون والفساد لا فى الجملة ولا فى التفصيل.

وقد اجمع المسلمون على ان هؤلاء الاصناف الذين ذكرناهم لا يحل للمسلمين اكل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم واختلفوا في قبول الجزية منهم فمن قبلها من اهل الاوثان قبلها منهم ومن لم يقبلها من اهل الاوثان لم يقبلها منهم وبه قال الشافعى واصحابه.

وقالوا فى المجوس انهم اربع فرق زروانية ومسخية وخرمدينية وبهافريدية وذبائح جميعهم حرام وكذلك نكاح نسائهم حرام وقد اجمع الشافعى ومالك وأبو حنيفة والأوزاعى

والثورى على جواز قبول الجزية من الروزانية والمسخية منهم وانما اختلفوا في مقدار دياتهم فقال الشافعى دية المجوسى خمس دية اليهودى والنصرانى ودية اليهودى والنصرانى ثلث دية المسلم فدية المجوسى اذا خمس دية المسلم وقال ابو حنيفة دية المجوسى واليهودى والنصرانى كدية المسلم.

واما المزدكية من المجوس فلا يجوز قبول الجزية منهم لانهم فارقوا دين المجوس الاصلية باستباحة المحرمات كلها وبقولهم ان الناس كلهم شركاء فى الاموال والنساء وفى سائر اللذات.

وكذلك البهافريدية لا يجوز قبول الجزية منهم وان كانوا احسن قولا من المجوس الاصلية لان دينهم ظهر من زعيمهم بها فريد فى دولة الاسلام وكل كفر ظهر بعد دولة الاسلام فلا يجوز اخذ الجزية من اهله.

واختلف الفقهاء في الصابئين من الكفرة فقال اكثرهم ان حكمهم في الذبيحة والنكاح والجزية كحكم النصارى في جواز ذلك كله ومنهم من قال إن من قال من الصابئين بقدم الهيولى فحكمه كحكم اصحاب الهيولى كما ذكرناه قبل هذا ومن قال منهم بحدوث العالم وكان الخلاف معه في صفات الصانع فحكمة حكم النصارى وبه نقول.

واجمع اصحاب الشافعى على ان البراهمة الذين ينكرون جميع الانبياء والرسل لا تحل ذبائحهم ولا نكاح نسائهم وان وافقوا المسلمين في حدوث العالم وتوحيد صانعه والخلاف في قبول الجزية منهم كالاخلاف في قبولها من اهل الاوثان.

وأجمع فقهاء الاسلام على استباحة ذبائح اليهود والسامرة والنصارى وعلى جواز نكاح نسائهم وعلى جواز قبول الجزية منهم.

وانما اختلفوا في مقدار الجزية فقال الشافعى ان بذل كل حالم منهم دينار واحدا حقن دمه وقال ابو حنيفة على الموسر منهم ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط اربعة وعشرون وعلى الفقير اثنا عشر.

واختلفوا في حدودهم فقال الشافعى انها كحدود المسلمين ويرجم الزانى منهم اذا كان محصنا وقال ابو حنيفة لا رجم عليهم.

واختلفوا في ديانهم فقال الشافعى دية الرجل منهم ثلث دية المسلم ودية المرأة منهم ثلث دية المرأة المسلمة وقال مالك دية الكتابي نصف دية المسلم وقال ابو حنيفة كدية المسلم سواء.

واختلفوا في جريان القصاص بينهم فقال الشافعى لا يقتل مؤمن بكافر بحال وقال ابو حنيفة يقتل المسلم بالذمى ولا يقتل المستأمن.

واختلفوا ايضا في وجوب الجزية على الشيخ الفانى منهم فأوجبها الشافعى ولم يوجبها ابو حنيفة الا على من كان منهم ذا تدبير في الحروب.

واختلفوا في الثنوية من المانوية والديصانية والمرقيونية الذين قالوا بقدم النور والظلمة وزعموا أن العالم مركب منهما وأن الخير والنفع من النور وأن الشر والضرر من الظلام فزعم بعض الفقهاء ان حكمهم كالمجوس واباح اخذ الجزية منهم مع تحريم ذبائحهم ونسائهم والصحيح عندنا ان حكمهم في النكاح والذبيحة والجزية كحكم عبدة الاصنام والاوثان وقد بينا ذلك قبل هذا.

واما الكفرة الذين ظهروا في دولة الاسلام واستتروا بظاهر الاسلام واغتالوا المسلمين في السر كالغلاة من الرافضة السبابية والبيانية والمغيرية والمنصورية والجناحية والخطابية وسائر الحلولية والباطنية والمقنعية والمبيضة بما وراء نهر جيحون والمحمرة باذربيجان ومحمرة طبرستان والذين قالوا بتناسخ الارواح من اتباع ابن أبى العوجاء ومن قال بقول أحمد بن حايط من المعتزلة ومن قال بقول اليزيدية من الخوارج الذين زعموا أن شريعة الاسلام تنسخ بشرع نبى من العجم ومن قال بقول الميمونية من الخوارج الذين أباحوا نكاح بنات البنين وبنات البنات ومن قال بمذاهب العزاقرة من أهل بغداد

وقال بقول الحلاجية الغلاة فـى مـذهب الحلوليـة او قـال بقـول البركوكية او الرزامية المفرطة فى ابى مسلم صاحب دولة بنى العباس او قال بقول الكاملية الذين اكفروا الصحابة بتركها بيعة علي واكفروا عليا بتركه قتالهم فان حكـم هـذه الطوائـف الـتى ذكرناها حكم المرتدين عن الدين ولا تحل ذبائحهم ولا يحل نكاح المرأة منهم ولا يجوز تقريرهم فى دار الاسلام بالجزية بل يجب استتابتهم فان تابوا والا وجب قتلهم واستغنام اموالهم.

واختلفوا في استرقاق نسائهم وذراريهم فأبـاح ذلـك ابـو حنيفة وطائفة من اصحاب الشافعى منهم ابو اسحاق المـروزى صاحب الشرح واباح بعضهم ومن اباح ذلك استدل بان خالد بـن الوليد لما قاتل بنى حنيفة وفرغ من قتل مسيلمة الكذاب صالح بنى حنيفة على الصفراء والبيضاء وعلى ربع السبي من النسـاء والذرية وانفذهم الى المدينـة وكـان منهـم خولـة أم محمـد بـن الحنيفة.

وأما اهـل الاهـواء مـن الجارودية والهشـامية والنجاريـة والجهميـة والاماميـة الـذين اكفـروا أخيـار الصـحابة والقدريـة المعتزلة عن الحق والبكرية المنسوبة الى بكـر ابـن اخـت عبـد الواحد والضرارية والمشبهة كلهـا والخـوارج فانـا نكفرهـم كمـا يكفرون اهل السـنة ولا تجـوز الصـلاة عليهـم عنـدنا ولا الصـلاة خلفهم.

واختلف أصحابنا في التوارث منهم فقال بعضهم نرثهم ولا يرثوننا وبناه على قول معاذ بن جبل ان المسلم يرث من الكافر والكافر لا يرث من المسلم والصحيح عندنا ان امـوالهم فيـء لا تـوارث بينهـم وبيـن السـنى وقـد روى ان شـيخنا أبـا عبـد اللـه الحرث بن اسد المحاسبى يأخذ من ميـراث ابيـه شـيئا لان ابـاه كان قدريا.

وقد أشار الشافعى الى بطلان صلاة من صلى خلف مـن يقول بخلق القرآن ونفى الرؤية.

وروى هشام بن عبد الله الرازى عن محمد ابن الحسن انه قال فيمن صلى خلف من يقول بخلق القرآن انه يعيد الصلاة.

وروى يحيى بن اكثم ان أبا يوسف سئل عن المعتزلة فقال هم الزنادقة.

واشار الشافعى في كتاب الشهادات الى جواز شهادة اهل الاهواء إلا الخطابية الذين اجازوا شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم واشار في كتاب القياس الى رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وسائر اهل الاهواء.

ورد مالك شهادة اهل الاهواء في رواية اشهب عن ابن القسم والحرث بن مسكين عن مالك انه قال في المعتزلة زنادقة لا يستتابون بل يقتلون

واما المعاملة معهم بالبيع والشراء فحكم ذلك عند اهل السنة كحكم عقود المفاوضة بين المسلمين الذين فى اطراف الثغور وبين اهل الحرب وان كان قتلهم مباحا ولا يجوز ان يبيع المسلم منهم مصحفا ولا عبدا مسلما في الصحيح من مذهب الشافعى.

واختلف اصحاب الشافعى في حكم القدرية المعتزلة عن الحق فمنهم من قال حكمهم حكم المجوس لقول النبى عليه السلام في القدرية انهم مجوس هذه الامة فعلى هذا القول يجوز اخذ الجزية منهم ومنهم من قال حكمهم حكم المرتدين وعلى هذا لا تؤخذ منهم الجزية بل يستتابون فان تابوا والا وجب على المسلمين قتلهم.

وقد استقصينا بيان احكام اهل الاهواء فى كتاب الملل والنحل وذكرنا في هذا الكتاب طرفا من احكامهم عند اهل السنة وفيه كفاية والله اعلم.

{الفصل الرابع}

من فصول هذا الباب

قولنا في السلف الصالح من الامة

أجمع اهل السنة على ايمان المهاجرين والانصار من الصحابة هذا خلاف قول من زعم من الرافضة أن الصحابة

كفرت بتركها بيعة على وخلاف قول الكاملية فى تكفير على بتركه قتالهم.

واجمع اهل السنة على أن الذين ارتدوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم من كندة وحنيفة وفزارة وبنى اسد وبنى قشير وبنى بكر ابن وائل لم يكونوا من الانصار ولا من المهاجرين قبل فتح مكة وانما أطلق الشرع اسم المهاجرين على من هاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة واولئك بحمد الله ومنه درجوا على الدين القويم والصراط المستقيم.

وأجمع اهل السنة على أن من شهد مع رسول الله بدرا من اهل الجنة وكذلك كل من شهد معه بيعة الرضوان بالحديبية.

وقالوا بما ورد به الخبر بأن سبيعن الفا من امة الاسلام يدخلون الجنة بلا حساب منهم عكاشة بن محصن وأن كل واحد منهم يشفع في سبعين الفا.

وقالوا بموالاة اقوام وردت الاخبار بأنهم من أهل الجنة وأن لهم الشفاعة في جماعة من الامة منهم اويس القرنى والخبر فيهم مشهور.

وقالوا بتكفير كل من اكفر واحد من العشرة الذين شهد لهم النبى بالجنة.

وقالوا بموالاة جميع ازواج رسول الله واكفروا من اكفرهن أو اكفر بعضهن.

وقالوا بموالاة الحسن والحسين

والمشهورين من اسباط رسول الله عليه السلام كالحسن بن الحسن وعبد الله بن الحسن وعلى بن الحسين زين العابدين ومحمد بن على بن الحسين المعروف بالباقر وهو الذى بلغه جابر بن عبد الله الانصارى سلام رسول الله عليه السلام عليه وجعفر بن محمد المعروف بالصادق وموسى بن جعفر وعلى بن موسى الرضا وكذلك قولهم في سائر اولاد على من صلبه كالعباس وعمر ومحمد بن الحنفية وسائر من درج على سنن آبائه الطاهرين دون من مال منهم الى اعتزال او رفض ودون من انتسب اليهم وأسرف في عداوته وظلمه

كالبرقعى الـذي عـدا علـى اهـل البصـرة ظلمـا وعـدوانا واكـثر النسابين على أنه كان دعيا فيهم ولم يكن منهم.

وقالوا بموالاة اعلام التابعين للصحابة باحسان وهم الذين قال الله تعالى فيهـم {يقولـون ربنـا اغفـر لنـا ولإخواننـا الـذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنـا غلا للـذين آمنـوا ربنـا إنـك رؤوف رحيم}.

وقالوا في كل من اظهر اصول اهل السنة.

وانما تبرءوا من اهل الملل الخارجة عن الاسلام ومن اهل الأهواء الضـالة مـع انتسـابها الـى الاسـلام كالقدريـة والمرجئـة والرافضة والخوارج والجهمية والنجارية والمجسـمة وقـد تقـدم بيان تفصيل هذه الجملة في الفصل الذى قبل هـذا الفصـل بمـا فيه كفاية.

{الفصل الخامس}

من فصول هذا الباب

في بيان عصمة الله أهل السنة عن تكفير بعضهم بعضا

أهل السنة لا يكفر بعضهم بعضا، وليس بينهم خلاف يوجب التبرى والتكفير. فهم إذن أهل الجماعة القائمون بالحق، واللـه تعالى يحفظ الحق وأهله، فلا يقعون في تنابـذ وتنـاقض، وليـس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض، وتبرى بعضهم من بعض، كالخوارج، والروافض، والقدرية، حتى اجتمـع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا عن تكفير بعضهم بعضـا، وكانوا بمنزلة اليهود والنصارى حيـن كفـر بعضـهم بعضـا، حـتى قالت اليهود: {لَيْسَـتِ النَّصَـارَى عَلَـى شَـيْءٍ وَقَـالَتِ النَّصَـارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ}، وقـال اللـه سـبحانه وتعـالى: {وَلَـوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}.

وقد عصم الله أهل السنة من أن يقولوا في أسلاف هذه الأمة منكرا، أو يطعنوا فيهم طعنا، فلا يقولون فـي المهـاجرين، والأنصـار، وأعلام الـدين، ولا فـي أهـل بـدر، وأحـد، وأهـل بيعـة الرضوان، إلا أحسن المقال، ولا في جميع من شـهد لهـم النـبي

صلى الله عليه وسلم بالجنة، ولا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وأولاده، وأحفاده، مثل الحسن والحسين، والمشاهير من ذرياتهم، مثل عبد الله ابن الحسن، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى الرضا عليهم السلام، ومن جرى منهم على السداد من غير تبديل ولا تغيير، ولا في الخلفاء الراشدين، ولم يستجيزوا أن يطعنوا في واحد منهم.

وكذلك في أعلام التابعين، وأتباع التابعين الذين صانهم الله تعالى عن التلوث بالبدع، وإظهار شيء من المنكرات، ولا يحكمون في عوامّ المسلمين إلا بظاهر إيمانهم، ولا يقولون بتكفير واحد منهم إلا أن يتبين منه ما يوجب تكفيره، ويصدقون بقول النبي صلى الله عليه وسلم: {يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمْ الَّذِينَ لاَيَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، أخرجه البخاري، وقد ورد أنه يشفع كل واحد منهم في عدد ربيعة ومضر، ويوجبون على أنفسهم الدعاء لمن سلف من هذه الأمة، كمت أمر الله تعالى في كتابه حيث قال: {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}.

{الفصل السادس}
من فصول هذا الباب
في بيان فضائل أهل السنة وأنواع علومهم وأئمتهم

اعلم أنه لا خصلة من الخصال التى تعدّ فى المفاخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم، وأنواع الإجتهادات، إلا ولأهل السهنة والجماعة في ميدانها القدح المعلى والسهم الأوفر، فدونك أئمة أصول الدين وعلماء الكلام من أهل السنة.

فأول متكلميهم من الصحابة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حيث ناظر الخوارج في مسائل الوعد والوعيد، وناظر القدرية في المشيئة والإستطاعة والقدر، ثم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث تبرأ من معبد الجهني في نفيه القدر.

الفرق بين الفِرق

وأول متكلمي أهل السنة من التابعين عمر بن عبد العزيز، وله رسالة بليغة في الردّ على القدريـة، ثـم زيـد بـن علـى زيـن العابدين، وله كتاب في الردّ على القدرية، ثم الحسن البصـري، ورسالته إلى عمر بن عبد العزيز فـي ذم القدريـة معروفـة، ثـم الشعبي، وكان أشد الناس على القدرية، ثم الزهري، وهو الـذي أفتى عبد الملك بن مروان بدماء القدرية.

ومن بعد هذه الطبقة جعفر بن محمد الصادق، وله كتاب الرد على القدرية، وكتاب الرد على الخوارج، ورسالة فـي الـرد على الغلاة من الروافض.

وأول متكلميهم من الفقهاء وأرباب المذاهب: أبو حنيفة، والشافعي، فإن أبا حنيفة له كتاب في الرد على القدرية سـماه "كتاب الفقـه الأكـبر"، ولـه رسـالة أملاه فـي نصـرة قـول أهـل السنة إن الإستطاعة مع الفعل، ولكنه قال: إنها تصلح للضدين، وعلـى هـذا قـوم مـن أصـحابنا، وللشـافعي كتابـان فـي الكلام، أحدهما: في تصحيح النبوة والـرد علـى الجهميـة، والثـاني: فـي الرد على أهل الأهواء.

فأما المريسي من أصحاب أبي حنيفة فإنما وافق المعتزلة في خلق القرآن وأكفرهم في خلق الأفعال.

ثم من بعد الشافعي تلامذته الجـامعون بيـن علـم الفقـه والكلام، وكان أبو العبـاس بـن سُـريج أبـرع الجماعـة فـي هـذه العلوم، وله نقض كتاب الجاروف على القائلين بتكافؤ الأدلة.

ثم من بعده الإمام أبو الحسن الأشعري الذي صار شَجًى في حلوق القدرية.

ومن تلامذته المشهورين أبو الحسن الباهلي، وأبو عبد الله بن مجاهـد، وهمـا اللـذان أثمـرا تلامـذتهم إلـى اليـوم شـموس الزمان وأئمة العصر، كأبي بكر محمـد بـن الطيـب [البـاقلاني]، وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني، وابن فورك.

وقبل هذه الطبقة: أبو على الثقفي، وفي زمانه كان إمام السنة أبـو العبـاس القلانسـي الـذي زادت تصـانيفه فـي الكلام على مائة وخمسـين كتابـا، وقـد أدركنـا منهـم فـي عصـرنا ابـنَ

مجاهد، وابن الطيب، وابن فورك، وإبراهيم بن محمد رضي الله عن الجميع، وهم القادة السادة في هذا العلم.

وأما أئمة الفقه في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم فقد ملأوا العالم علما، وليس بينهم من يناصر السنة والجماعة، وهم أشهر من نار على علَم، ففي سرد أسمائهم طول.

وأما أئمة الحديث والإسناد فهم سائرون على هذا المهيع الرشيد، لا يوصم أحد منهم ببدعة، وفي طبقاتهم كتب خاصة تغنى عن ذكر أسمائهم هنا، وآثرهم الخالدة لم تزل بأيدى حملة العلم مدى الدهر، وكذلك أئمة الإرشاد والتصوف كانوا على توالى القرون على هذا المنهج السديد في المعتقد.

وكذلك جمهرة أهل النحو واللغة والأدب كانوا على معتقد أهل السنة، فمن الكوفيين: المفضل الضبي، وابن الأعرابي، والرؤاسي، والكسائي، والفراء، وأبو عبيد قاسم بن سلاّم، وعلي بن المبارك اللحياني، وأبو عمرو الشيباني، وإبراهيم الحربي، وثعلب، وابن الأنباري، وابن مقسم، وأحمد بم فارس، كانوا كلهم من أهل السنة.

ومن البصريين: أبو الأسود الدؤلي، ويحيى بن معمر، وعيسى بن عمر الثقفي، وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وبعدهم أبو عمرو بن العلاء الذي قال له عمرو بن عبيد القدري: وقد ورد من الله تعالى الوعد والوعيد، والله تعالى يصدق وعده ووعيده، فأراد بهذا الكلام أن ينصر بدعته التي ابتدعها في أن العصاة من المؤمنين خالدون مخلدون في النار، فقال أبو عمرو بن العلاء: فأين أنت من قول العرب: إن الكريم إذا أوعد عفا، وإذا وعد وفي، وافتخار قائلهم بالعفو عند الوعيد حيث قال:

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إبعادي ومنجز موعدي

فعده من الكرم لا من الخلق المذموم، وكذا الخليل بن أحمد، وخلف الأحمر، ويونس بن حبيب، وسيبويه، والأخفش، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، والزجاج، والمازني، والمبرد، وأبي حاتم السجستاني، وابن دريد، والأزهري، وغيرهم من أئمة الأدب، لم يكن بينهم أحد إلا وله إنكار على أهل البدعة شديد،

وبُعْد عن بـدعهم بعيـد، ولـم يكـن فـي مشـاهيرهم مـن تـدنّس بشيء من بدع الروافض والخوارج والقدرية.

وكذلك أئمة القراء وحملة التفسير بالرواية من عهد الصحابة إلى عهد محمد بن جريـر الطـبري وأقرانـه ومـن بعـدهم، كـانوا كلهم من أهل السنة، وكذلك المفسرون بالدراية إلا بعض أفراد من أهل البدعة.

وكذلك مشاهير علماء المغازى، والسير، والتواريخ، ونقد الأخبار، وحملة الرواية من أهل السنة والجماعة.

فيظهر بذلك أن جماه الفضل في العلوم في أهل السـنة والجماعة، حشرنا الله سبحانه في زمرتهم.

{الفصل السابع}

من فصول هذا الباب

في بيان آثار أهل السنة في الدين والدنيا وذكر مفاخرهم فيهما

ألمنا ببعض آثار أهل السنة فى شتى العلوم، بحيث يظهر من ذلك أنهم لا يلحقون فى هذا المضمار، ومؤلفاتهم في الدين والـدنيا فخـر خالـد مـدى الـدهر للأمـة المحمديـة، وأمـا آثـارهم العمرانية في بلاد الإسلام فمشهور ماثلة أمام البـاحثين، خالـدة في بطون التواريخ بحيث لا يلحقهم في ذلك لاحــق، كالمســاجد والمــدارس والقصــور والرباطــات والمصــانع والمستشــفيات وسائر المبانى المؤسسـة ف ي بلاد السـنة، وليـس لسـوى أهـل السنة عمل يذكر في ذلك.

وقد بنى الوليد بن عبد الملك المسجد النبوي، ومسـجد دمشق على أبدع نظام، وكان سنيا، وبنى أخوه مسلمة المسجد بقسطنطينية، وكا سنيا، وكل ما في الحرميـن وسـائر الحواضـر من شواهق الآثار فمن عمل أهل السنة.

وأما سعي بعض العبيديين في عمارات فشيء لا يذكر أمام أعمال ملوك السنة على اختلاف الـدول، علـى أنـه لاموقـع لمـا كانوا يبنونه مع سوء اعتقادهم، كما قال اللـه تعـالى: {مَـا كَـانَ لِلْمُشْـرِكِينَ أَنْ يَعْمُـرُوا مَسَـاجِدَ اللَّـهِ شَـاهِدِينَ عَلَـى أَنْفُسِـهِمْ

بِـالْكُفْر}، ولا يتسـع المقـام لسـرد مـا لأهـل السـنة مـن الآثـار الفاخرة في الدين والدنيا.

وفي هذه الإلمامة كفاية في استذكار مآثر أهل السنة التي لا آخر لها فـي نـاحيتي الـدين والـدنيا، وللـه الحمـد، ولـه الفضـل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.